وِزَارَةُ التَّعْلِيمِ العَالي وَالبَحْثِ العِلْمِيّ
جَامِعَةُ بَابِلَ/ كُلِّيَّةُ العُلُومِ الإِسْلَامِيَّةِ
قِسْمُ عُلُومِ القُرْآنِ/ الدِّرَاسَاتُ العُلْيَا

التَّوبة في الظاهرة الدينيَّة
دراسةٌ موازِنةٌ بين القرآن الكريم والكتب السَّماويّة

رِسَالَةٌ مقدَّمَةٌ إلى مَجْلِسِ كُلِّيَّةِ العُلُومِ الإسْلاميَّةِ/ جامعةُ بَابِلَ
وهي جزءٌ من متطلَّباتِ نيلِ درجةِ الماجستير في العُلُومِ الإسلاميَّةِ/ عُلُوم القُرْآنِ

قدَّمتها الطَّالبة
مريم فليح إبراهيم

بإشرافِ الأُسْتاذِ الدُّكتُور
يقظان سامي الجبوري

١٤٤٥هـ ـــــــــــــــــــــــــــــ ٢٠٢٣م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾

صَدَقَ اللهُ الْعَلِيُّ الْعَظِيم

سورة النور، آية ٣١

الإهْدَاءُ

إلى الرسول الأعظم، محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وإلى أهل بيته المعصومين الأطهار .

وإلى صاحب العصر والزمان، والى فقهاء الأمة العاملين والأولياء والصالحين أجمعين وإلى سماحة المرجع الأعلى السيد علي الحسيني السيستاني(دام ظله الوارف) .

أُقَدِّمُ ثَمَرَةَ جُهْدي.

وإلى . . والدي رحمة الله وتغمده بواسع رحمته، لقد علمتني كل شيء ورحلت بعد أن أكملت رسالتك الأبوية على أكمل وجه ، ولو اشكرك دهرا لن اوفيك حقك من الشكر .

وإلى . . والدتي . . التي أتفيء بظلال دعائها ، أطال الله عمرها .

وإلى . . مناهل العلم والمعرفة أساتذتي .

وإلى . . كل من ساعدني في بحثي المتواضع هذا . . .

إليكم أهدي ما وفقني إليه ربي العزيز إخلاصا وعرفانا .

مريم

شُكرٌ وعِرْفَانٌ

في بداية كلمتي لا بدّ لي من أتوجه اولاً بالشكر لله عزّ وجلّ الذي وفقني للوصول الى هذه المرحلة ، ومهد لي الطريق لأن أكون بينكم اليوم ، والشّكر لجميع أئمتي الاثني (عليهم السلام) فهم الوسيلة التي بها استجاب الله دعائي، ورزقني هذه النّعمة. وأخصُّ بالشّكر أستاذي ومشرفي الأستاذ الدُّكتور (يقظان سامي الجبوري) الذي أشرف على رسالتي فكان الشّكر يقلُّ بحقّه لما بذله ، من ساعات الليل والنهار في المتابعة والإرشاد، والذي لم تبخل عليَّ بما أحتاجه من معلومة ونصيحة وجهد لإتمام هذه الرسالة ، كما أتقدَّمُ بالشكر الجزيل لجميع أساتذتي في كلية العلوم الإسلامية، وإلى موظفيها الذين ساعدوني في تقديم أية خدمة كانت .

وشكري إلى عميد الكليَّة المحترم الأستاذ الدُّكتور (حسن عبيد المعموري) .

وكذلك أشكر جميع أساتذتي وزملائي الَّذين لم يبخلُوا عليَّ بجميع ما لديهم من معلومة، وكل ما يملكون من تقديم مصادر ومشاركة الرَّأي، وشكراً لوالدتي أفضل ام في العالم اقدم لك خالص امتناني وشكري على مجهوداتك الدائمة من اجلي ، وكذلك على تقديم تضحيات كثيرة حتى أتمكن من متابعة احلامي ، فانت حقا افضل ام في العالم بأكمله . . .

مريم

فهرس المحتويات

الموضوع	رقم الصحيفة
الآية	أ- أ
الإهداء	ب- ب
شكر وعرفان	ت- ث
المُقَدِّمَة	١-٦
التَّمهيد : الاطار المفاهيمي للدراسة والكليات العامة	٧-٢٧
المطلب الاول: التأصيل المفهومي والدلالي للتوبة	٨-٢٤
المقصد الاول: المقصد الأول: التوبة لغة	٩-١٠
المقصد الثاني : التوبة اصطلاحًا	١١-١٢
المقصد الثالث: القران الكريم والكتب السماوية	١٢-١٦
المطلب الثاني: الظاهرة الدينيَّة وتبدياتها (دراسة استهلالية).	١٦-٢٧
المقصد الأول: الدين الفردي	٢٢-٢٤
المقصد الثاني: الدين الجمعي	٢٥- ٢٦
المقصد الثالث: المؤسسة الدينية	٢٦ -٢٧
الفصلُ الأوَّلُ : اليهودية وتمظهرات التوبة في التاريخ والمعتقد	٢٨- ٨٤
المبحث الأول: اليهودية النشأة ومساراتها التاريخية في الظهور	٣١-٤٩
المطلب الأوَّلُ: التسمية ودلالاتها التاريخية في التراث اليهودي	٣٢-٣٩
المطلب الثاني: المسارات التأريخية في ظهور الديانة اليهودية	٤٠-٤٨
المبحث الثاني: منابع المعرفة في اليهودية وافكارها	٥٠-٦٦
المطلب الأول: العهد القديم	٥١-٦٠
المطلب الثاني: التلمود	٦٠-٦٥
المبحث الثالث: الخطيئة والتوبة وموقف اليهودية منها	٦٧-٩٠
المطلب الأول: الخطيئة في الفكر اليهودي	٦٨-٧٢
المطلب الثاني: التوبة في الفكر اليهودي	٧٢-٧٧

المطلب الثالث: مراسيم التوبة وتكفير الخطايا	٧٧- ٨٣
الفصلُ الثّاني: المسيحية وتموضعات التوبة في تاريخها ومعتقداتها	**٨٥- ١٣٦**
المبحث الأول: المسيحية في نشأتها ومسارات التطور الفكري	٨٧- ١٠٣
المطلب الأوَّلُ : المسيحية في تسميتها	٨٨- ٨٩
المطلب الثاني: الجذور اليهودية للديانة المسيحية	٨٩-٩١
المطلب الثالث: ظهور النبي عيسى وبدء دعوته	٩١-٩٤
المطلب الرابع: الحواريين بعد السيد المسيح وظهور بولس	٩٤- ٩٨
المطلب الخامس: سياسة قسطنطين على المسيحية وانعكاسات مرسوم ميلان	٩٨- ١٠٢
المبحث الثاني: منابع المعرفة في المسيحية وعقائدها الرئيسية	١٠٤- ١٢١
المطلب الاول: منابع المعرفة في المسيحية	١٠٥- ١١٦
المطلب الثاني: اهم عقائد الديانة المسيحية	١١٧- ١٢١
المبحث الثالث: التوبة في الرؤية المسيحية	١٢٢- ١٣٥
المطلب الأول: التعميد	١٢٧- ١٢٩
المطلب الثاني: المناولة (العشاء الرباني الأخير)	١٢٩- ١٣١
المطلب الثالث: الاعتراف (الإقرار بجميع الذنوب أمام القسيس)	١٣١- ١٣٥
الفصل الثالث : التوبة في الرؤيا الإسلامية	**١٣٧- ١٨٢**
المبحث الاول: التوبة في الرؤية القرآنية	١٣٩- ١٦١
المطلب الاول: مفهوم التوبة القرآنية ودلالتها	١٤٠-١٤٤
المطلب الثاني: أنواع التوبة في بالرؤية القرآنية	١٤٤- ١٤٩
المطلب الثالث: التوبة النصوحة ووجوبها	١٤٩- ١٥٤
المطلب الرابع: التوبة مطوقة بقبول الله	١٥٤- ١٥٧
المطلب الخامس: موارد عدم قبول التوبة	١٥٧- ١٦١
المبحث الثاني: التوبة في السنة	١٦٢- ١٧٢
المطلب الأول: التوبة الحقيقية والنصوحة	١٦٣- ١٦٤
المطلب الثاني: اختصاص التوبة بنشأة الدنيا	١٦٤-١٦٥
المطلب الثالث: موارد عدم قبول التوبة	١٦٥- ١٦٦
المطلب الرابع: دوافع التوبة ومقوماتها	١٦٦- ١٦٧

المطلب الخامس: وجوب التّوبة	١٦٧- ١٦٨
المطلب السادس: اركان التوبة	١٦٨- ١٦٩
المطلب السابع: انواع التوبة ومراحلها	١٦٩- ١٧١
المبحث الثالث: التوبة بين اليهودية والمسيحية والاسلام	١٧٣- ١٨١
الخاتمة والنتائج	**١٨٣-١٨٧**
المصادر والمراجع	**١٨٨- ٢٠٣**
ملخص الإنكليزي	**A – A**

الْمُقَدِّمَةُ

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمـــــــــــةُ

الحمد لله ربّ العالمين ، والصلاة والسلام على محمد النبيّ الأمين وعلى آله الطيّبين الطاهرين المصطفين .

الإنسان بوصفه كائنًا إجتماعيًا له حاجات كثيرة تتعدى لقمة العيش ومن بين هذه الحاجات حاجته إلى التدين ، فالدين قضية فطرية متأصلة في الإنسان منذ أن وجد على ظهر الأرض لأنَّه نظام إجتماعي يقوم بخدمة وظائف حيوية لها أهميتها للفرد وللمجتمع على حد سواء والعرف والقانون يعينها على أداء مهمتها في المجتمع . فاللدين دور هام في عملية التماسك الاجتماعي والتآلف بين الأفراد المكونين للمجتمع ، ذلك أنّه يوحد بين هؤلاء الأفراد في القيم والأهداف والمعاني ، ويسوغ هذه القيم مما ينسق تفاعل الافراد ويدعو إلى التعاون بينهم فضلاً عن قيامه بتوحيد صفوفهم ، ونلمس ذلك واضحاً فيما فعله الاسلام في مجتمع الجزيرة العربية فقد الف بين قلوبهم ومكنهم من الانتشار وإلحاق الهزيمة بأعدائهم ، لم يكن الدين عملًا فرديًا أو محاولة شخصية لا ظهار الروح الإنسانية ، بل هو عملية حية متبادلة بين الانسان والقوى فوق الطبيعة والاديان القديمة غالباً هي جماعية تتعلق بالقبيلة كلها فالإله هو للقبيلة يحميها ويشمل برعايته أفرادها كافة.

إنَّ التدينّ حالة مدهشة ورثها الناس منذ عهد الإنسان البدائيّ في العصور الضاربة في القدم من حياة البشريّة. وهي حالة وُجدت في مختلف الأزمنة، ومستمرّة إلى يومنا هذا، وإذا تفاوتت في شكلها، بعينها. ان الدين استمر يرافق البشرية في اطوار حياتها وكان دورا بارزا في كل نهضة وحضارة كل أمة ، لكن الدين الحق الذي انزله الله لعباده وهو دين الفطرة ، لم يبقى على نقائه ، ولم يسلم من العبث وقد اعتلته علل وطواهر عكرت صفائه وحالت دون تحقيق الهدف السامي له .

لا مسألة تشغل الإنسان منذ فجر التاريخ ممارسةً واعتقادًا، ومؤخرًا: دراسةً، مثل مسألة الدين. تشكّل ظاهرة الدين حدثًا إنسانيًا فريدًا، فهناك في التاريخ حضارات بلا فنون، وحضارات بلا تقدم مادي، لكن ليس هناك حضارة بلا دين. في إطار هذه الظاهرة الفريدة بدأت الدراسات تبحث عن بذور فكرة الدين في التاريخ الإنساني.

تساؤلات الرسالة: إنَّ قضايا الخطيئة والتوبة من أهم قضايا الفكر الديني البشري لما يترتب عليها من ثواب وعقاب ولهذا فإن الكتب السماوية تحدثت عن هذا الموضوع وتناولته الأديان السماوية بإسهاب ولكن في اليهودية والمسيحية هناك غموض يلف مفهوم التوبة عكس الإسلام فالتوبة فيه واضحة لا لبس فيها، اذ حدد الإسلام مواضع التوبة وكيفيتها واستقلال العبد في طرق توبته بعيدا عن تدخل رجال الدين والمؤسسة الدينية في توبته ، حيث ان اتصال المسلم بربه مباشرة دون واسطة جعله يتحرر من سيطرة رجال الدين في طقوسه . وعليه فمن الضروري إيضاح التوبة في الديانات السماوية الثلاث عن طريق دراسة رؤية كل ديانة لظاهرة التوبة فيها .

وقد اعتبر الإسلام والأديان السماوية الأخرى الاقدام على التوبة من أهم الخطوات التربوية التي يجب أن يخطوها المجتمع المذنب والإنسان المذنب وذلك لأجل إصلاح النفس وتطهيرها مما فيها من فساد .

وقد تناول البحث ظاهرة التوبة في الكتب السماوية من جوانب شكلت محور الخطيئة وكيفية التعامل معها في الأديان السماوية الثلاث ، فكان مجال البحث ممتدًا من التوراة وكتب العهد القديم حتى القرآن الكريم ، مع ما رافقه من صراع فكري كان موضوعة قضايا التوبة والغفران ونظرة الكتب السماوية إليها.

ويطيب لي أن أقدم رسالة علمية إلى قسم علوم القرآن في كليتنا ، بعنوان (التوبة في الظاهرة الدينية دراسة موازنة بين القرآن الكريم والكتب السماوية).

سبب اختيار الدراسة: يمكننا أن نلخصها بما يأتي:

١- جاءتِ الرغبةُ في دراسة الموضوع هو إظهار تفوق القرآن الكريم ومن بعده الإسلام على باقي الكتب التي يتعبد بها أهل الكتاب .

٢- بيان ما قدمته هذه الكتب من معارف دينية من خلال معالجتها لظاهرة التوبة ، ونقل نص التوراة وما فيها من معارف بالموازنة مع المعالجة القرآنية .

٣- لغرض معرفة واقع الكتب السماوية الأخرى ، وبيان مدى التحريف والانحراف الذي حصل فيها.

كما إنَّ أول الإشكاليات التي واجهها البحث هو أن مفهوم الخطيئة والتوبة غامض في اليهودية والنصرانية ومتغير تبعًا للأحداث التي مرت بها تلك الأديان .

. كما أن ثاني الإشكاليات قلة المصادر العربية التي كتبت عن الخطيئة والتوبة في اليهودية والنصرانية.

الصعوبات:

إنَّ من الصعوبات التي واجهة الرسالة هو سعة الموضوع وتناوله الأديان السماوية الثلاث وكتبها ، وأن البحث كان ملزمًا بتقصي ظاهرة التوبة والخطيئة في كتب العهد القديم وصولًا إلى القرآن الكريم .

ومن جهة أخرى فان الصعوبة في أتجاه الأديان الأخرى غير الإسلام تكمن في تعدد مفهوم التوبة وأساليبها عندهم ، فكان البحث ملزمًا باستقصاء ما أنتجه الفكر الإسلامي واليهودي والمسيحي في هذا الموضوع.

كما ان الصعوبة تكمن في معرفة التوراة والتاريخ اليهودي والمسيحي وملابسات ذلك .

كما حاول البحث استقصاء مفردة (توبة) في كتب اللغة ، من أجل الوقوف على معانيها المتعددة وثم الاستفادة من تلك الدلالات في محاور البحث وأبحاثه ومطالبه .

منهجيَّة البحث: أعتمدت الباحثة في بحثها على عدة مناهج منها: المنهج (الوصفي) في إحصاء الآراء وعرضها ، والمنهج (التحليلي) الذي يعتمد على تحليل عينات معينة في زاوية محددة ، والمنهج (النقدي) ، من خلال إبداء المناقشة .

خطة الرسالة: جاء تفصيل البحث على النحو التالي مع أهم ما جاء في تلك المباحث والمطالب :

التمهيد: فكان بعنوان(الاطار المفاهيمي للدراسة والكليات العامة) وجاء في مطلبين، الأول: التأصيل المفهومي والدلالي للتوبة ، والقرآن الكريم والكتب السماوية ، ومطلب ثاني: الظاهرة الدينية وتبدياتها(دراسة أستهلالية) .

الفصلُ الأوَّلُ: وفيه تناول (اليهودية وتمظهرات التوبة في التاريخ والمعتقد)، فقد كانت الخطيئة هي الفكرة الأساسية في الديانة اليهودية وجاءت التوبة مترادفة معها ، حتى قيل أن اليهودية تعني التوبة من عبادة العجل ، ولهذا كانت التوبة والخطيئة هما الشغل الشاغل في التشريعات اليهودية. وتناول البحث مراحل الديانة اليهودية في الظهور ومفهوم الخلاص من الذنب فيها ومعتقداتها في الخطيئة والغفران ، وفجاء هذا الفصل بثلاثة مباحث: المبحثُ الأوَّلُ: اليهودية النشأة ومساراتها التأريخية في الظهور ، وتناول هذا المبحث مسارات الديانة اليهودية في الظهور وتضمن ثلاثة مطالب: الأوَّلُ: التسمية ودلالاتها التاريخية في التراث اليهودي، والثاني: المسارات التأريخية في ظهور الديانة اليهودية ،حيث عرض البحث الآراء في التسميات التي عرف بها اليهود على مدى تاريخهم ، وكذلك المراحل التي مرت بها اليهودية منذ نشأتها حتى الشتات .

المبحثُ الثَّاني: منابع المعرفة في اليهودية وأفكارها ، اذ تناول البحث أهم مصدرين للمعرفة في اليهودية وهما العهد القديم والتلمود ومصادرهما والأفكار التي تحويها هذه الكتب، وبيان دور العهد القديم بالاخص في الفكر اليهودي وإذ يعتبر موسوعة شامله لليهود .

المبحثُ الثَّالث: الخطيئة والتوبة وموقف اليهودية منها ، جاء فيه ظاهرة التوبة عندهم ومفهوم الخطيئة في الفكر اليهودي والمراحل التي مر بها مفهوم التوبة والمتغيرات التي تغيرت فيها نظرتهم الى التوبة تبعا للظروف التي مروا بها.

الفصل الثَّاني: المسيحية وتموضعات التوبة في تاريخها ومعتقداتها ، وجاء هذا الفصل للكشف عن مسارات تطور المسيحية ومنابعها المعرفية ورؤيتها للتوبة، وجاء بثلاثة مباحث: المبحث الاول: المسيحية في نشأتها ومسارات التطور الفكري ، تناول فيه ظروف نشأة المسيحية وما احيط بها من ملابسات وأحداث ، وكيف تطورت وتعقدت بعد ان كانت ديانة بسيطة.

المبحثُ الثَّاني: منابع المعرفة في المسيحية وعقائدها الرئيسية ، وفيه سلط البحث الضوء على اهم مصادر الدين المسيحي وهما العهد القديم والعهد الجديد وكيف تم كتابة العهد الجديد ودور رسائل بولس في صناعة الفكر المسيحي وجعلها محور هذا الدين .

المبحث الثالث: التوبة في الرؤية المسيحية، تتناول رؤية المسيحية لظاهرة التوبة وطقوسها اذ ان مفهوم التوبة في المسيحية يختلف عما هو في الاديان السماوية الاخرى لكون المسيحية أتحذت من خطيئة آدم محور للديانة .

الفصلُ الثَّالث: التوبة في الرؤيا الإسلامية ، وجاء هذا الفصل في عرض ظاهرة التوبة وفق المفهوم الإسلامي المتمثل بالقرآن الكريم ومن بعده السنة النبوية ، وضمَّ هذا الفصل مباحث ثلاث:

المبحث الأوَّلُ : التوبة في القران الكريم ، جاء فيه بيان مفهوم التوبة في القرآن وانها تشمل الجميع دون استثناء حتى العاصين وفي كل وقت وزمان .

المبحثُ الثَّاني: التوبة في السنة النبوية ، اورد البحث فيها الاحاديث النبوية واقوال اهل البيت عليهم السلام في بيان اهمية التوبة وفضلها والحث عليها .

المبحث الثالث: التوبة بين اليهودية والمسيحية والاسلام . جاء فيه موازنة للتوبة في الكتب السماوية الثلاث وابراز الاختلافات في شأن التوبة بينهم .

الدراسات السابقة :

- التوبة واثرها في الفرد والمجتمع ، وسام عباس حسان (رسالة ماجستير) ، مقدمة إلى جامعة محمد بن سعود الإسلامية– المملكة العربية السعودية، ١٩٨٣م.
- الخلاص من الخطيئة في مفهوم اليهودية والمسيحية والإسلام، محمد عبد الرحمن عوض.
- الابعاد العقدية لمفهوم الخطيئة في النص التوراتي والانجيلي، محمد الشافي، بحث منشور (النت) ، جامعة محمد الخامس ، الرباط – المغرب .
- التطور الفلسفي لمفهوم التوبة في سفري أيوب والجامعة، منة الله مصطفى عامر لطفي، منشور في مجلة المنصة للعلوم واللغات والآداب، مج٣، العدد الأول، حزيران ٢٠٢٢م
- التوبة في القرآن الكريم والصحيفة السجادية(بحث)، مينا شمخي، سيد يوسف محفوظي موسي، مجتبى رسايي ، منشور في مجلة ابحاث ميسان ، المجلد الثامن عشر ، العدد الخامس والثلاثون ، ٢٠٢٢

- التوبة في اليهودية والنصرانية والإسلام، عادل محمد احمد الحسيني، منشور في مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بدمنهور، العدد الخامس ٢٠٢م ، ٨/ ٢٨ .
- الخطيئة والتوبة بين اليهودية والمسيحية، محمد احمد الخطيب، بحث منشور (النت) كلية الشريعة والقانون، جامعة قطر.

الخاتمة: وجاء فيها أهم النقاط والنتائج التي توصل اليها البحث في سياق للآراء والاتجاهات التي تعاطت مع التوبة ، من خلال العرض الموجز لأهم ما توصل له البحث من نتائج كانت خلاصة للفصول الثلاث النظرية .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين مفتتحًا وختامًا .

التمهيد

الإطار المفاهيمي للدراسة والكليات العامة

المطلب الاول: التأصيل المفهومي والدلالي للتوبة

المطلب الثاني: الظاهرة الدينيَّة وتبدياتها (دراسة استهلالية) .

توطئة: تعيش بعض المفاهيم في دلالاتها ومضامينها مراحل من التطور والتبدل فتأخذ مناحي مختلفة عن المضمون الأول الذي وضعت من اجله وكل ذلك نتيجة لدلالات الواقع الذي تعيش معه جدلية في التأثير.

وهذا الامر نجده جدلياً في بعض المفاهيم الدينية، التي يتصور بعضهم– للوهلة الأولى– انها ثابتة من دون تحول او تغير، نتيجة لانتزاعها من نصوص الوحي، الا ان المسح التأريخي يكشف لنا انها خاضعة لاشتراطات التأريخ الزمني، فالراصد سيمنحنا صورة واضحة واغنى من التتبع والكشف عن مراحل التطور والسكون.

ومن ثم فإننا سنقف عند بيان ما جاء من مفاهيم في عنوان دراستنا ، لنكشف معانيها وما تعكس من مقولات نلتمس بها مقدار الترابط والأثر في صياغة التجربة الإيمانية وتقيمها وإعادة انتاج المعنى الديني من جديد، ونمط الدلالات التي تركتها في العقل الديني وأنظمة انتاج المعنى الروحي للإنسان.

إضافة إلى اننا سنشتغل على بيان رسم خارطة لتمثلات الظاهرة الدينية وبيانها، وذلك لملاحقة تضاريس التوبة فيها وانماطها، سواء على المستوى الفردي أو الجماعي أو المؤسساتي، لان التوبة ترسمت في بعض الديانات– كالمسيحية– في المؤسسة الدينية واحتكرت برجالها وقساوستها والبعض الآخر(كالإسلام) جعلها مطوقة في البعد الفردي في علاقة بين العبد وخالقه، فهي حالة لا يعلم بحقيقتها إلا الله واما التوبة في اليهودية فهي أقرب ما تكون للبعد الاجتماعي وممارستها في فضاءاته.

ولبيان ذلك اجعل المبحث التمهيدي في المطلبين الآتيين.

المطلب الاول: التأصيل المفهومي والدلالي للتوبة

المقصد الأول: التوبة لغةً

التوبة لغة: الرُّجُوعُ من الذَّنْبِ، وتابَ إلى اللّهِ يَتُوبُ تَوْباً وتَوْبةً ومَتاباً: أَنابَ ورَجَعَ عن المَعْصيةِ إلى الطاعةِ، ورَجل تَوَّابٌ: تائِبٌ إلى اللّهِ. وتاب العبد: رجع إلى طاعة ربه وعبد تواب: كثير الرجوع إلى الطاعة وأصل التوبة الرجوع يقال: تاب وثاب وأب وأناب: أي رجع، واللّهُ تَوّابٌ: يَتُوبُ علَى عَبْدِه. وتابَ الله عليه: وفَّقَه للتَّوبةِ، أو رجَعَ به من التَّشْدِيد إلى التَّخْفيفِ، أو رَجَعَ عليه بِفَضْلِهِ وقبوله، وهو تَوَّابٌ على عبادِه ، واسْتَتَبْتُ فُلاناً: عَرَضْتُ عليهِ التَّوْبَةَ مما اقْتَرَف أَي الرُّجُوعَ والنَّدَمَ على ما فَرَطَ منه. واسْتَتابه: سأَلَه أَن يَتُوبَ[1].

قال **ابن فارس**(ت٣٩٥هـ):" توب: التاء والواو والباء كلمةٌ واحدةٌ تدلُّ على الرُّجوع. يقال تَابَ مِنْ ذنبه، أي رَجَعَ عنه يتُوب إلى اللَّه تَوبةً ومَتَاباً، فهو تائب. والتَّوْبُ التَّوبة "[2].

وتابعه **ابن منظور**(ت٧١١هـ):" التَّوْبةُ الرُّجُوعُ من الذَّنْبِ وفي الحديث النَّدَمُ تَوْبةٌ والتَّوْبُ مثلُه وقال الأَخفش التَّوْبُ جمع تَوْبةٍ مثل عَزْمةٍ وعَزْمٍ وتابَ إلى اللّهِ يَتُوبُ تَوْباً وتَوْبةً ومَتاباً أَنابَ ورَجَعَ عن المَعْصيةِ إلى الطاعةِ فأَما قوله: تُبْتُ إِلَيْكَ فَتَقَبَّلْ تابَتي ... وصُمْتُ رَبِّي فَتَقَبَّلْ صامَتي ، إنما أَراد تَوْبَتي وصَوْمَتي"[3].

وأَصلُ تابَ عادَ إلى اللّهِ ورَجَعَ وأَنابَ. وتابَ اللّهُ عليه أَي عادَ عليه بالمَغْفِرة. وقوله تعالى: (فتاب عليه) أي قبل توبته، أو وفقه للتوبة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ

([1]) ينظر: معجم العين، الخليل الفراهيدي ، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم (ت ١٧٠هـ) تحقيق مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال ،١٤١/٢ مادة: (توب) ، المحيط في اللغة، الصاحب بن عباد ، إسماعيل بن عباد بن العباس (ت ٣٨٥هـ:٣٨٢/٢ مادة: (توب)، معجم مقاييس اللغة، ابن فارس ، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني (ت ٣٩٥هـ) تحقيق: عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر ،١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م :٣٢٦/١.

([2]) معجم مقاييس اللغة ، ابن فارس ، ١/ ٣٥٧.

([3]) لسان العرب ، ابن منظور، محمد بن مكرم بن على (ت ٧١١هـ) ، دار صادر، ط ٣، – بيروت ١٤١٤ هـ: ٢٣٣/١، (توب) .

تُفۡلِحُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [النور: ٣١] ؛ أَي عُودُوا إِلى طَاعتِه وأَنيبُوا إليه. واللّهُ التوَّابُ: يَتُوبُ على عَبْدِه بفَضْله إِذا تابَ إِليهِ من ذَنْبه[١]. وإن اصل التوبة هو الرجوع وقد اجمع النحاة على ذلك[٢].

والتوبة مصدر لـ(تاب): ويقال تاب واب واناب بمعنى رجع، فقولهم تاب يتوب وتوبه وتابا، فهو تائب وتواب، وقال **الفخر الرازي** تكاد تتفق معاجم اللغة على مرادفات كلمة توبة كمصدر لتاب، فيقال: تاب يتوب وتوبة وتابة وتتوبة ومتابا[٣].

قال الزبيدي(ت١٢٠٥هـ) :((وَتَتْوِبَةً ... أَنَاب ورَجَعَ عنِ المَعْصيَة إِلَى الطَّاعَةِ وهُو تَائِبٌ وتَوَّابٌ : كَثيرُ التَّوْبَةِ والرُّجُوع وقَوْلُهُ عزَّ وَجَلَّ ﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ ﴾ [غافر: ٣]))[٤]. الا إن **البستاني**(ت١٨٨٤م) اعتبر تتوبة لفظة شاذة من كتاب سيبويه[٥].

نستنتج من المعاني اللغوية أن التوبة تكون بمعنى العود الى الله تعالى بعد ارتكاب الذنب كمن يتوب عن ترك واجب او فعل محرم وان المعاني اللغوية للتوبة كلها تذهب الى ان التوبة هي الرجوع عن الذنب الى الطاعة أو الندم عن المعصية وهي تعني كذلك اعتراف الانسان بالذنب والعزم على ان لا يعود مجدداً.

---

(١) ظ: تهذيب اللغة ، الازهري ، محمد بن أحمد (ت٣٧٠هـ) تحقيق محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، ط١، بيروت ٢٠٠١م: ٢٦/٥، (مادة تاب) .

(٢) ظ :التوبة واثرها في الفرد والمجتمع ، وسام عباس حسان (رسالة ماجستير) ، مقدمة الى جامعة محمد بن سعود الإسلامية– المملكة العربية السعودية، ١٩٨٣م ، ١ .

(٣) ظ : مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، الرازي ، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي (ت ٦٠٦هـ) ، ط٣ ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ١٤٢٠ هـ ، ٣ /٢٢ .

(٤) تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي ، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني (ت ١٢٠٥هـ) تحقيق: مجموعة من المحققين ، دار الهداية ، ٣١١/١ (توب) .

(٥) ظ : فاكهة البستان، عبد الله البستاني، المطبعة الامريكانية، بيروت – لبنان ١٩٣٠م /١٤٨ .

المقصد الثاني: التوبة اصطلاحًا

اختلف في معنى التوبة بين العلماء والمفسرين وذلك لكون التوبة من الاعمال التي لا يعلم حقيقتها الا الله سبحانه وتعالى، لذا فان تعريف العلماء هو للشروط الحسية للتوبة، لما لها من آثار نفسية واجتماعية على الفرد، لذا فهي لها شروط حسية يقيم بها العاصي ويقوم على أساسها، ولأهمية هذه الشروط فهي تدل على صدق التائب ولهذا سميت بالتوبة. إن قضايا الخطيئة والغفران والتوبة لاشك انها من اهم واخطر القضايا في الفكر الديني، وذلك لما يترتب عليها من عقاب او ثواب، وهي في صلب تشريعات الأديان السماوية وحتى غير السماوية، ولهذا فان الأديان السماوية الثلاث الإسلام واليهودية والنصرانية(المسيحية)، تحدث عن هذا الموضوع باسهاب وفصلت فيه كثيراً، ووضحت مفاهيم التوبة والخطيئة، وهذا نجده واضحاً في القران الكريم بشكل لا يقبل اللبس، ولكن هذا الوضوح الموجود في الإسلام وكتابه القران الكريم، لا يجده الباحثون في الديانات السماوية الأخرى ، وهذا الامر أدى الى وقوع اتباع الديانتين اليهودية والسماوية الى كثير من الاعتقادات المنحرفة فيما يتعلق بالتوبة[١].

وقد عرفت عدة تعريفات وان مدلولها الشرعي قريب من المدلول اللغوي، ومن تعريفاتها ما يلي: عرفها **الراغب الاصفاني**(ت٥٠٢هـ): التوبة:" تَرْكُ الذَّنْبِ لِقُبْحِهِ، وَالنَّدَمُ عَلَى مَا فَرُطَ مِنْهُ، وَالعَزِيمَةُ عَلَى تَرْكِ المُعَاوَدَةِ، وَتَدَارُكِ مَا أَمْكَنَهُ أَنْ يُتَدَارَكَ مِنَ الأَعْمَالِ بِالإِعَادَةِ "[٢].

وقال **الطبرسي**(ت٥٦٠هـ):" التوبة هي الندم الذي يقع موقع التنصل من الشيء وذلك بالتحسر على مواقعته والعزم على ترك معاودته "[٣].

وعرفها **العلامة الحلي**:" هي الندم على المعصية، والعزم على ترك المعاودة؛ لأنَّ التوبة بذل الوسع، ولا يكون باذلا بوسعه إلاّ إذا عزم على ترك المعاودة مع ندم على السالف "[٤].

([١]) ينظر: التوبة في اليهودية والنصرانية والإسلام(بحث)/ عادل محمد احمد الحسيني، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بدمنهور، العدد الخامس ٢٠٢م ، ٨/ ١٩

([٢]) مفردات غريب القران/ ٧٦ .

([٣]) مجمع البيان، الطبرسي، ٤٠٦/١ .

([٤]) منهاج اليقين في أصول الدين/ العلامة الحلي، الحسن بن يوسف، تحقيق محمد رضا الأنصاري القمي، ط ١ ، ١٤١٢ هـ/٣٦١ .

وجاء في جواهر الفقه ان التوبة: النّدم على القبيح في الماضي، والتّرك له في الحال، والعزم على عدم المعاودة إليه في الإستقبال[١].

وقيل في تعريفها ان التوبة هي النّدم على الذّنب لكونه ذنباً، فخرج النّدم على شرب الخمر مثلاً لإضراره بالجسم، وقد يزاد: مع العزم على ترك المعاودة أبداً[٢]، والظّاهر: أنّ هذا العزم لازم لذلك النّدم غير منفك عنه[٣].

وقيل:" ترك المعاصي في الحال، والعزم على تركها في الإستقبال، وتدارك ما سبق من التّقصير "[٤].

يتحصل استناداً لتعاريف العلماء بالصورة التالية: بأنّ التّوبة هي: النّدم على فعل المعصية لكونها معصية، ووجوب تدارك ما سبق من التّقصير في الأعمال إن أمكن.

المقصد الثالث: الكتب السماوية

الكتب السماوية: هي الكتب التي أنزلها الله (عزّ وجلّ) على رسله الكرام ليُبلّغوا ما فيها لأقوامهم؛ رحمةً بعباده (سبحانه) وهدايةً لهم لطريق السعادة والفلاح في الدنيا والآخرة، والغاية من إنزال هذه الكتب هو إقامة التوحيد بعبادة الله وحده، وبيان المنهج القويم الذي يجب أن تسلكه البشرية فيرشدها لكل ما هو خير وصلاح، وحياة للنفوس ونور وهداية في الظلمات[٥].

([١]) ينظر: جواهر الفقه ، ابن البرّاج، تحقيق، إبراهيم بهادري، ط١،هـ١٤١١/٢٥١.

([٢]) ينظر: رياض السّالكين/ ٤٠٤، مجمع البحرين ، ١ / ٣٠٠، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم / محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي (ت بعد ١١٥٨هـ) ، تحقيق: د. علي دحروج نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناني ط١، مكتبة لبنان ناشرون – بيروت، ١٩٩٦م ، ١/٥٢٤.

([٣]) ينظر: جواهر الكلام في شرائع الاسلام، محمد حسن النجفي، دار احياء التراث العربي،ط٧، بيروت١٩٨١م: ٤١ / ١١٤.

([٤]) جامع السعادات/ محمد مهدي النراقي(ت١٢٠٩هـ)، تحقيق وتعليق : السيد محمد كلانتر / تقديم : الشيخ محمد رضا المظفر، ط٤ ، ٣ / ٣٨.

([٥]) ينظر: الطريق إلى الإسلام/ محمد بن إبراهيم الحمد/ ٦١.

أولا: القرآن الكريم

القرآن الكريم هو الكتاب السماويّ المقدّس لدى المسلمين، والمصدر الأول للتشريع، وقد أُوحيَ للنّبيّ محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، بواسطة الملك جبرائيل عليه السلام، خلال فترة نُبُوَّته التي دامت (٢٣) سنة. يتفق المسلمون بجميع مذاهبهم على أنّ القرآن بألفاظه هو كلام الله، وأهمّ معجزات النبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم)، وهو الكتاب السماوي الأخير، ولا يمكن لأحدٍ من الخلق أن يأتي بمثله.

يتألف القرآن من ١١٤ سورة في أكثر من ٦٠٠٠ آية، ويُقسّم إلى ٣٠ جزء و ١٢٠ حزب.

ثانيا: صحف إبراهيم

الصحف وصحيفه، يراد بها الشيء الواسع كما يقال صحيفة الوجه او وجه الأرض او القطعة العريضة، ثم استعلمت على صفحات الكتاب، وصحف إبراهيم يراد به الكتاب السماوي الذي انزله الله تعالى على إبراهيم، وجاء ذكره في القران الكريم بقوله تعالى﴿ إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ ﴾[الأعلى: ١٨ و١٩]، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ ﴾ [النجم: ٣٦ و٣٧][1].

ثالثا: التوراة

التوراة هي الكتاب الذي أنزله الله (تعالى) على موسى (عليه السلام)، وورد ذِكره في القرآن ثماني عشرة مرّة، ووصفه الله(تعالى) بالهدى، والنور، والفُرقان، قال الله (عزّ وجلّ): قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ ﴾ [المائدة: ٤٤] وأنه فيه تفصيل لكل شيء[2].

([1]) ينظر: المحيط في اللغة،١٩٣/١، الأمثل/ ناصر مكارم الشيرازي ، ١٧: ٢٦٥.

([2]) الايمان بالله والكتب السماويه/ علي الصلابي/ ١٥١ .

وتعني التوراة الشريعة وسميت في القرآن الكريم باسم (الصحف)، ولكنَّها أصابها التحريف لم تبقَ كما أُنزلت فقد حرفت من قِبَل اليهود لقوله تعالى: ﴿ مِنَ الَّذِينَ هادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَواضِعِهِ ﴾[النساء: ٤٦]، وتحريفهم شمل اغلب التوراة حتى ضاعت التوراة الاصلية[١].

وتعني التوراة الشريعة والقانون وتسمى الناموس وهي الشريعة التي وضعها موسى عليه السلام بوحي من الله[٢].

ويراد بالتوراة عند اليهود ((خمسة أسفار يعتقدون أنَّ موسى عليه السلام كتبها بيده، ويسمّونها (بنتاتوك) نسبة إلىٰ (بنتا) وهي كلمة يونانية تعني خمسة، أي: الأسفار الخمسة))[٣]، "السفر بالعبرية يعني كتاباً، ويُقَسَّم السفر إلى إصحاحات، ويُقسَّم كلّ إصحاح إلى فقرات، وتُقسَّم كلّ فقرة إلى مقاطع"[٤].

وأسفار التوراة هي: التكوين، الخروج، اللاويين، العدد، التثنية، ولم تدون هذه الاسفار الا بعد مرور ستة قرون عليها ودونت اول مرة في بابل خلال فترة السبي البابلي[٥].

رابعا: الزبور

هو كتاب سماوي انزله الله تعالى على النبي داود عليه السلام، وقد ذكر في القران الكريم قال تعالى﴿ وَآتَيْنا داوُدَ زَبُوراً ﴾ [النساء: ١٦٣].

ولعلَّ سفر المزامير الذي ورد في العهد القديم يتضمَّن جزءاً من ذلك الزبور، يقول **وليم ماش:**" وإنَّ أهمّ المصادر التي استقت منها المزامير يرجح أن تكون المجموعة الداودية الأُولى وهي من المزمور(٢– ٤١)، والمجموعة الداودية الثانية وهي من (٥١ – ٧٢) "[٦]. وفُسرَ الزبور بأنَّه كتاب داود (عليه السلام) والمسمّى بسفر المزامير في العهد القديم[٧]. وسفر المزامير أهمّية لدى اليهود والنصارى

---

(١) ينظر: الله والأنبياء في التوراة والعهد القديم/ محمّد علي البارّ، دار الشامية، الطبعة الأُولىٰ، بيروت ١٩٩٠م/ ٢٣٨.

(٢) ينظر: اليهودية والمسيحية/ محمد ضياء الرحمن الاعظمي، مكتبة الدار بالمدينة المنورة، ط١ ١٩٨٨م/ ١٠٤

(٣) دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية/ سعود بن عبد العزيز الخلف، أضواء السلف، ط١، ١٩٩٧م/ ٦٥.

(٤) موسوعة اليهود واليهودية/ عبد الوهّاب المسيري، دار الشروق، الطبعة الخامسة÷ عمان ٢٠٠٩م، ٥: ٢٠٨.

(٥) ينظر: اليهودية / احمد شلبي/ ١٧٢–١٧٤

(٦) السنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم/ تفسير سفر المزامير، وليم مارش/٦.

(٧) ينظر: تفسير الميزان/ الطباطبائي ، ١٤: ١٧٥، تفسير الأمثل/ مكارم الشيرازي، ٩: ٣٢.

ففيه الترانيم والاناشيد التي يرددونها في صلواتهم وله مكانة مرموقة لديهم حتَّى أنَّ العهد الجديد استشهد بنصوص هذا السفر لأكثر من مئة مرَّة[١].

خامسا: الإنجيل

هو الكتاب الذي أنزله الله تعالى على عيسى (عليه السلام)، والإنجيل كلمة ذات أصل يوناني من كلمة (أونجليون) ومعناها (خبر طيّب)، وقد ورد ذِكره في القرآن اثنتي عشرة مرّة، ووصفه الله تعالى في القرآن بأنّه هدى، ونور، وموعظة، قال الله تعالى:﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [المائدة:٤٦][٢].

والإنجيل:((الكتاب المقدَّس عند المسيحيين والمسمّى بـ (العهد الجديد)، ويتكوَّن من أربعة أناجيل، هي: إنجيل متّى، وإنجيل مرقص، وإنجيل لوقا، وإنجيل يوحنّا))[٣]، ويضاف لها اعمال الرسل أربعة عشر رسالة لبوليس، ورسائل الحواريين وسفر الرؤيا ويكون مجموع العهد الجديد سبع وعشرين سفرًا[٤]، والعهد الجديد وهو:" الميثاق الذي اخذه الله من عيسى"[٥]. وهناك أناجيل أُخرى لا تعتمد كون الذي يعتمده العالم المسيحي الاسفار السبعة والعشرون فقط من العهد الجديد ، وهذه الاناجيل لا تهمُّ الدراسة بالإمكان الرجوع لها في كتاب الفِرَق والمذاهب المسيحية[٦]. وتعرض الانجيل للتحريف من قبل القساوسة القساوسة والرهبان.

إن الكتب السماوية الحالية لا تعتمد كنصوص الهية كون التحريف قد نال منها، وأمَّا بالنسبة لأتباعها، يقول **شحادة بشير**:" يؤمنون أنَّها كلّها من مصدر واحد وهو الله عز وجل"[٧].

---

(١) ينظر: الكتاب المقدَّس، كتاب المزامير؛ الرهبانية اليسوعية في الشرق الأدنىٰ: ٢٢.

(٢) ينظر: المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم/ محمّد علي البار/ ١١٢، الإيمان بالقرآن الكريم والكتب السماوية/ علي محمد الصلابي، ط١، ٢٠١١م/١٥١.

(٣) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية/ عبد الوهّاب المسيري ٥: ٢٠٨.

(٤) ينظر: أطلس الأديان/ سامي عبد الله/ ١٧٩.

(٥) اليهودية والمسيحية/ محمد ضياء الرحمن الاعظمي، مكتبة الدار بالمدينة المنورة، ط١ ١٩٨٨م/ ١٠١

(٦) ينظر: الفِرَق والمذاهب المسيحية/ نهاد خياطة، دار الأوائل، الطبعة الثانية، دمشق ١٤٢٥هـ / ٤٧.

(٧) موسوعة الكتاب المقدَّس/ شحادة بشير(الموقع الالكتروني)/ ٢.

إن هذه الكتب قد ورد ذكرها في القران الكريم فانه يمكن اطلاق عليها الكتب السماوية وهو من باب اطلاق اسم الجزء على الكل كون ان جزء منها هو سماوي والجزء الآخر هو كتابات الرهبان والقائمين على تدوينها[١]. والباحثة تذهب مع هذا الرأي لكون القائمين على الكتب السماوية من رهبان واحبار قد حرفوا من الكلام الإلهي بما لا يتلائم مع امزجتهم وابقوا على الذي يتوافق مع مصلحتهم ولهذا فان في تلك الكتب كلامًا الهيًا ولكنه اختلط باقوالهم والتبس فيه.

المطلب الثاني: الظاهرة الدينيَّة وتبدياتها (دراسة استهلالية) .

مؤشر الدراسات الحديثة يؤكد أن الدين حاجة وجودية رافقت الإنسان منذ وجوده الأول ولازمته طوال مراحل التاريخ المختلفة، فتؤكد على حضوره العميق في المجتمعات وخدماته غير القليلة، وان النظريات التي ترى في منشأ الحاجة إلى الدين أمور معروفة، بإمكان الإنسان التغلب عليها، ومن ثَّم، الاستغناء عن الدين قد تهافتت بالتجربة الواقعية[٢].

ولذلك فان الدعوات العلمية الحديثة تدعو إلى اعتبار الدين بمثابة معطى علمي موضوعي مثله في ذلك مثل أي ظاهرة بشرية أو طبيعية. فلا يمكن أن تهمله الدراسات العلمية بحجة أنه وهم أو سراب أو شيء هلامي لا يمكن القبض عليه. إن هذه النقطة حاسمة لكي نخرج من العقل الذي يفسر ويجزئ موضوعه ويصنف ويحاكم دون أن يكشف فعلا عن الآليات الخفية للإيمان أو عن رزوحه المهيمن وآثاره ودلالاته. ويقصد من الإيمان هنا هو الكائن والمتمظهر لدى كل ذات بشرية والتي يعبر عنها

---

(١) ينظر: الأمثل/ ناصر مكارم الشيرازي: ١٧٨/١

(٢) يقول ويل وآريل ديورانت– الفيلسوف والمؤرخ الأمريكي صاحب كتاب قصة الحضارة– : " لقد علّمنا التاريخ أنّ الدين له أرواح عدّة، وكلما فقد واحدةً منها ومات؛ عاد مجددًا إلى الحياة بروح جديدة. وإنّ الله والدين ماتا في التاريخ أكثر من مرّة ثمّ بُعثا من جديد. إخناتون استخدم كل قوى الفراعنة ليقتل دين آمون، لكن في خلال سنة واحدة من موت إخناتون تم استعادة دين آمون. انتشر الإلحاد بين الشباب البوذي، وبوذى نفسه أرسى ديانة ليس لها إله؛ لكن بعد موته تطوَّرت البوذية إلى ديانة معقدة لها آلهتها، وقساوستها وجحيمها." دروس من التاريخ ، ويل وآريل ديورانت، ، ترجمة يوسف ربيع، الناشر: عصير الكتب – القاهرة، الطبعة الأولى– ٢٠٢٠م، ٨٣.

بالظاهرة الدينية، التي تقرأ الأديان من أكثرها بدائية إلى أكثرها تعقيدًا، فتحرث الأديان في عمق معتقداتها وتحللها وتخضعها لكل ما يُقال ويُعاش ويُركَّب داخل بنيتها الاجتماعية والفكرية[١].

ويعلل ذلك بأن منشأ هذه الحاجة الوجودية هو الإنسانُ نفسه، إذ هو " الكائنُ الوحيد الذي لا يكتفي بوجود ذاته، فيشعر على الدوام بافتقاره إلى ما يثيري وجودَه، لذلك لا يكفّ عن الاتصال بمنبع لا محدود للوجود، يتكرّس به وجودُه الشخصيّ، ويظلّ يعمل كلّ حياته على توسعة وجوده وإغنائه، من خلال السعي على العثور على ذلك المنبع اللامحدود للوجود، فإنْ عجز عن الاتصال بالمطلق عاش حالةَ ضياعٍ واستلاب وجودي "[٢].

ومن ثَّم، فان للدين وجود أصيل، ولكن الأهم هو في إمكانية عقلنته، أو **بتعبير مصطفى ملكيان** البحث عن "الدين المعقلن" فهذا الدين هو حق من جهة، ومصلحة من جهة أخرى. " فهو حق لأن بالإمكان إثباته منطقيًا والدفاع عنه، انه أرسخ أنماط الفهم العقلانية منطقًا. وهو مصلحة لأن الإنسان الحر بفطرته السليمة لا يتقبل القراءات الدينيَّة الخرافية والوثنية والأيديولوجية[٣].

فقد وجد أن الدين هو إحدى السمات الرئيسية التي ميزت هذا النوع عن غيره منذ اكتسابه للخصائص الإنسانية التي نحن عليها اليوم، إذ رافقته منذ ذلك الزمن المبكر كمحرض أساسي وهام في حياة البشرية عبر عصورها[٤].

- **الظاهرة الدينية**

---

(١) ينظر: الفكر الأصولي واستحالة التأصيل، د. محمد أركون ، ترجمة: هاشم صالح،الناشر: دار الساقي- بيروت، الطبعة الأولى- ١٩٩٩م/ ٤١-٤٢.

(٢) الدين والاغتراب الميتافيزيقي، د. عبد الجبار الرفاعي ، الناشر: مركز دراسات فلسفة الدين- بغداد، الطبعة الثانية- ٢٠١٩م/ ٢٧٠. وينظر: محمد مهدي شمس الدين، بين الجاهلية والإسلام، الناشر: المؤسسة الدولية للدراسات- بيروت، الطبعة الخامسة- ٢٠٠٠م/٢١٧٠- ٢١٨.

(٣) ينظر: التدين العقلاني، مصطفى ملكيان ، ترجمة: حيدر نجف، وعبد الجبار الرفاعي، الناشر: مركز دراسات فلسفة الدين- بغداد/ ٥.

(٤) ينظر: دين الإنسان ، فراس السواح ، ٤٢.

اجتهد كثير من العلماء في البحث عن الظاهرة الدينية وفهم ماهيتها واستقصاء أصولها وبالتالي البحث عن السر وراء تواجدها وأشكالها المتعدد عبر التاريخ، ولاشك في أن الظاهرة الدينية، كظاهرة اجتماعية سوسيولوجية، تتميز عن بقية الظواهر، بكونها تقع في حقل كثير التعقيد والتركيب، والظاهر فيها، لا يمثل إلَّا قمة جبل الجليد، الذي نعتقد أنه هو الأهم، بينما ننسى أن هناك ترسبات عميقة تكتنف كل الجليد.

الظاهرة لغة: لمصطلح الظاهرة العديد من المعاني اللغويّة؛ فهي عبارة عن حقيقة أو حدث قابل للرؤية أو الإدراك جاء في لسان العرب:" الظَّهْر من كل شيء خِلافُ البَطْن"[1]، وفي المعجم الوسيط: الظاهرة من الأرض المشرفة، والظاهرة من العين الجاحظة، وظاهرة الرجل عشيرته، والظاهرة الأمر ينجم بين الناس، يقال بدأت ظاهرة الاهتمام بالصناعة[2].

يتبين لنا أن الظاهرة لغويا هي: كل شيء ظاهر في المجتمع، فهي حقيقة أو حدث قابل للرؤيا أو الإدراك.

الظاهرة اصطلاحًا: هي كل شيء يدرك الإنسان وجوده، ويستطيع وصفه أو الحديث عنه[3].

وأما تعريف الدين، فلغة يأتي بمعنى الحكم، والجزاء، والطاعة، والانقياد، والمذهب، والشريعة[4]. ولو نظرنا في هذا المعاني سنجدها تتكلم عن طرفين الأول يتمتع بالقوة والسلطان والملك والقدرة، والثاني بالخضوع والانقياد.

---

(1) لسان العرب ، ابن منظور، ٥٢٠/٤.

(2) ينظر: المعجم الوسيط ، ٢/ ٥٩ باب الظاء.

(3) ينظر: الظاهرة الدينية في الفكر المعاصر، أسماء بنت عيسى، أطروحة دكتوراه- كلية العلوم الإسلامية- جامعة باتنه- الجزائر، ٢٠١٨م، ١٣.

(4) ينظر: معجم مقاييس اللغة ، ابن فارس ، ٢/ ٣١٩. والفيروزآبادي، القاموس المحيط، ١١٩٨ ، ابن منظور/ لسان العرب، ١٣/ ١٦٤.

والقرآن الكريم استعمل الدين بمعان، ومنها: الدين هو الحساب والجزاء[١]، والطاعة والإذعان[٢]، الدين هو العقيدة، أي ما يتعبد به الإنسان ويدين به[٣]، ويأتي بمعنى التشريع والقانون[٤]. ويرد بمعنى الدين[٥]، والإسلام[٦].

أما في **المعاجم الغربية** لفظة الدين " تعبر عن تلك الاعتقادات والطقوس التعبدية التي تربط علاقة الإنسان بقوى خارقة قد تتمثل في إله أو إلهة[٧].

وبالنسبة **للكتاب المقدس** نجد شرح لكلمة الدين في قاموس الكتاب المقدس، من دان يدين دين، الدينونه، وهذه الكلمات تطلق على حكم الله في الناس، والعديد من نصوص الكتاب المقدس تشير إلى هذا المعنى، وان الدينونه هي للرب المسيح فهو الديان الذي يقف البشر أمامه ليحاسبهم على أعمالهم[٨]، جاء في سفر التكوين(ديان كل الأرض)[٩].

وفيما يتعلق بالدين في الاصطلاح، إذ يرى كثيرٌ من العلماء ان من الصعب إيجاد تعريف للدين وتوضيح مفهومه بشكل يرضي الجميع أو يكون جامعًا مانعًا، إذ تم تعريفه بعشرات التعاريف، فهو ليس من سنخ المفاهيم الماهوية ولا الفلسفية ولا المنطقية. والسبب يعود إلى أن الدين مفهوم مركب اعتباري تبلور من أجزاء فرعية متعددة. يقول **جيمس فريزر**(١٨٥٤-١٩٤١)، الانثروبولوجي البريطاني في كتابه

---

(١) قال تعالى: : ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾[الفاتحة:٤]، ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾[الشعراء:٨٢].

(٢) قال تعالى: ﴿ إني أمرت أن اعبد الله مخلصا له الدين﴾ [الزمر:١١].

(٣) قال تعالى: ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّـهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ سورة آل عمران، ٨٣.

(٤) :﴿ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاء أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَاء أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلاَّ أَن يَشَاء اللّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّن نَّشَاء وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾[يوسف:٧٦].

(٥) قال تعالى﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ﴾.[الشورى:١٣].

(٦) قال تعالى: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ مَا جاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآياتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسابِ﴾ [ال عمران:١٩]

(٧) ينظر: الظاهرة الدينية في الفكر المعاصر ، أسماء بنت عيسى ، ٣٨.

(٨) ينظر:الكنيسة ، الكتاب المقدس، "العهد الجديد"، إنجيل متى، ٢/٧. وبطرس عبد الملك، وجون الكسندر وآخرون، قاموس الكتاب المقدس، الناشر: دار الثقافة- القاهرة، ١٩٩٥م، ٣٨٢.

(٩) الكنيسة/ الكتاب المقدس سفر التكوين، ١٨/ ٢٥.

الغصن الذهبي الذي صدر عام ١٩٢٢م:" ان صياغة تعريف واحد من شأنه أرضاء كل الآراء المتصارعة حول الدين هو أمر غير ممكن تحقيقه[١]. ولا أريدُأن أقتبس هذه التعريفات وانسج عليها، كما كما لا أريد أن أنشغل ببيان التعريف استنادًا إلى معايير أهل المنطق، بل سأقاربه بشكل عام، وأشير إلى مجموعتين من التعاريف، الأول من داخل الساحة الإسلامية، والثاني من خارجها(الغربية). ومن يود الاطلاع فأمامه دراسات ليست قليلة في هذا الحقل المعرفي.

يقول محمد حسين الطباطبائيّ (١٤٠٢هـ):" الدين هو مجموعة المعتقدات والقوانين التي تناسبها ممّا له جانب عمليّ في الحياة[٢]." ويقول العلامة الجواديّ الآمليّ في تعريفه للدين:" إنه مجموعة العقائد العقائد والأخلاق والقوانين التي جاءت لإدارة شؤون المجتمع البشريّ، وتربية الإنسان، فإذا كانت حقّةً سُمّي الدين بالدين الحقّ. وعليه: فإنّ الدين الحقّ هو دين نزلت عقائده وقوانينه من الله عَزَّ وَجَلَّ، والدين الباطل هو الذي جاء وُوضع ونُظّم من عند غير الله"[٣].

ويلاحظ على هذين التعريفين أنهما ينظران إلى الدين بما هو دين بغض النظر عن مصدره ومنشأ المعتقد به، فإن كان سماويًا سمي بالدين الحق، وإن كان وضعي سمي بالدين الباطل. فلا يمنع باطله وانحرافه من تسميته بالدين، ما دام الإتباع والمعتقد متجسد به.

وأما في الساحة الغربية، فيرى **هربرت سبنسر**– فيلسوف بريطاني (ت١٩٠٣م): أن الأديان على قدر اختلافها في عقائدها المعلنة، تتفق ضمنيًا في إيمانها بأن وجود الكون هو سر يتطلب التفسير. ولذا فإن الدين بالنسبة إليه هو:" الاعتقاد بالحضور الفائق لشيء غامض وعصي على الفهم"[٤].

وهناك من رأى أن الدين فكرته تقوم على **(الفوق الطبيعي)** لتجعل من هذا المعنى أساسًا معياريًا لعدد من التعريفات. فالمجتمعات تعتقد في عالم ما فوق الطبيعة بدرجات وأشكال مختلفة، يقول **موكس**

---

(١) James Frazier, The Golden Bough, Macmillan, London ١٩٧١ pp ٥٧-٥٨ (مصدر اجنبي غير مترجم)، نقلا من دين الانسان/ فراس السواح، منشورات دار علاء الدين للنشر والترجمة، ط٢، دمشق ٢٠٠٢م، ص ٢٥

(٢) الشيعة في الإسلام/ ٣.

(٣) الشريعة في مرآة المعرفة/ ٩٣– ٩٤.

(٤) H. Spencer , First Principles P٢٧ (queted in ; E . Durkheim , The Elementaary Forms Of Religious Life P٣٩)

موللر(ت١٩٠٠م) الفيلسوف ومؤرخ الأديان الألماني في كتابه (نحو علم للدين) أن الدين:" هو كدح من أجل تصور ما لا يمكن تصوره، وقول ما لا يمكن التعبير عنه؛ إنه توق إلى اللانهائي"[١].

نلاحظ أنَّ الناس اذا اطلقوا لفظ الدين، لا يقصده معظم الاستعمالات الكلمة التي وردت في المعاجم العربية والأجنبية، ولهذا فالمفهوم اللغوي لا يعطي المعنى الذي يريده الناس عند اطلاقهم لفظة الدين، المفهوم الاصطلاحي للدين هو اقرب للمعنى الذي يقصده الناس عند اطلاقهم لفظة الدين، ولكن المفهوم الاصطلاحي بطبيعة الحال يعتمد على بعض المفاهيم اللغوية.

ويبدو أن التباين في هذه التعريفات راجع إلى طبيعة الظاهرة الدينية وأبعادها وزوايا النظر فيها. فللدين سمات مختلفة أرجعها بعضهم إلى ستة أبعاد: ١- الاعتقاد. ٢- الشعائر. ٣- الأخلاق. ٤- الأسطورة. ٥- الاجتماع وقوانينه. ٦- التجربة (المعنوية).

وهناك من طوقها بثلاثة أبعاد:

١- الأحاسيس (فردية واجتماعية) وهي دليل على صدق العاطفة.

٢- الاعتقادات من ناحية البحث عن الأسمى.

٣- الاستجابة المناسبة وطبيعة التعامل[٢].

المقصد الأول: الدين الفردي.

في قاع الظاهرة الدينية ثمة خبرة فردية يعانيها الإنسان في أعماق نفسه وبمعزل عن تجارب الآخرين. فإذا كان لكل بناء سامق أساس يقوم عليه، فإن بناء الدين إنما يقوم على هذا النوع من الخبرة الدينية الفردية. وإذا أردنا الإخبار عن هذه الخبرة الأساسية، اعتمادًا على الاستبطان وعلى شهادة الآخرين ممن عبروا عن تجاربهم تلك، قلنا إنها إحساس أولاني متمكن من السيكولوجيا الإنسانية، قوامه مواجهة فريدة مع قوة شمولية منبثة في هذا العالم، تبدو متصلة به قدر استقلالها عنه؛ إنه المقدس الكلي وقد صار ماثلا في النفس التي تختبر حضوره بكليتها وفي معزل عن أي موقف عقلاني نقدي. وكما

---

(١) Max Muller, Introduction . To The scinnce Of Religion P . ١٨ (queteed in ; E.Durkheim, op .cit, p ٣٩

(٢) ينظر: حدود الدين ومدياته ، مصطفى كريمي ، ٣٨.

لاحظ رودولف أوتو، بحق، فإن هذا الإحساس هو واقعة نفسانية، لا تنشأ عن أية إرادة أو تصميم مسبق، بل العكس هو الصحيح تمامًا؛ ذلك أن الفرد يجد نفسه تحت سلطان هذا الإحساس، دون مقدرة منه على توجيهه أو التحكم به، فهو ضحيته أكثر منه خلقًا له. ونظرًا لهذا الطابع الانفعالي غير العقلاني الذي تتسم به التجربة، فإن التعبير عنها بلغة الواقع المعاش ومفردات التجارب اليومية، هو أمر على غاية من الصعوبة[١].

وهذا الحس الديني أو الخبرة الفردية الدينية، هو القاع الذي تحكيه مسيرة الحياة الروحية والأخلاقية للإنسان وخبرته في الحياة. ولذلك من غير السليم ما يذهب إليه بعض المفكرين من أن الدين ينبغي أن يدرس كأية ظاهرة بشرية مقطوعة الصلة عن طبيعة وجود البشر، ولا تبرير أو تفسير لوجودها وتطورها خارج عوالم البشر الحسية، وكأن الدين كأية ظاهرة مجتمعية يمكن أن نفهمها في إطار فهمنا لسواها من الظواهر[٢].

وهذا لا يعني القول بتصويب كل دين أو الإعلان عن أن كل دين مصدره وحياني، بل أريد القول أن الدين توق أنطولوجي عميق للروح كي تتصل بوجود مطلق، يكرسها ويسمو بها، سواء أكان هذا المطلق هو الله، أو مطلقًا تنسجه المخيّلةُ. هذا التوق هو ما يفسر لنا ما لا يقبل التفسير العقلاني لتفشي الصور الزائفة للمطلق، التي يستلهمها كثيرون في تغذية التعصب والنزاعات العدوانية لدى البشر، وفي إنتاج الأوهام والخرافات التي يضج بها أكثر الأديان[٣].

الدين على وفق هذا الاتجاه هو حالة فردية معنوية إيمانية، لذلك يقول الفيلسوف البريطاني (**جون لوك**) (ت١٧٠٤م) :" إن الدين فردي خاص معانيه في النفس واستنباطه من ذات النفس، ويستحيل على إنسان آخر أن يهديني في الدين صراطًا مستقيمًا إذا لم تهدني نفسي"[٤].

([١]) ينظر: دين الإنسان، فراس السواح ، ٣٠- ٣١.

([٢]) ينظر: الدين والاغتراب الميتافيزيقي، عبد الجبار الرفاعي ، ٧٣.

([٣]) ينظر: المصدر نفسه ، ٧٤.

([٤]) نقلًا عن زكي نجيب محمود/ حياة الفكر في العالم الجديد، الناشر: دار الشروق- القاهرة، الطبعة الثانية- ١٩٨٢م، ٢٥.

وفي حال إفساح المجال للحس الفردي وتجربته الدينية واقتحامه لساحة الشعور وتجاوزه كل مقاومة مصطنعة، فإن الفرد غالبًا ما يلجأ إلى تحويل مساره ليصب في عقيدة مؤسسة ومصاغة في قالب ثابت، تنشأ حولها طقوس معروفة للجميع تدفع عن الفرد وطأة المجابهة المباشرة مع الإحساس بالقدسي. **يقول كارل غوستاف يونغ:**" لقد كان هناك منذ فجر البشرية ميل ظاهر إلى رسم حدود للتأثير فوق الطبيعي، العاصف والتحكمي، وذلك في صيغ شرائع محدودة. وعلى مدى الألفين من السنين الماضية، مثلًا، نجد الكنيسة المسيحية قد اتخذت لنفسها دور الوساطة والوقاية بين هذه التأثيرات والإنسان[١]."

وفي العقيدة والطقس المؤسسين اجتماعيًا، تذوب الخبرات الفردية في خبرة مشتركة، هي الدين الجمعي. وأما أولئك الأفراد الذين يستسلمون للخبرة المباشرة دون التماس عون من معتقدات وطقوس جمعية، فهم من طينة المتصوفة ومؤسسي الديانات. فعند هؤلاء تبلغ الخبرة الفردية المباشرة درجة عالية من الشدة، تنتج ما يعرف بحالة الوحي، وهي أعلى حالات المواجهة بين الخبرة الفردية والمقدس الكلي. وأعلى درجات الوحي، وهي الدرجة التي تدعو إلى الفعل، إلى تغيير المعتقد السائد بدلًا من الهروب إليه، أي أن وطأة الخبرة الفردية تدعو إما إلى تحويلها إلى مسار العقيدة الجمعية، أو تحويل العقيدة الجمعية إليها[٢]. وهذا ما نقرأه في تجربة النبي إرميا في التوراة يقول:" قبل أن أصورك في البطن عرفتك، وقبل أن تخرج من الرحم قدستك وجعلتك نبيًا للأمم.. ثم مد الرب يده ولمس فمي وقال: ها أنا أضع كلماتي في فمك؛ انظر ها أنا قد وليتك على أمم وشعوب لتستأصل وتهدم وتبدد وتقلب وتبني وتغرس [٣]."

وفي الرؤية الإسلامية فان "القرآن الكريم خطاب مباشر للإنسان، وحوار بينه وبين الله، يتحدث فيها الله للإنسان كما يتحدث فيه الإنسان لله، تارة يتحدث فيه الإنسان بكلمات الأنبياء وغيرهم من البشر على اختلاف مواقفهم، وأخرى يتحدث فيها الله مع المجتمعات وتتحدث المجتمعات مع الله، من خلال مواقفهم وكلماتهم المعلنة. وهو حوار يتضمن الكثير من الصراحة، والتعبير الحر عن الآراء والمواقف،

([١]) الدين في ضوء علم النفس/ ترجمة: نهاد خياطة، دمشق ١٩٨٨م/ ٢٧.

([٢]) ينظر: دين الإنسان ، فراس السواح ، ٣٢.

([٣]) الكنيسة، الكتاب المقدس، العهد القديم، أرميا، ١/ ٤-١٠.

التي تستفهم، وربما تستنكر وعدًا أو فعلا إليهًا، وقد لا تصغي لله أحيانًا. ولو لم يكن الإنسان بهذه المثابة من الاحترام والتبجيل عند الله لما تحدث معه وحاوره بكل ما ورد في كتابه. لذلك نجد القرآن يشدد على قدسية حياة الإنسان، ويبجل كرامته وينظر إلى فرديته بوصفها مناط مسؤوليته، كما تقول الآية الشريفة: ﴿**كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ**﴾ [المدثر:٢٨] فلو ضاعت فرديتُه تضيع مسؤوليته العظمى، بوصفه خليفة لله في أرضه[١]،" قال تعالى: ﴿ **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً**﴾[البقرة:٣٠].

المقصد الثاني: الدين الجمعي

تتخذ الظاهرة الدينية سمتها الجمعية عندما يأخذ الأفراد بنقل خبراتهم المنعزلة إلى بعضهم بعضًا، في محاولة لتحقيق المشاركة والتعبير عن التجارب الخاصة في تجربة عامة، وذلك باستخدام مجازات من واقع اللغة وخلق رموز تستقطب الانفعالات الدينية المتفرقة في حالية انفعالية مشتركة، وهذا ما يقود إلى تكوين معتقد، وهو حجر الزاوية الأساس الذي يقوم عليه الدين الجمعي[٢]. فهنا تتعاون عقول الجماعة، بل وعقول الأجيال المتلاحقة ضمن هذه الجماعة، على وضع صيغة مرشدة لتجربتها. وعندما يضع المعتقد الديني في صيغته الناجزة وأطره الثابتة، يجد الأفراد أنفسهم مضطرين، وبدافع الميكانيكية التي تربط الفرد إلى الجماعة، إلى التماثل معه، وإلى فهم وتفسير خبراتهم وفقه. ومع المعتقد الذي ترسخ الآن يظهر الطقس المنظم، وهو أقوى أشكال التعبير عن الخبرة الدينية وقد انتقلت إلى مستواها الجمعي. فمن خلال القرابين والرقص والحركات الدرامية التي تؤدي وفق سيناريو ثابت، تعمل الجماعة على دمج الاستجابات الانفعالية المتفرقة في استجابة ذات طابع مؤسس عام، ترسم موقف الجماعة من القدسي

---

(١) ينظر: الدين والاغتراب الميتافيزيقي ، عبد الجبار الرفاعي ، ٩٤.

(٢) يذهب **ماكس مولر** إلى أن نشأة الدين إلى أفعال قوية مارستها الطبيعة على الإنسان، فأثارته، ويرى أن ثمة مرحلتين في نشأة الدين: **الأولى** تكمن في التأمل، والعجب، والدهشة، التي دفعت الإنسان إلى التفكير في أنه محاطٌ بقوى مستقلة عن إرادته، **والثانية:** هي التعبير عن هذا التفكير عن طريق اللغة، وقد عبّر الإنسان عن هذه الطبيعة وقواها في استعمالات لغوية كثيرة انفصلت عن التعبير المباشر بواسطة المجازات، ثّم أصبحت هذه المجازات قائمة بذاتها، فتحوّلت إلى آلهة، ولا سيَّما مع تطور اللغة، وابتعادها عن مرحلة تكوّن تلك المجازات لغويًا، وهكذا فرضت اللغة على الطبيعة علما خياليا من الكائنات الروحية، التي أصبحت محرّكة للطبيعة، وجوهر المعتقد الديني. ينظر: خزعل الماجدي، علم الأديان، الناشر: مؤسسة مؤمنون بلا حدود للنشر والتوزيع، لبنان– بيروت، الطبعة الثانية– ٢٠١٩م / ٤٤–٤٥.

الذي تستشعر حضوره الشامل في النفس وفي الطبيعة. ومع المعتقد أيضًا تظهر الأسطورة التي تعمل على توضيح الاعتقاد وتجذيره[١].

ويعتقد كارل غوستاف يونغ بوجود جدلية لا غنى عنها بين الدين المؤسس اجتماعيًا وبين الخبرة الدينية الفردية المباشرة. وهو يرى أن للدين وظيفة نفسية كبيرة الأهمية في المجتمع لأنه يقدم للأفراد جملة من الرموز الموظفة في معتقد وطقس منظمين كبير الأهمية في المجتمع، لأنه يقدم للأفراد جملة من الرموز الموظفة في معتقد وطقس منظمين تنظيمًا مكينًا، من شأنها التعويض عن الخبرة الدينية المباشرة ورد غائلتها في الأحوال الشديدة [٢]. وقد شرح حالات كثيرة من مرضاه النفسانيين الذين واجهوا تجربة دينية سحيقة، يقول: " إذا جاءني مريض كاثوليكي، نصحت له بالاعتراف والمناولة لكي يدفع عن نفسه غائلة الخبرة المباشرة، أما إذا جاءني مريض بروتستانتي فما كانت النصيحة مفيدة له، لأن العقيدة والطقوس غدت في البروتستانتية باهتة خافتة، حتى لقد فقدت تأثيرها إلى حد كبير. يضاف إلى ذلك، أن الكاهن البروتستانتي قد خضع لتدريب علمي في معاهد لاهوتية قضت على براءة الإيمان.[٣]"

المقصد الثالث: المؤسسة الدينية

إذا كان الدين ظاهرة عرفتها المجتمعات الإنسانية القديمة والحديثة، وهو حاضر في الأمم البدائية وأمم الحداثة وما فوق الحداثة، بوصفه ضرورة إنسانية واجتماعية لا يمكن للإنسان الاستغناء عنها على المستوى الفردي والجماعي. فإن المؤسسة الدينية هي ظاهرة اجتماعية حديثة نسبيا في تاريخ الحضارة الإنسانية، فقد أكدت نتائج التنقيب الأركيولوجي في مواقع أو فترات العصر الحجري أن الجماعات البشرية عاشت وفقًا لمعتقداتها ومارست طقوسها وقصت أساطيرها، لعشرات الألوف من السنين، دون مؤسسة دينية تشرف وتوجه وتجعل من نفسها السلطة المرجعية العليا. وربما قام أفراد متميزون، في مجتمعات العصر الحجري والمجتمعات القروية الأولى، بالإشراف على الطقوس الدينية والتوسط بين

([١]) ينظر: دين الإنسان ، فراس السواح ، ٣٨- ٣٩.

([٢]) ينظر: الدين في ضوء علم النفس/ ٥٣.

([٣]) الدين في ضوء علم النفس/ ٥٥.

العالم الدنيوي والعوالم القدسية، إلَّا أن هؤلاء لم يتخذوا صفة الكهان الموسومين ولم يتمتعوا بسلطة مطلقة على الحياة الدينية لجماعاتهم[١].

إذا كان ظهور المؤسسة الدينية مرتبط بحضارة المدينة وبمدى تطور البنى والمؤسسات الاجتماعية والسياسية في مجتمع المدينة، وفي المجتمع الذي تشكل لأول مرة في المشرق العربي القديم. وصار في ما بعد الشكل المميز للحضارة العالمية. ويبدو أن نقطة الشروع في ظهور المؤسسة الدينية ارتبط بالمستوى الاقتصادي وتطوره، ومن شأن ذلك أن يحقق فائض دائم في الإنتاج يسمح بتفريغ عدد لا بأس به من الرجال والنساء للإشراف على المعابد وإدارة الشؤون الدينية. ويبدو أن هذه النواة الأولى من رجال الدين الذين لا يعملون في الزراعة وإنتاج الغذاء، كانت الوحدة الأساسية في بنية المدينة. فبعد إقامة المعبد الكبير، تركزت حوله مجموعة من النشاطات المرتبطة به[٢].

والمعلومات التاريخية المتوفرة في مواقع المدن الأولى في سومر، تظهر الارتباط الوثيق، والتزامن، بين تطور المؤسسة الدينية وتطور المؤسسة السياسية. وليس قيام ملوك دويلات المدن السومرية بالجمع بين السلطة الزمنية والسلطة الروحية، إلَّا مثالًا على هذا الارتباط؛ فالملك السومري كان يحمل لقب (إن) الذي يتضمن معنى الملك بالمفهوم السياسي الذي نعرفه، وأيضًا معنى الكاهن الأعلى[٣].

مع بيان أن المؤسسة الدينية هي كيان مصطنع مفروض على الحياة الدينية، وأن ظهورها وتطورها كان مرهونًا بظروف تعقد الحياة الاجتماعية، ولم تكن في يوم من الأيام عنصرًا لا غنى عنه لدين الناس[٤].

وهذه المؤسسة الدينية سنرى– ولا سيَّما في المسيحية– كيف لعبت دورًا هامًا في صياغة مفهوم الخطيئة والبوح والاعتراف والتوبة واشتراطاتها وتمثلاتها في الدين، وتضاريس المعتقد فيه، وأثر ذلك في

---

(١) S.H. Hook, Bobylonian Assyrigian Religion . p; ٨٦.

(٢) ينظر: دين الإنسان ، فراس السواح ، ٤٢ ، المؤسسة الدينية المفهوم والأشكال، ولغرس سهيلة ، مجلة: الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية، العدد الثاني– ٢٠١٢، ٢١٥– ٢١٦.

(٣) ينظر: دين الإنسان، فراس السواح ، ٤٣.

(٤) ينظر: دين الإنسان، فراس السواح / ٤٣.

صناعة التدين الشكلي الذي يتحول إلى غطاء لبعض الأمراض النفسية التي تتخذ من هذا التدين قناعًا لها. كما سيتضح لنا– في فصول الدراسة– كيف ساهمت المؤسسة الدينية من خلال صناعتها لمفهوم التوبة برفد التدين العنيف والمتشدد والمتنطع والمغالي أقنعة يتلفعون بها، وكيف حولت وانحرفت بالطقوس من مقاصدها الروحية والأخلاقية إلى غايات بذاتها، وهو ما يعبر عنه بـ (توثين الطقوس) .

الفصلُ الأوَّلُ

اليهودية وتمظهرات التوبة في التأريخ والمعتقد

- المبحثُ الأوَّلُ: اليهودية النشأة ومساراتها التأريخية في الظهور
- المبحثُ الثَّاني: منابعُ المعرفة في اليهودية وأفكارها .
- المبحثُ الثَّالث: الخطيئةُ والتوبة وموقف اليهودية منها

الفصلُ الأوَّلُ

اليهودية وتمظهرات التوبة في التاريخ والمعتقد

توطئة:

إنَّ دراسة كل دين وتمثلاته في حياة الفرد والمجتمع ، وأَنماط التدين فيه وتكشف مدوناته ومنابع المعنى وتأثيراتها في صناعة المعرفة وأَدوات التفسير والتحليل ضرورة مهمة لتحقيق صيرورته عبر التاريخ وكيف خضعت تعبيرات الدين وتجلياته في الحياة للفهم والتفسير .

وهذا يستوجب دراسة ((معادلة مثلة للفهم ، إذ لا بد أن يعاينَ الدارسُ ذلك الدين بوصفه نصاً مقدسًا أولاً ، ويتعرف ثانياً على شخصية الإنسان المعتقِد بهذا النصّ فرداً ومجتمعاً ، ويكتشف طبيعة الواقع الذي يعيش فيه هذا الانسان وكُّل ما يحفل به عصرهُ ثالثاً . وهذه العناصر الثلاثة تشكل توليفةً متفاعلةً يؤثر كلٌّ منها بالآخر ويتفاعل معه . لذلك تختلف أَنماط التدّين تبعاً لاختلاف البشر أفرداً ومجتمعات ، واختلاف واقعهم وعصرهم وثقافتهم ، واختلاف كيفية تلقيهم لنصوصه المقدسة ، فربما يكون التّدينُ دافئاً ، رحيماً، كما لدى البعض من الأشخاص الذين يولدون في واقع يستمعون فيه إلى صوت المحبة والعطف والشفقة والتراحم ، ويحظون بتربية وتعليم سليمين . وربما يكون التدّينُ شديداً ، قاسياً ، عنيفاً بلا رحمة ، كما لدى معظم الأشخاص الذين يتعرضون إلى اضطهادٍ وعنفٍ في العائلة والمجتمع ، ولا يحضون بتربية وتعليم سليمين))[1].

وهذا ما نحاول مقارنته في تحليل التوبة في اليهودية وكيف تمظهرت في تاريخهم الذي اشترك في صياغة معتقداتهم الدينية ورؤيتهم للحياة .

ويبدو لي أنَّ اليهودية من أكثر الأديان التي عاشت مع الواقع جدلية في التأثر والتأثير .

فقد لعب الواقع الذي عاشته الأثر الكبير في نحت رؤيتها الدينية وترسب فيها كأحفورة لا تّمحى مهما كانت تصاريف الزّمن .

([1]) الدين والاغتراب الميتافيزيقي، عبد الجبار الرفاعي ، مركز دراسات فلسفة الدين – بغداد ، ط٢ ، ٢٠١٩م ، ص١٠١.

تقول جاكلين الشابّي :((إننا غالباً ما نميل إلى الاعتقاد فيما يتعلق بالشّأن الدّينَّي ، بأنّ المتعالي الماورائي ، هو الذي يقود زمام منهم الأشياء وإدراكها . ولكن هذا غير صحيح دائماً ،إذ إن الواقع الملموس هو الذي يصنع أحياناً التصور ويدمغة . فالفكر ينصهر في ضرورات الفضاء الذي يعيش فيه ويصطبغ بها))[1].

ومن ثم فان دراستنا الظاهرة التوبة في اليهودية هي محاولة لوضع اليهودية في سياقها التاريخي ، في المجتمع الذي عاشت فيه ، وصُنعت منابع المعنى فيها . وهذا يعني أنّ العمل لا يُقرُّ حقيقة قطعية – باستثناء ما قدمه القرآن الكريم من رواية في مقارنته لهم – بل يقدم تفسيرات ومقاربات للحظة اليهودية في الماضي .

وتحليل ذلك ما توحيه جدلية الدين والواقع نضع خارطة بحثية ننجز فيها التوبة وتموضعاتها في تضاريس المعتقد الديني اليهودي وتاريخه ، فنجعله بالمباحث الآتية :

([1]) ربُّ القَبائل ، ترجمة : ناصر بن رجب ، الناشر : دار الجمل ، الطبعة الأولى –٢٠٢٠، ٩ .

المبحث الاول

اليهودية النشأة ومساراتها التاريخية في الظهور

المطلب الأوّلُ: التسمية ودلالاتها التاريخية في التراث اليهودي

المطلب الثاني: المسارات التأريخية في ظهور الديانة اليهودية

المبحث الأول : اليهودية النشأة ومساراتها التاريخية في الظهور.

إنَّ أول دين دعا الى تجريد إلاله من الأَوثان وظواهر الطبيعة هو الدين اليهودي الذي ينتمي إلى دين النبي ابراهيم الخليل، واليهودية ديانة توحيدية اوحيت الى انبياء بني اسرائيل غير أَن اليهود لم يكونوا في كل عصورهم موحدين ولم يدينوا دوما بالتوحيد وان هناك لبساً في عقيدتهم التي اعتنقوها، واليهودية ديانة سامية قديمة عاصرت الحضارات والعقائد الشرقية القديمة وتأثرت بها[١].

المطلب الاول: التسمية ودلالاتها التاريخية في التراث اليهودي

عرف الدين اليهودي بكثير من التسميات تبعا للأحداث التي مر بها المجتمع اليهودي وبسبب هذا التعدد أصبح من الضروري التفريق بين المسميات إذ يستخدم (عبراني، اسرائيلي، يهودي) من قبل البعض دون التفريق بينهم فالحقيقة ان لكل تسمية دلالات تاريخية ودينية متباينة وهي تدل على معنى خاص يشير الى حقبة معينة من التاريخ اليهودي[٢].

ولذلك سأعرض هذه التسميات وهي(العبراني، والاسرائيلي، اليهودي) مع ترتيبها تاريخياً حسب أَولوية الظهور.

أولاً: عبراني

اختلفت الآراء فيه وهي:

الرأي الأول: جاءت من العبرية والجمع عبريم وقد اشتقت كلمة عبري في أَلاصل من الفعل الثلاثي عبر بمعنى قطع مرحلة من الطريق أَو عبر الوادي أَو النهر... وفي اللغة العربية الجهة الأَخرى التي يستلزم الوصول إِليها واجتيازها وعبورا[٣].

الرأي الثاني: ذهب **أَحمد شلبي** أَن العلماء لا يتفقون على معنى عبري، فالعبري يراه بعض العلماء هو المنحدر من ذرية ابراهيم وان ابراهيم سمي عبرانيا لأنه عبر النهر ويحتمل ان يكون نهر

---

(١) ينظر: مقارنة الأديان دراسة في عقائد ومصادر الأديان السماوية، طارق خليل السعدي ، الدار العلوم العربية للطباعة والنشر، ط١، بيروت ٢٠٠٥م، ص ٢٩

(٢) ينظر: تاريخ الديانة اليهودية، محمد خليفة حسن، دار قباء للطباعة والنشر، ط١، القاهرة ١٩٩٨م، ص٢٩

(٣) ينظر: اليهود تاريخ وعقيدة ، د. كامل سعفان، دار الاعتصام، د. ط/ د.ت ، ص ٢٩

الفرات او نهر الاردن، وهناك راي اخر ان التسمية جاءت باسم احد اجداد ابراهيم يدعى(عبر) وقد نسب به ابراهيم[١].

إما الدكتور **اسرائيل ولفنسون** لا يرضى بهذه الآراء إذ يرى أنَّ كلمة عبري لا ترجع الى حادثة معينة او شخص انما ترجع لموطنهم الاصلي لان بني اسرائيل كانوا امة بدوية مترحله لا تستقر بمكان فهم يبحثون عن الماء والمراعي[٢].

الرأي الثالث: وهناك من يرى أنَّ كلمة عبري تعني قطع مرحلة من الطريق او النهر وهي تدل على التحول والتنقل الذي يختص به اهل البادية البدو الرحل فالكلمة تقابل كلمة بدوي عند العرب، وكان الكنعانيون والمصريين يطلقونها على بني اسرائيل ليميزوهم من سكان العمران ولما استوطن بني اسرائيل في كنعان صاروا ينفرون من هذه الكلمة ويسمون انفسهم بني اسرائيل فقط[٣].

الرأي الرابع: ذهب **محمد خليفه حسن** إلى القول:" ويحمل لفظ عبري دلالة اخرى منها الدلالة على غربة الشعب المسمى بهذا الاسم، فقد ورد عبر في مواضيع كثيرة من التوراة بمعنى الغريب أو الاجنبي"[٤].

مع الاشارة إلى أنَّ القران الكريم لم ترد فيه لفظة عبري على الاطلاق ولم يشير الى أي احداث تاريخية او دينية مرتبطة بهذه التسمية[٥].

ويبدو أنَّ النبي إبراهيم(عليه السلام) هو أول من دعي بهذا الاسم في التوراة ومن ثّم فان كثير من العلماء يرجحون أنَّ التسمية ناتجة من عبور نهر الفرات، ويستنتج أنَّ التسمية لم تظهر إلا بعد اجتياز النبي إبراهيم النهر[٦].

---

(١) ينظر: اليهودية، احمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية، ط٢، القاهرة ١٩٨٨م: ٤٦، تاريخ الديانة اليهودية، محمد خليفه حسن، ص٢٢

(٢) ينظر: تاريخ اللغات السامية، اسرائيل ولنفنسون، مطبعة الاعتماد ، ط١، مصر١٩٢٩م: ص ٧٧-٧٨

(٣) ينظر: المصدر نفسه، ص ٧٧-٧٨.

(٤) تاريخ الديانه اليهودية/ ٢٢.

(٥) المصدر نفسه/ ٤٣.

(٦) ينظر: بنو اسرائيل/ محمد بيومي مهران /٣٠.

وفي المسيحية وردت اشارة إلى عبراني في بعض مواضع العهد الجديد وبنفس معناها عند اليهود[١].

ويتحصل أَن لمعنى عبري هي من قطع الطريق أَو النهر أو أنها سمة أتصف بها من سكن الصحراء أي المتنقل او هي دلالة على اللغة التي تحدث بها القوم وهي اللغة العبرية القديمة.

ثانياً: إسرائيلي

إنَّ للتسمية اسرائيلي دلالتان احداهما خاصة وأخرى عامة، وهذه التسمية يفضلها اليهود على غيرها من التسميات فهم يعتزون بها ويفتخرون[٢].

وللدلالة العامة حكاية مرتبطة بالنبي يعقوب ، لا تخلو من تصورات اسطورية صنعها مخلية المجتمع اليهودي ، فجاء في التوراة :((فبقي يعقوب وحده وصارعه انسان حتى طلوع الفجر. ولما رأى انه لا يقدر عليه ضرب حق فخذ يعقوب. في مصارعته معه. وقال اطلقني لأنه قد طلع الفجر. فقال لا اطلقك أن لم تباركني فقال له ما اسمك فقال يعقوب. فقال لا يدعي اسمك فيما بعد يعقوب بل إسرائيل. لأنك جاهدت مع الله والناس وغلبت))[٣].

لا تخلو هذه القصة من عناصر اسطورية وخرافة تم وضعها لتعليل تغيير اسم يعقوب الى إسرائيل... بالإضافة الى ما ورد فيها من تشبيه وتجسيد للذات الالهيه [٤].

ورد في قاموس الكتاب المقدس أن إسرائيل تعني الشخص المنتصر على الله، وان لتسمية إسرائيل معاني كثيرة ويقصد بها أحياناً نسل يعقوب بن اسحاق[٥].

ويقدم لنا الشيخ الطبرسي لمحةً جميلةً في هذا الموضوع يقول إن إسرائيل هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم(عليه السلام) وإن (اسر) تعني (العبد) و(ئيل) بمعنى الله، فيكون معنى إسرائيل عبد الله.

---

(١) ينظر: تاريخ الديانه اليهودية، محمد خليفه، ص ٤١.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٤

(٣) الكنيسة، الكتاب المقدس ، سفر التكوين ، الاصحاح العشرون ، ٢٣ وما بعدها .

(٤) ينظر: تاريخ اليهودية، محمد خليفه حسن ، ص ٢٤ .

(٥) ينظر: قاموس الكتاب المقدس، ص ٥٣

واضح أن ما تتحدث عنه التوراة من مصارعة بين يعقوب والملك الإلهي، أو بين يعقوب والله، خرافة وسخافة لا تتناسب إطلاقاً مع الكتاب الإلهي، وهي أوضح دليل على تحريف التوراة الموجودة [1].

ويعزز ذلك أن اسم إسرائيل ورد في القران الكريم ولكن القرآن لم يقرنه بتعليل او تبرير غير مقبول قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسۡرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ مِن قَبۡلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوۡرَىٰةُۗ قُلۡ فَأۡتُواْ بِٱلتَّوۡرَىٰةِ فَٱتۡلُوهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾ [آل عمران: ٩٣]، قال المفسرون ان إسرائيل هو يعقوب عليه السلام [2].

والاسم الجديد يعني المصارع مع الرب أَو المجاهد مع الرب، وفيه دخلت التسمية الجديدة لليهود بعد العبراني اصبحوا يطلقون على انفسهم إسرائيليون أَو بني إسرائيل تيمننا بالاسم الجديد ليعقوب.

وورد الاسم (إسرائيلي) كذلك في الانجيل وبنفس دلالته في اليهودية ولكن ادخل إليه معنى جديد للتسمية لتدل على المسيحي ولتدل على الكنيسة المسيحية لكونها إسرائيل الجديدة [3].

ويرى البعض أنَّ ثمة خلفيات عنصرية تكمن في اتخاذ اليهود لتسميتهم بالاسرائيلي ، يقول محمد خليفه حسن:" إن التوراة هدفت بهذه التسمية الجديدة إلى فصل نسل إسحاق (عليه السلام) ونسل إسماعيل (عليه السلام)... فهذه اسطورة هدفها عنصري بحت أَلا وهو تخصيص نسل يعقوب وتسميتهم بالاسرائيلين وجعل النبوة والوحي محصور في نسل إسحاق فقط "[4].

ويبدو أَن هذه الأسطورة واحدة من الأَساطير التي تم اختلاقها في التوراة والتي تؤكد على النزعة العنصرية التي أدت إلى ظهور عدد من المفاهيم الدينية عند اليهود مثل الاختيار الإلهي وشعب الله المختار، وكذلك مفهوم الخلاص الذي جعل الخلاص الإلهي قاصرا على بني إسرائيل دون غيرهم من

([1]) ينظر: مجمع البيان، الطبرسي، ١٦٩/١، الأمثل، ناصر مكارم الشيرازي، مدرسة الامام علي ابن ابي طالب ، ط١/ ايران – قم ١٤٢٦هـ، ١٨٢/١

([2]) ينظر: التبيان، الطوسي، ٥٣١/٢؛ مجمع البيان، الطبرسي، ٣٠٧/٢، الامثل، ناصر مكارم الشيرازي، ١٦٩/١،٥٩٧/٢

([3]) ينظر: اسرائيل، محمد بيومي مهران ، ٣٥/١.

([4]) تاريخ الديانة اليهودية ، ص ٢٥

البشر، وتم تغيير اسم الأرض التي يسكنونها من ارض فلسطين أَو أَرض كنعان الى ارض إسرائيل وتبلورت عندهم المفاهيم الدينية الى أن جعلت ان مفهوم الاله الواحد هو اله الاسرائيليين فقط[١].

يتحصل أن الدلالة العامة للتسمية تطلق على كل العبريين بعد تغيير اسم يعقوب واصبح التعبير بنو إسرائيل بدلا من العبريين، وحصل ذلك في عهد يعقوب (عليه السلام)، ويرجح العلماء أنه في القرن التاسع عشر قبل الميلاد.

إما الدلالة الخاصة فهناك من يرى أن التسمية بالأسرائيلي تكمن بالأبعاد السياسية التي عاشوها وهي بانشقاق مملكة سليمان بعد موته إلى مملكتين متصارعتين، مملكة إسرائيل في الشمال ومملكة يهوذا في الجنوب وحصل ذلك عام ٩٣٢ ق م، ونتج عن ذلك استخدام التسميتين (إسرائيلي، يهودي) حيث كل تسمية تعبر عن الانتماء إلى كيان سياسي مستقل[٢].

فيتضح لنا عمق الحضور التاريخي في تسميتهم ، واحالاته في وجودهم وتدخلاتهم في صناعة علاقتهم بالإله وتصوراتهم عنه فالدلالة العامة أو الخاصة في التسمية تكشف لنا عن ظاهرة اجتماعية شاملة في تاريخهم وعلى مختلف المستويات من حيث الابعاد الاجتماعية والعقدية والثقافية والسياسية ...

ثالثا: التسمية يهودي

مؤشر الدراسات يلمح إلى أن لتسمية اليهودي دلالةً عامة ودلالةً خاصة. فهي من ناحية دلالاتها العامة تسمية تطلق على كل من يعتقد في الديانة اليهودية ويؤمن بها ويمارس طقوسها وشعائرها. وأَما الدلالة الخاصة فهي تشير إلى الانتماء إلى كيان سياسي جغرافي هو مملكة يهوذا [٣].

وسميت اليهودية بذلك نسبة إلى اليهود، وقد تعددت أسباب تسمية اليهود بهذا الاسم؛ ويؤشر بعضها إلى عنوان التوبة الذي رافقهم كثيراً وذلك لكثرة ابتعادهم عن الصواب ، فقيل في ذلك أقوال منها[٤]:

---

(١) ينظر: في الفكر الديني الإسرائيلي اطواره ومذاهبه، حسن ظاظا، معهد البحوث والدراسات العربية، د. ط ، ١٩٧١م، ص ١٢-١٣، اليهودية، محمد بحر عبد، مركز الدراسات الشرقيه- جامعة القاهرة، د. ط/ د.ت ، ص١٥.

(٢) ينظر: تاريخ الديانة اليهودية، محمد خليفه ، ص ٢٦-٢٧ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٢٩ .

(٤) ينظر: تهذيب اللغة، الجوهري:٣٦/٢(هاد)، لسان العرب، ابن منظور:٤٣٩/٣(هود)، اليهودية واليهودية المسيحية، فؤاد حسين، معهد البحوث والدراسات العربية ، ١٩٦٨م، ص٣؛ اسرائيل، محمد بيومي مهران،٣٨/١ .

١) أنهم سموا يهوداً نسبة إلى يهوذا بن يعقوب، الذي ينتمي إليه بنو إسرائيل الذين بعث فيهم موسى عليه السلام فقلبت العرب الذال دالاً.

٢) نسبة إلى الهَوَد: وهو التوبة، والرجوع، وذلك نسبة إلى قول موسى عليه السلام لربه: إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ[الأعراف: ١٥٦] أي: تبنا ورجعنا إليك يا ربنا. قال ابن منظور: الهود: التوبة، هادَ يهود هوداً، وتهوَّد: تاب ورجع إلى الحق؛ فهو هائد، وقومٌ هُوْد مثل حائك وحُوك، وبازل وبُزْل.

٣) نسبة إلى التقرب والعمل الصالح، قال زهير بن أبي سلمى:

سوى رَبَعٍ لم يأتِ فيه مخافةً ولا رهقاً من عابد متهود

فالمتهود: المتقرب، والتهود: العمل الصالح

٤) من الهوادة، وهي المودة، فكأنهم سموا بذلك؛ لمودة بعضهم بعضاً.

وقد رجح الكثير من المفسرين أن يهود من الهوادة وهاد الرجل أي رجع وتاب[١].

وناقش الدكتور محمد خليفة حسن ما ذهب اليه اغلب المفسرين في اشتقاق كلمة يهود فيقول:((إن اشتقاق يهود من هاد يجعل الكلمة عربية الأصل وهذا ما نشك فيه لان الدلائل التاريخية والدينية التي سبقت شروحها تشر الى غير ذلك. وهو أن الكلمة ليست عربية الأصل وبالتالي فاشتقاقها من هاد بمعنى تاب او رجع ليست صحيحا))[٢].

ويستكمل فيقول:((نرجح أن المعنى المقصود من التعبير القرآني (الذين هادوا) هو الذين دانوا باليهودية أي اليهود. وليس المقصود منه الذين تابوا ... كما ظن كثير من المفسرين ولو لقينا نظرة سريعة على كل الآيات التي وردت فيها العبارة لوجدنا انها تقصد مباشرة اليهود أو الذين دانوا باليهودية))[٣].

---

(١) ينظر: جامع البيان، الطبري(ابو جعفر، ت ٣١٠هـ) ، ١٤٣/٢؛ التبيان، الطوسي(محمد بن الحسن، ٤٦٠هـ):٢٧٧/١، التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٤٧٦/٥، النكت والعيون، الماوردي، :٢٢/٢، مجمع البيان، الطبرسي(الفضل بن الحسن، ت ٥٧٤هـ)، ٢٢١/١ .

(٢) تاريخ الديانة اليهودية ، ص٥٠ .

(٣) المصدر نفسه .

ولو نظرنا في المسيحية سنجد أن تسمية اليهودي تدل على الدين والشعب الذي يدين باليهودية، وفي العهد الجديد سادت التسمية يهودي على التسميات الأخرى كالعبري والاسرائيلي بالرغم من وردهما في بعض مواضع العهد الجديد[١].

وأَما في القرآن الكريم فالتسمية باليهودي وردت مرة واحدة بقوله تعالى ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [آل عمران: ٦٧]، قال المفسرون أن هذه إشارة واضحة أن دين إبراهيم هو الإسلام، وما ابتداع من تسميات أخرى كاليهودية والمسيحية الغاية منها هو ربط الأنبياء بشعب او عنصر معين وهذا ما رفضه القران[٢]، قال الطوسي:" ... اليهود قالت: كان ابراهيم يهوديا، وقالت النصارى كان نصرانيا، فأكذبهم الله في ذلك بإنزال هذه الآية "[٣].

والقرآن الكريم قد استخدم التسمية مسلمون على أنبياء بني إسرائيل في اكثر من آية منها قال تعالى﴿ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [سورة البقرة:١٣٢]، كما أن القرآن رفض تسمية انبياء بني إسرائيل بانهم يهود او نصارى، قال تعالى ﴿ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة:١٤٠]، قال السيد محمد حسين الطباطبائي:((... إن الدين الحق الذي كان عليه أولاد إبراهيم من إسماعيل وإسحاق ويعقوب وأولاده كان هو الاسلام الذي كان عليه إبراهيم حنيفا، استنتج من ذلك أن الاختلافات والانشعابات التي يدعو إليها فرق المنتحلين من اليهود والنصارى، أمور اخترعتها هوساتهم، ولعبت بها أيديهم لكونهم في شقاق، فتقطعوا بذلك طوائف وأحزابا دينية، وصبغوا دين الله سبحانه – وهو دين التوحيد ودين الوحدة، بصبغة الأهواء والاغراض والمطامع، مع أن الدين واحد كما أن الاله المعبود بالدين واحد وهو دين إبراهيم، وبه فليتمسك المسلمون وليتركوا شقاق أهل الكتاب))[٤].

---

(١) ينظر: اديان العرب قبل الإسلام، الاب جرجس داود، ص ٢٢١.

(٢) ينظر: تفسير الطبري، ١٠٨/٣، مجمع البيان، الطبرسي، ٣٦٦/١ ، مفاتيح الغيب، الرازي ٤٨٤/٩، تفسير ابن كثير ٤٤٨/١، الوسيط طنطاوي ، ٦٣٧/١ .

(٣) التبيان، الطوسي ، ٤٩٢/٢ .

(٤) الميزان، الطباطبائي ، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، ط١، بيروت ، ١٩٩٧م ، ٣١/١ .

يفهم من كلام الطباطبائي ضمنًا أن الدين واحد وهو الإسلام ، نعم قد تعددت الشرائع والقوانين انسجامًا مع متغيرات الأَحوال لكن الصيغة والدعوى واحدة.

وقد يفهم البعض من ورود لفظة يهود في القرآن الكريم مرات عديدة أنه يقبل بهذه التسمية ، ولكن الصواب غير ذلك فما جاء انما هو تقرير لأمر واقع واثبات أن اللفظ تم استخدامه بالفعل في التاريخ ليدل على جماعة.

إن في الوقت المعاصر تستخدم التسمية (عبري) للدالة على اللغة والأَدب، والتسمية (إسرائيل) دلالة سياسية إلى كل من ينتمي إلى الكيان الصهيوني، والتسمية (يهودي) إلى من يدين باليهودية وانحصر استخدامها بهذا المعنى الديني[١].

يتضح من خلال العرض السابق للتسميات المختلفة التي سمي بها اليهود الآتي :

١) إن كل تسمية تدل على مرحلة تاريخية معينة من التاريخ اليهودي
٢) إن تسمية عبري تدل على أَقدم مرحلة في تاريخ اليهود وهو الاسم الذي اكتسبوه خلال هجراتهم المتعددة وظل يستخدم كدلالة عليهم الا أَن تغيير اسم يعقوب، وتسمية عبري لم ترد في القرآن
٣) تسمية (إسرائيل) بدأ استخدامها عندما تغيير اسم يعقوب الى إسرائيل، واستخدمت هذه التسمية في القران للتعريف بهذه الجماعة، وفي العهد الجديد استخدمت بنفس دلالتها عند اليهود واضيف اليها استخدام اخر هو الدلالة على المسيحي الجديد، وكان في استخدامها هو تخصيص لنسل يعقوب واستبعاد نسل إسماعيل.
٤) التسمية (يهودي) قد مرت بتطورات إلى أن اكتسبت المعنى الديني الذي أصبحت تشير اليه هو الديانة اليهودية، أَو الشخص الذي يدين باليهودية.

---

(١) ينظر: اليهودية، احمد شلبي، ص ٤٧

المطلب الثاني: المسارات التأريخية في ظهور الديانة اليهودية

العبرانيون ساميون أي انهم ينتمون إلى العرق السامي الذي ينتسب إليه الاشوريون والعرب نشأوا في شمال الصحراء العربية وعاشوا حياة البداوة حالهم حال بقية القبائل البدوية، وهم ينتمون إلى يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم وقد نشأ إبراهيم في العراق(اور) وقد سخر من عبادة قومه وخرج على دينهم وحط اصنامهم وقد حاربوه وحاولوا احراقه ولكن الله انجاه، فهاجر مع زوجته وابن أخيه لوط وبعض اقاربه ومن امن معه الى حران ثم الى كنعان، ولكنهم لم يختلطوا مع سكان المناطق المحيطة بهم كونهم أرادوا الحفاظ على دينهم من عبدة الاوثان المحيطين بهم فاعتزلهم إبراهيم وامن معه، وبعد وفاة إبراهيم خلفه ابنه إسحاق على العبرانيين وبعد إسحاق يعقوب، ولكن العزلة أصبحت طابع العبرانيين حتى عندما انحرفوا وعاد اكثرهم الى عبادة الاصنام وكانت العزلة طابعهم في ارض مصر كذلك بسبب سياسات حكام مصر عليهم[١].

وقد اطلق أهل كنعان على إبراهيم ورفاقه العبريين، وسكنوا في بقاع كنعان ونعموا فيها بخير ولكنهم اعتزلوا أهل المنطقة ولم يختلطوا فيهم، ولا تُعلم الفترة التي قضاها إبراهيم ورفاقه في كنعان ولكنه هاجر إلى مصر حيث الفراعنة ، وعاد العبرانيون إلى أَرض كنعان مرة اخرى[٢].

وحتى نفصل تاريخ اليهود بأبرز محطاته التي صنعت السياق والمحيط الذي تطورت فيه عقيدتهم وايمانهم نجعله بالعناوين الاتية:

المقصد الأول: انتقال النبي يعقوب(إسرائيل) وأولاده الى مصر

خلال فترة سيطرة الهكسوس على مصر هاجر بنو إسرائيل الى مصر نتيجة لقحط شديد اصابهم وكانت هجرتهم بناءً على دعوة من النبي يوسف احد أبناء يعقوب[٣].

يرفض (**John B. Noss**) كاتب مادة اليهودية في موسوعة الأديان قصة هجرة بني إسرائيل في عهد يعقوب، بل يرى أن هجرة العبرانيين كانت في عهد إبراهيم وبقوا هناك أجيال حتى اعتلى عرش

---

(١) ينظر: اليهودية، John B. Noss، ترجمة عبد الرزاق العلي، المندرج في كتاب موسوعة الأديان، تحرير فراس السواح، الناشر التكوين ، ١٠٥/٥، التوراة عرض وتحليل، فؤاد حسين، ص ١٣- ١٤ .

(٢) ينظر: اليهوديه احمد شلبي ، ص٤٥-٤٨، اديان ومعتقدات العرب، سميح دغيم، ص ٥٥ .

(٣) ينظر: موسوعة اليهود واليهودية، عبد الوهاب المسيري ، ٢١٧/١٥، اليهودية ، احمد شلبي، ص٥١-٥٧، إسرائيل، محمد بيومي مهران ، ١٩٧/١-١٩٩.

مصر رمسيس الثاني الذي سخرهم واستعبدهم لبناء المعابد الضخمة والصروح الكبيرة، الا أن ظهر زعيم من بينهم وانقذهم من كارثة الاستعباد واخرجهم من مصر، وهذا الرجل هو موسى[١].

وترى الباحثة أَنَّ قصة يوسف(عليه السلام) قد وردت في القرآن الكريم ولهذا فهي من القصص الواقعية ، وأن ما ذهب اليه (John B. Noss)، يدخل ضمن سلسلة إعادة تشكيل الأديان على وفق معطيات علم الآثار الذي يقوم على معطيات غير قطعية مُسَلَّمٌ بها.

ويلاحظ أن بني إسرائيل استمروا على حالتهم الانعزالية حتى عند هجرتهم الى مصر وعدم الاختلاط بسكان المنطقة، وقد طلبوا من فرعون أَن يسكنهم في منطقة جاسان فاستجاب لهم[٢].

وزاد عدد بنى إسرائيل في مصر بمرور الزمن حتى وصل في تقدير التوراة إلى اكثر من ستمائة الف، ويلاحظ هنا أن هذه هي الهجرة الثانية من فلسطين إلى مصر، وأما الأولى فكانت من العراق إلى فلسطين في عهد إبراهيم (عليه السلام)[٣].

ثم بعد وفاة يوسف (عليه السلام)، وانهاء المصريين حكم الهكسوس، تغيَّر الحال على بني إسرائيل وانقلب عليهم الفراعنة طغياناً وعتوًّا واستضعافاً لبني إسرائيل، فاستعبدوهم وأذلوهم، وقد المح القرآن الكريم لذلك في أكثر من مورد[٤].

وتربى موسى في قصر الفرعون وعندما شب أَدرك أنه من بني اسرائيل فقرر أن يكون ظهيراً لهم وتفاقم بزمانه الاضطهاد والجور على بني اسرائيل وصادف أن قتل أحد المصريين على يد موسى بعد

---

(١) ينظر: اليهودية، John B. Noss، ترجمة عبد الرزاق العلي، المندرج في كتاب موسوعة الأديان، تحرير فراس السواح، الناشر التكوين، ١٠٥/٥-١٠٦

(٢) ينظر: اليهودية، احمد شلبي، ص ٥٨-٥٩ ، سفر التكوين، ٤٢ /٥ ، ١١-١٢.

(٣) تاريخ الديانة اليهودية، محمد خليفة حسن أحمد ص ١٩٤

(٤) قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴾ [القصص: ٤-٦] ، فكان الفراعنة يقتلون الذكور ويستحيون الإناث، وكان موسى من مواليد هذه الفترة ولكن الله انجاه وفي القران الكريم تصوير لطفولة موسى قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ ﴾ [القصص: ٧].

أن استغاث به رجل من قومه فهرب موسى حتى وصل الى ارض مدين والتقى بالنبي شعيب وتزوج ابنته بصداق لأبيها ثمان حجج وبعد ان اتم الميقات فكر في الرجوع الى مصر فعاد وفي طريق العودة في طور سيناء اضاع الطريق فقال لأهله امكثوا اني ابصرت نارا أو هاديا يدلني الطريق عندها كلمة الله تعالى ودعاه لمواجهة فرعون[1] وبذلك بدأت رسالة موسى، ودعا موسى عليه السلام، فرعون إلى الإيمان بالله، وأن يترك دعوة الناس إلى عبادة نفسه، وأن يرفع العذاب عن بني إسرائيل، ويسمح لهم بالخروج من مصر، فأبى فرعون ذلك، واستمرَّ في تعذيب بني إسرائيل[2].

المقصد الثاني: خروج بني إسرائيل من مصر

خرج موسى عليه السلام ببني إسرائيل بأمر الله عز وجل له بذلك[3]، فيرى البعض أَن موسى(عليه السلام) كان قائداً في الجيش المصري في حملته على الحبشة وأنه عرض رسالته مع البراهين والمعجزات التي عنده فرض فرعون ذلك واستمر على معاملته الشديدة مع بني إسرائيل وقد ضاق بهم وجاءوا الى موسى ﴿ قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف : ١٢٩]، فطلب موسى من فرعون أَن يطلق بني اسرائيل ويسمح لهم بعبادة الههم يهوه ورفض فرعون كذلك فدبر موسى وخرج سرا[4].

إنَّ سبب شكوى بني إسرائيل إلى موسى على ما يراه ابن كثير لانهم يعرفون به منقذهم، قال **ابن كثير**:((فالمعروف أن بني إسرائيل كلهم آمنوا بموسى، عليه السلام، واستبشروا به، وقد كانوا يعرفون نعته وصفته والبشارة به من كتبهم المتقدمة، وأن الله تعالى سينقذهم به من أسر فرعون ويظهرهم عليه))[5].

---

(1) ينظر: سورة طه : ١٠ – ١٤ .

(2) ينظر: سورة الاعراف: ١٢٧، مقارنة الاديان دراسة في عقائد ومصادر الاديان السماوية، طارق خليل ، ص ٣٥-٣٦ .

(3) قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِيٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [الشعراء: ٥٢ – ٦٠].

(4) ينظر: مقارنة الاديان دراسة في عقائد ومصادر الاديان السماوية، طارق خليل ، ص٣٧ .

(5) تفسير ابن كثير، ٢٨٨/٤ .

وثمة رأي آخر يقول إن فرعون سمح لهم أن يخرجوا إلا أن مكيدةً حصلت من نساء بني إسرائيل حيث حملن معهن ممتلكات للمصريات حسب ما ترويه التوراة فتقول((حينما تمضون انكم لا تمضون فارغين بل تطلب كل امرأة من جارتها ومن نزيلة بيتها امتعة فضة وامتعة ذهب وثيابا تضعونها على بنيكم وبناتكم فتسلبون المصريين))[١][٢].

وسواء أكان الرأيُ الأول أم الثاني فقد لاحقهم فرعون بغية منعهم من السفر فلحق بهم في شاطئ خليج السويس قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [الشعراء: ٦١ – ٦٦].

فكان الرد من الله تعالى بإغراق فرعون وجنوده بعد أن منع العبادة لسواه ، قال تعالى﴿ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ﴿٢٦﴾ ﴾ [النازعات: ٢٥ – ٢٦] ، وعلل الله تعالى ذلك بقوله ﴿ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٣٦] وبذلك خرجوا من مصر بعد معجزات اجراها الله على يد النبي موسى[٣].

ويرى بعضهم أن التفاف بني اسرائيل حول موسى لم يكن لانهم آمنوا به كنبي مرسل بل نظروا اليه كمخلص لهم من استعباد فرعون، وعقدوا معه اتفاق ان يؤمنوا به بشرط ان ينجيهم ويوفر لهم سبل العيش الرغيد، وعندما خرجوا ولم يجدوا ما كان ينعمون فيه من خيرات زراعيه في مصر ثارت ثائرتهم على موسى نادمين على خسارتهم الحياة في مصر[٤].

وقد سجلت التوراة هذا التمرد والتضجر الاسرائيلي جاء فيها:((ليتنا متنا اذ كنا جالسين عند قدور اللحم ناكل خبزا للشبع فانكما اخرجتمونا الى هذا الفقر لكي تميتا كل هذا الجمهور بالجوع))[٥].

---

(١) الكنيسة ، الكتاب المقدس ، سفر الخروج ، ٢١/٣ .

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب، الرازي، ٩٨/٢، تفسير الدر المنثور، ٣٥٨/٧ .

(٣) ينظر: مقارنة الاديان دراسة في مصادر وعقائد الاديان، ص ٣٨ .

(٤) ينظر: موسوعة تاريخ الاديان، تحرير فراس السواح ، ٥/ ١١١-١١٤، مقارنة الاديان دراسة في مصادر وعقائد الاديان، طارق خليل، ص٣٩ .

(٥) الكنيسة ، الكتاب المقدس ، سفر الخروج ، ٢/١٦-٣ .

المقصد الثالث: خروجُ بني اسرائيل من مصر

من المفارقات المسجلة على بني إسرائيل أنهم بعد خروجهم من مصر طلبوا من موسى أن يجعل لهم صنماً إلهاً، وفي هذا يقول الله عز وجل:﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَآئِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْاْ عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُواْ يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَـهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ إِنَّ هَؤُلاء مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ قَالَ أَغَيْرَ اللّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَـهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾[الأعراف: ١٣٨-١٤٠][١] ولما ذهب موسى (عليه السلام) لموعده مع ربِّه، أضلَّ السامريُّ بني إسرائيل، وصنع لهم عجلًا مسبوكًا من الذهب ودعاهم إلى عبادته، فعبدوه في غياب موسى (عليه السلام)، وقد حذَّرهم هارون(عليه السلام) ونهاهم عن ذلك[٢].

وتقول التوراة:((ولمَّا رأى الشَّعبُ أنَّ موسى أبطأَ في النُّزولِ مِنَ الجبَلِ اجتَمَعوا على هرونَ وقالوا لَه: (قُمِ اصنَعْ لنا آلِهَةً تسيرُ أمامَنا. فهذا الرَّجلُ موسى الّذي أخرَجَنا مِنْ أرضِ مِصْرَ لا نعرِفُ ماذا أصابَهُ. فقالَ لهُم هرونُ: إنزَعوا حَلَقَ الذَّهَبِ الّتي في آذانِ نِسائِكُم وبَنيكُم وبناتِكُم وجيئوني بِها، فنزَعَ جميعُ الشَّعبِ حَلَقَ الذَّهَبِ الّتي في آذانِ نِسائِهِم وجاؤوا بِها إلى هرونَ. . فأخذَها منْ أيديهِم وأذابَها وسَكبَها في صَنَمٍ على صورَةِ عِجْلٍ. فقالَ الشَّعبُ: هذِهِ آلِهتُكُم يا بَني إسرائيلَ، آلِهتُكُمُ الّتي أخرَجتْكُم مِنْ أرضِ مِصْرَ... فقال الرب لموسى اذهب لأنه قد فسد شعبك ... وصنعوا لهم عجلا مسبوكا وسجدوا له وذبحوا))[٣].

إن التوراة تنسب صنع العجل لهارون وهذا بلا شك كذب اليهود وتحريفهم للتوراة واتهامهم الانبياء زورا، ونسبهم للنبي هارون صناعة العجل هي احد افعالهم وتحريفهم للكتاب، بينما القران الكريم بين ان مَنْ صَنع العجلَ هو السامري وليس هارون قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدۡ فَتَنَّا قَوۡمَكَ مِنۢ بَعۡدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾... الى قوله... وَلَقَدۡ قَالَ لَهُمۡ هَٰرُونُ مِن قَبۡلُ يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوٓاْ أَمۡرِي ﴿٩٠﴾ قَالُواْ لَن نَّبۡرَحَ عَلَيۡهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرۡجِعَ إِلَيۡنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ ﴾[٤]. ولما رجع موسى عليه السلام إلى قومه غضبان أسفا، لتركهم عبادة الله والتوحيد

---

(١) ينظر: مجمع البيان، الطبرسي،٣٠٧/٤

(٢) ينظر: سورة طه:٩٠-٩١ ، دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، سعود عبد العزيز، ص ٥٠ .

(٣) الكنيسة، الكتاب المقدس ، سفر الخروج ، ١/٣٢-٨

(٤) سورة طه، ٨٣ – ٩١.

وعودتهم للوثنية وعبادة العجل وأحرق موسى العجل، ودعاهم للتوبة من فعلتهم ، وتلك كانت أولى الدعوات الجماعية للتوبة في اليهودية[١].

وعندما دعا موسى بني اسرائيل لقتال الجبابرة الذين يسكنون فلسطين فأبوا القتال قال تعالى ﴿ قَالُواْ يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴾[المائدة: ٢٤] ، فهناك دعا موسى عليه السلام ربَّه عزَّ وجلَّ بقوله: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي لا أَمْلِكُ إِلاَّ نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ [المائدة:٢٥] ، فحكم الله عليهم بالتيه بقوله:﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ فَلاَ تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ [المائدة: ٢٦]، فظلوا تائهين المدة التي قضى الله عليهم. ومات في هذه الفترة موسى عليه السلام، وكان هارون عليه السلام مات قبله أيضاً[٢].

وتولي يوشع بن نون قيادة بني اسرائيل إذ اختاره موسى اختاره قبل وفاته، فاتجهوا إلى الشمال الى فلسطين ودخلوها من جهة نهر الاردن[٣].

رابعًا: حياةُ بني اسرائيل في فلسطين

يقسم المؤرخون حياةَ بني اسرائيل في فلسطين إلى ثلاث حقب:

الحقبة الأولى: عهد القضاة: إن يوشع بن نون لما فتح فلسطين، قسَّم الأرض المفتوحة على أسباط بني إسرائيل، فأعطى لكل سبط قسماً من الأرض، وجعل على كل سبط رئيساً من كبرائهم، وجعل على جميع الأسباط قاضياً واحداً يحتكمون إليه فيما شجر بينهم، وهو يمثل الرئيس لجميع الأسباط، واستمر هذا الحال ببني إسرائيل قرابة أربعمائة عام فيما يذكر اليهود، وكان بينهم وبين أعدائهم حروب دائمة يكون النصر فيها لبني إسرائيل مرَّة ولأعدائهم أُخرى، وفي هذه المرحلة بدأت حياتهم تتغير فنتقلوا من البداوة الى الاستقرار[٤].

الحقبة الثانية: عهد الملوك: وهو العهد الذي بدأ فيه الحكم ملكيًّا، وقد قصَّ الله علينا خبر أول ملوكهم في قوله عز وجل:﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُواْ لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا

---

(١) ينظر: مقارنة الاديان دراسة في مصادر وعقائد الاديان، طارق خليل، ص ٤٠

(٢) ينظر: دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، سعود عبد العزيز، ص ٥١

(٣) ينظر: مقارنة الاديان دراسة في عقائد ومصادر الاديان، طارق خليل، ص٤٢

(٤) ينظر: دراسات في الاديان اليهودية والنصرانية، سعود عبد العزيز، ص ٥٢

نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ﴾ [البقرة:٢٤٦] فجعل الله عزَّ وجلَّ عليهم طالوت ملكاً، فقبلوه على كره منهم، ويسمونه في كتابهم شاؤول. وملك عليهم بعده داود (عليه السلام)، ثم ابنه سليمان (عليه السلام)، وكان عهدهما أزهى العهود التى مرت على بني إسرائيل على الإطلاق، وذلك لما أوتيه هذان النبيَّان الكريمان من العدل والحكمة مع الطاعة والعبادة لله عزَّ وجلَّ[١].

الحقبة الثالثة: عهد الانقسام: هو العهد التالي لسليمان (عليه السلام) حيث تنازع الأمر بعده رحبعام بن سليمان عليه السلام ويربعام بن نباط، فاستقل رحبعام بسبط يهوذا وسبط بنيامين، وكوَّن دولة في جنوب فلسطين عاصمتها (بيت المقدس)، وسُميت دولة يهوذا نسبة إلى سبط حكامها، وهو سبط يهوذا الذي من نسله داود وسليمان عليهما السلام وملوك تلك الدولة. واستقلَّ يربعام بن نباط بالعشرة أسباط الأخرى، وكوَّن دولة في شمال فلسطين، سُميت دولة إسرائيل وجعل عاصمتها نابلس، وأهل هذه الدولة يسمون لدى اليهود بـ (السامريين)، نسبة إلى جبلٍ هناك يسمَّى (شامر) اشتراه أحد ملوكهم وهو (عمري) وسمَّاه نسبة إلى صاحبه السامرة، وسُميت منطقتهم (السامرة). ويلاحظ أن السامريين – وهم شعب دولة إسرائيل– غيَّروا قبلتهم من بيت المقدس إلى جبل يسمى (جرزيم) ويعتبرهم اليهود من شعب يهوذا ملاحدة وكفاراً؛ لتغييرهم القبلة. ثم إنَّ الدولتين كان بينهما عداء وقتال، وكان يحدث في بعض الفترات من تاريخهما توافق وتعاون، وكانت دولة إسرائيل كثيرة القلاقل والفتن وتغيَّرت الأسرة الحاكمة فيها مراراً عديدة. أما دولة يهوذا فاستقر الحكم في سبط يهوذا في ذرية سليمان بن داود (عليه السلام)، وكانت تقع على الدولتين حروب من جيرانهم الأراميين، والفلسطينيين، والأدوميين والموآبيين كما أن الدولتين وقع من حكامهما وشعبيهما عبادة للأصنام في كثير من الأوقات وخاصة دولة إسرائيل واليهود السامريين[٢].

خامسًا: المراحل التي مرت بها اليهودية

١) **مرحلة ديانة الآباء:** وتعد شخصية ابراهيم عليه السلام هي الشخصية الدينية الأساسية في مرحلة الآباء، حيث كان هو المتلقي الوحيد للوحي الإلهي، كذلك مُستقبِل للأوامر الإلهية في ثوب الطاعة التامة؛ وتعتبر حياته نموذجا لحياة الإيمان كما أنه أول من نبذ عبادة الأصنام معترفاً بإله واحد،

---

(١) ينظر: اليهودية احمد شلبي، ص ٧٣–٧٦ .

(٢) ينظر: دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية ، سعود بن عبد العزيز الخلف: ص ٥٤، مقارنة الاديان، دراسات في عقائد ومصادر الاديان، طارق خليل، ص ٤٦ .

ويمكن تسميتها بالمرحلة الاولى للديانة اليهودية، حيث اعتمد فيها بني اسرائيل على ماجاء به ابراهيم وهو النهج الذي سار عليه الانبياء من بعده[١].

٢) **مرحلة ديانة موسى:** المرحلة الثانية من مراحل تطور اليهودية كعقيدة وشريعة، هي مرحلة موسى (عليه السلام)؛ وهي أهم مرحلة في هذا التطور الديني لأنها الفترة التي تم فيها الاعتماد على الوحي كمصدر للعقيدة والشريعة. ومن المهم هنا الإشارة إلى أن العقيدة الأساسية التي تمت بلورتها خلال عصر موسى عليه السلام هي عقيدة التوحيد، فكما يبدو من صفحات التوراه، فإن التوحيد كان توحيداً خاصاً بالإسرائيليين وذلك لأن هناك إشارات إلى وجود آلهة أخرى لأقوام آخرين غير الإسرائيلين. وهذا يعني أن الإله الاسرائيلي لم يكن الوحيد الموجود آنذاك، فقد كان هناك آلهة أخرى إلا أنها لا تخص الإسرائيليين[٢].

٣) **مرحلة تطور الديانة اليهودية بعد موسى:** اضيفت خلال هذه المرحلة مفاهيم جديدة بعد عصر موسى نتيجة احتكاك اليهود بشعوب المنطقة فقد تاثروا بالكنعانيون وبيئتهم الوثنية المخالفة تماما لعقيدة موسى وكان لهذا الديانة ثاثير كبير على بني اسرائيل ودينهم، ولكن التأثير الكبير كان عندما احتكوا مع حضارة بلاد النهرين، فقد انقسمت مملكتهم ووقع الجزء الشمالي منها تحت التاثير الاشوري ثم اكمتل سقوط المملكة تحت الحكم البابلي وحتى بداية العصر الفارسي[٣].

٤) **مرحلة الديانة اليهودية في فترة السبي:** في هذه الفترة تدهورت أَوضاع اليهود ووقعوا تحت السبي البابلي عام ٥٨٦ ق.م، يقول الدكتور محمد خليفه حسن:((وظهر عامل جديد عام كان له تأثيرُ كبير في تطور الديانة اليهودية. وهذا العامل هو بداية ظهور النبوة بمفهومها اليهودي وتطورها الى أن اصبحت الظاهرة الاساسية خلال فترة السبي البابلي. ولهذا يطلق على هذه الفترة عصر النبوة الكلاسيكية وذلك لتميزها عن العصور الدينية السابقة واللاحقة))[٤].

([١]) ينظر: مقارنة الاديان، دراسات في عقائد ومصادر الاديان، طارق خليل ، ص ١٩٤.

([٢]) ينظر: تاريخ الديانة اليهودية، محمد خليفة حسن أحمد، ص ١٩٦.

([٣]) ينظر: اليهودية، احمد شلبي، ص ٨١-٨٤ .

([٤]) تاريخ الديانه اليهوديه ، ص ٢٠٦.

وخلال هذه المرحلة تم تدوين التوراة وتثبيتها وبالتالي تثبيت الشرائع الواردة فيها وكان العصر الفارسي (٥٣٨- ٣٣٢ق.م) فترة استقرار لليهودية فقد سمح لهم بالعودة الى فلسطين وانهاء السبي البابلي واعادة بناء الهيكل وعودة اورشليم كمركز ديني للحياة اليهودية[١].

٥) **المرحلة اليونانية والتلمودية:** خرجت الديانة من العصر الفارسي وهي ديانة شبه مكتملة في عقائدها وفي هذه المرحلة سيطر اليونان بقيادة الاسكندر الاكبر على الشرق الاوسط ومن ضمنها فلسطين وبهذا بدأت مرحلة جديد فقد تعرضت فيها اليهودية الى خطر كبير حيث وقفت عاجزة امامه وهو الغزو الثقافي اليوناني فقد جاء اليونان بمهج للتفكير مختلف عن المنهج اليهودي كون المنهج اليهودي يعتمد على الوحي باعتباره عنصر اساسي والمنهج اليوناني منهج عقلي مادي لا يعترف بالوحي، وبذلك انقسم اليهود على انفسهم حيث رفض قسم الثقافة اليونانية واعتبرها خطر عليهم وقسم ايدها وذهب في مجراها وقسم اخر حاول التوفيق بين الاثنين، وفي المرحلة التلمودية تطورت الديانة اليهودية حيث ان التلمود سجل التشريعات الدينية المنظمة للحياة اليهودية ومن خلاله اخذت التشريعات الدينية شكلها النهائي واستمرت حتى نهاية القرن الثامن عشر، وفي المرحلة التلمودية اكتملت الديانة اليهودية ونضجت معالمها وعند نهاية الحكم اليوناني خضع اليهود لحكم الرومان الذين سيطروا على القدس سنة ٦٣ ق.م، وبدأت سلسلة من الثورات على حكمهم من قبل اليهود، انتهت بإقدام الحاكم الروماني تيطوس على تدمير أورشليم تدميراً كاملاً سنة ٧٠ م، ففرَّ من اليهود من بقي حياً إلى الجزيرة العربية (تيماء وخيبر والمدينة) ومصر وليبيا وغيرها، وذهب قسم منهم إلى روما وبيعوا عبيدا، ومن هنا بدأت قصة وجودهم في أوربا[٢].

فقد دخل اليهود عصور الشتات وكانت بالغة الأَثر في سلوكهم وتصرفاتهم فقد كانوا يرون فلسطين وطناً لهم ولكنهم فقدوا هذا الوطن وفقدوا معه هيكلهم وكانوا مجتمعين فاصبحوا شتاتا هنا وهناك تلاحقهم عزلتهم[٣].

---

(١) ينظر: تاريخ الديانة اليهودية، محمد خليفة حسن أحمد، ص ٢١١ .

(٢) ينظر: المصدر نفسه ، ص ٢١٣-٢١٤.

(٣) ينظر: اليهودية ، احمد شلبي، ص ٩٢ .

الخلاصة

١) اختلط الدين اليهودي بالتاريخ وبهذا اصبح أَنه لا يمكن فهم الدين عندهم إلا عند فهم تاريخهم
٢) إنَّ الديانة اليهودية هي أَقدم الديانات التوحيدية ولها علاقة دينية بالديانات السماوية الأَخرى المسيحية والاسلام
٣) تأثرت اليهودية بالمراحل التي مر بها الشعب الاسرائيلي وفي كل مرحلة تضاف تشريعات جديد ولم تكتمل الا في المرحلة التلمودية ففيها اكتملت التشريعات اليهودية
٤) عرف اليهود في بادىء الامر باسم (العبرانيين) ثم سرعان ما ظهر للوجود اسم اسرائيل بجانب العبريين، ثم ظهر اسم اليهود في فترة السبي البابلي، وبه عرفوا الى جانب اسم اسرائيل اما عربي فبقي مقتصراً على الادب والشعر فقط.

المبحث الثاني

منابع المعرفة في اليهودية وافكارها

المطلب الأوَّلُ: العهد القديم

المطلب الثاني: التلمود

المبحث ثاني: منابع المعرفة في اليهودية وافكارها .

للفكر اليهودي منبعان رئيسان للمعرفة: هما(التوراة والتلمود)، والعديد من روافد التي شَكَلَت قناعات العقل اليهودي الديني قد خرجت منهما أو تأثرت بهما؛ مثل: بروتوكولات حكماء صهيون وكتاب (الدولة اليهودية) لهيرتزل، وغيرها، فمعظم كتَّاب اليهود والمتهوِّدين القدامى منهم والمحدثين – فيما عدا مَن كتب منهم في العلوم العلمية البحتة – قد تأثروا بالتوراة والتلمود تأثرًا عظيمًا ، إذ فرضت حضورها في وعيهم وحياتهم بمستوياتها المختلفة ؛ لأنهم يُرَبَّون عليهما صغارًا، وقلما تجد كاتبًا يهوديًّا أو متهودًا لا يضع التوراة والتلمود نصب عينيه عندما يكتب، فهما المنبع والمصب لكل يهودي أو متهود[١].

ولبيان ذلك ورسم تقاييسه وتصنيفها لمعرفة حدود هذه المنابع والمساحة التي تغذيها في المعرفة وكيف صبغت التوبة فيها بوصفها بداية تدشينية لحالات الانعاكس والارتياب والتشكيك الذي عانت منه الشخصية اليهودية في مراحل مهمة من تاريخها ، نجعل هذا المبحث بالمطالب الآتية

المطلب الأول: العهد القديم

كلمة عهد تعني وثيقة أو عقد، وهو عادةً يكون بين طرفين. والعهد وثيقة بين الله والناس[٢].

ويشكل العهد القديم المنبع الفكري والنص الاساسي الذي تقوم عليه الديانة اليهودية، وهو في صورته التي وصلت الينا يحتوي على ثلاث أقسام: اسفار التوراة واسفار الانبياء واسفار الحكمة او الكتب، ويصف ذلك حسن ظاظا:((اما التوراة والانبياء فهما يسيران في نسق تاريخي متصل ويحكيان قصة حياة العبريين منذ البداية الى عودتهم من السبي البابلي، في القرن الخامس والرابع قبل الميلاد، وهما بمثابة ملحمة تغرس في نفس القارىء ايمانا بعبقرية هذه الفئة الصغيرة من الناس وبطولاتها في مواجهة الاحداث الضاربة على مدى الف وخمسمائة سنة من الزمان. شكلها الملحمي هذا يستوفي كل المأثورات الشعبية القديمة الداخلة في هذا الصنف من الادب في اشد صورها فخامة وتألقها. ولكي يتم ظهور هذه الشخصية خلال هذه المرحلة على مسرح الانسانية في دورها البطولي الذي لا ينازعها فيه احد فأنها تبدا

---

(١) ظ: اليهودية، محمد بحر عبد المجيد، مركز الدراسات الشرقية – جامعة القاهرة، مكتبة المهتدون الاسلامية لمقارنة الاديان، ص ٤٥

(٢) ظ: موسوعة الكتاب المقدَّس، شحادة بشير، ص ٣.

بالكلام عن خلق العالم بحيث يتم خلال ذلك انتقاء شعب الله المختار من بين الامم الاخرى ويمضي السرد القصصي التاريخي في هذين القسمين من العهد القديم مشحونا في مواضيع معينة بالشرائع والقوانين... وتختلف فيها نسبة ما هو اسطوري وما هو واقعي... اما القسم الثالث الكتب فأنها تراث ادبي يكثر فيه الشعر والامثال))[١].

والعهد القديم مقدس لدى اليهود ولدى المسيحين ولكن اسفاره غير متفق عليها فان اختلاف اليهود من ناحية والمسيحيين من ناحية اخرى في قائمة الاسفار التي يضمها[٢].

والتسمية العلمية لأسفار اليهود التي كتبت قبل عهد المسيح والتي جاء بها أنبياء بني إسرائيل ، وسميت بالعهد القديم تمييزًا لها عن العهد الجديد ، وقد يطلق لفظ التوراة على العهد القديم بأكمله من باب أطلاق الجزء على الكل[٣].

إنَّ أسفار العهد القديم التي تعترف بها الكنيسة البروتستانية هي تسع وثلاثون سفراً، أَما الكنيسة الكاثوليكية فتضيف سبع أسفار أخرى فتكون ست وأربعون سفراً[٤].

وتقسم أَسفار العهد القديم إلى ثلاثة أقسام هي:

القسم الاول: التوراة

هي أول أقسام العهد القديم وتعني الشريعة وهي الاسفار الخمسة، التكوين، الخروج، اللاويين، العدد، التثنية، وتسميت هذه الاسفار جاءت بحسب المواضيع التي يتناولها السفر، وترجع التسمية الى الترجمات اليونانية وقد كتبت معظمها باللغة العبرية[٥].

---

(١) الفكر الديني الاسرائيلي اطواره ومذاهبه ، ص ١٢-١٣ .

(٢) ينظر: مقارنة الاديان، دراسة في مصادر وعقائد الاديان، ص٥٤ .

(٣) ينظر: المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم ، محمد علي الباز، ط١، دار القلم ، دمشق ، ١٩٩٠، ص ١١١ .

(٤) ينظر: الديانة اليهودية، يوسف عبد، ص ٩٤ .

(٥) ينظر: بنو إسرائيل، محمد بيومي مهران، ١١/٣، اليهودية، محمد بحر عبد، ص٤٥ .

وترى اليهودية أن هذه الأسفار تنسب الى النبي موسى(عليه السلام) وتوصف أنها نزلت عليه من الله في طور سيناء[١].

وتطلق التوراة على العهد القديم من باب اطلاق الجزء على الكل كما ألمحنا ، لأنها ليست إلاَّ جزء من العهد القديم وذلك لأهمية التوراة ونسبتها الى موسى[٢].

واسفار التوراة خمسة هي بالترتيب:

اولا: سفر التكوين: يُسمَّى بالعبرية سفر التكوين وفي العبرية (يريشيت) بمعنى (في البدء)، وهي أول كلمة ترد في السفر[٣]. وعن فصوله ومحتواه فهذا السفر يقع في خمسين فصل او اصحاح، تحكي في خطوطها العريضة قصص آدم ونوح والطوفان وما كان من امر ابناءه، سام وحام ويافث، ثم تصل الى الجد الأعلى الذي ينتمي اليه اليهود وهو إبراهيم وتتحدث عن سلالة مركزة الحديث عن ابنه وإسحق ثم يعقوب. وينتهي هذا السفر بقصة يوسف ومجيئه إلى مصر ولحاق يعقوب وأبنائه الأحد عشر به واستقرارهم في أرض الفراعنة[٤]، يقع في خمسين إصحاحاً، ويتحدَّث الى موت يوسف (عليه السلام) ، ويطلق عليه في بعض الأحيان(المخطط الأساسي) للكتاب المقدس ككل ويرجع ذلك لأن معظم التعاليم التشريعية الأساسية في الكتاب المقدس موجودة فيه[٥].

ثانيا: سفر الخروج: يقع في اربعين إصحاحاً ، ويبدأ بالحديث عن اضطهاد الفراعنة لبني إسرائيل ويسرد مولد موسى ونشأته وتحركاته خاصة في سيناء ومدين الى أن يأتي اليه الوحي في جبل الطور ثم يتحدى فرعون وإخراج اليهود من مصر ويبدا رحلتهم عبر سيناء من الاصحاح الخامس عشر، ثم يتلقى موسى الوصايا العشر التي وردت في الاصحاح العشرين من السفر وورد فيه أيضا قانون العهد

---

(١) ينظر: الفكر الديني الاسرائيلي اطواره ومذاهبه، حسن ظاظا ، ص١٢ .

(٢) ينظر: الديانة اليهودية، يوسف عبد، دار الفكر العربي، ط١، بيروت ١٩٩٥م، ص ٩٣، مقارنة الاديان دراسة في عقائد ومصادر الاديان، طارق خليل، ص٥٤ .

(٣) ينظر: موسوعة اليهود واليهودية: عبد الوهّاب المسيري، ٢١٢/١٣.

(٤) ينظر: الفكر الديني الاسرائيلي اطواره ومذاهبه، حسن ظاظا، ص١٢.

(٥) ينظر: اليهودية، أحمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الثانية عشر، ١٩٩٧م، ص ١٧٢ – ١٧٤، اليهودية والمسيحية، محمد ضياء الرحمن الاعظمي، مكتبة الدار بالمدينة المنورة، ط١ ١٩٨٨م ، ص ١٠٨-١٠٩ .

ومجموعة من الشرائع وصعود موسى الى الجبل وارتداد بني إسرائيل عن دين موسى وتولي موسى عملية اصلاح ديني من جديد[١].

٣) سفر اللاويين: هو ثالث اسفار التوراة يقع في سبعة وعشرين إصحاحاً، يتناول شؤون العبادات، وهو نسبة إلى لاوي بن يعقوب، الذي من نسله موسى وهارون عليهما السلام، واللاويون هم سدنة الهيكل والمشرفون على شئون الذبح والأضحية والقرابين، أي: القيام بالأمور الدينية، ومهمتهم المحافظة على الشريعة وتعليمها الناس، ويرى أن السفر لم يكتب إلاَّ بعد التهجير البابلي[٢].

رابعًا: سفر العدد: يُسمَّى سفر العَدد بالعبرية (بميدبار) ، أي في البرية ، وهي أول كلمة ترد في السفر، وهو يُعطي تقريراً عن الأعداد من قبائل الشعب اليهودي الذين خرجوا من مصر وقبل دخولهم أرض الموعد. ويأتي في هذا السفر ذكر تذمُّر اليهود من متابعة السير على خطوات موسى، وهو ما أثار غضبه عليهم، وقد دُوِّن هذا السفر بعد التهجير البابلي في القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد، يتكوَّن من ستّة وثلاثين إصحاحاً[٣].

خامساً: سفر التثنية: ومعناها إعادة الشريعة وتكرارها على بني إسرائيل مرة ثانية عند خروجهم من سيناء، أو (تثنية الاشتراع)[٤]، وتحدث عن نظام القضاة وعن انتخاب يوشع بن نون خلفا لموسى، وينتهي هذا السفر بذكر موت موسى عليه السلام[٥]، وعرضت فيه الوصايا العشر عرضاً جديداً[٦].

ويعتقد أن هذا السفر هو اصدق تعبير عن الفكر الإسرائيلي[٧].

---

(١) ينظر: الفكر الديني الاسرائيلي اطواره ومذاهبه، حسن ظاظا، ص ١٣-١٤، موسوعة اليهود واليهودية ، عبد الوهاب المسيري، ٢١٣/٥، موسوعة مقارنة الأديان، أحمد شلبي، ص ١٧٢ - ١٧٤.

(٢) ينظر: اليهودية، أحمد شلبي، ص ١٧٢ - ١٧٤.

(٣) ينظر: اليهودية، أحمد شلبي، ص ١٧٢ - ١٧٤. موسوعة اليهود واليهوديه، عبد الوهاب المسيري، ص ٢١٣/١٣، موسوعة الكتاب المقدَّس، شحادة بشير، ص ٥ .

(٤) ينظر: موسوعة اليهود واليهوديه، عبد الوهاب المسيري ، ٢١٣/١٣.

(٥) ينظر: أطلس الأديان، سامي عبد الله، مكتبة العبيكان، ظ١، الرياض ١٤٢٨هـ :٣٤- ٣٥ .

(٦) ينظر: الديانة اليهودية، يوسف عبد، ص ٩٨ .

(٧) ينظر: الفكر الديني الاسرائيلي اطواره ومذاهبه، حسن ظاظا، ص ١٥ .

وإنَّ أول ترجمة للأسفار الخمسة تسمى الترجمة السبعينية الى اللغة اليونانية ويرجع تاريخها الى القرن الثالث قبل الميلاد قام بها يهود الإسكندرية وظلت معتمدة حتى القرن السابع الميلادي[١].

وفي نسبة الأسفار الى موسى (عليه السلام) مشكلة وغموض إذ يصعب نسبة محتواها الى النبي موسى وهذا ما ورد في التوراة إذ جاء في سفر التثنية:" فَمَاتَ هُنَاكَ مُوسَى عَبْدُ الرَّبِّ فِي أَرْضِ مُوآبَ حَسَبَ قَوْلِ الرَّبِّ "[٢].

وهذا النص الوارد في سفر التثنية يجعل من نسبة التوراة الى موسى مسألة صعبة " يشعرنا هذا النص أن توراة موسى في وضعها الذي جاءت به الينا تمثل مشكلًة غامضًة جدًا ومعقده أشد التعقيد من حيث علاقتها بما كان من أمر الشريعة الموسوية على عهد صاحبها نفسه "[٣].

والدكتور طارق خليل ذهب الى أنَّ اليهود تخلصوا من اسفار موسى الخمسة بعد أن انحرفت عقائدهم واصبحت تخالف نصوص الشريعة والدليل مانسبوه الى موسى خطا في هذا النص من انه كتب موته وكيف دفن[٤].

مصادر العهد القديم

يعد العلماء والباحثون أنَّ الوحي لم يكن مصدًرا للعهد القديم بل أن العهد القديم اشتركت في منابعه ومصادره عدة افكار وخلال سنين طويله أهمها:

أولا: ويدعي اليهود أن هذه التوراة كتبها موسى بيده ، وهم يستندون بذلك على اراء نقلها الخلف عن السلف وهكذا اعتماد على نصوص وردت في العهد القديم والتلمود، لقد نال العهد القديم اضافات ضخمة لليهود فيه وحصل ذلك من نقل الى نقل ومن ترجمة الى اخرى ، واسفاره لا تتساوى في الطول وتختلف

---

(١) ينظر: مقارنة الأديان دراسة في عقائد ومصادر ، ص٥٦

(٢) الكنيسة، الكتاب المقدس، سفر التثنية ، ٣٤: ٥ .

(٣) الفكر الديني الاسرائيلي اطواره ومذاهبه، حسن ظاظا، ص ١٧ .

(٤) ينظر: مقارنة الاديان دراسة في عقائد ومصادر الاديان، طارق الخليل السعدي، ٦٧ .

في النوع وقد كتبت على مدى تسعة قرون وبلغات مختلفة اعتمادًا على التراث الشفوي وقد صححت واكتملت هذه الاسفار بسبب احداث حدثت أَو بسبب ضرورات اقتضتها حياة اليهود[١].

وذهب أَحمد شلبي الى القول:((يقر التاريخ أن موسى عليه السلام كتب نسخة التوراة ووضعها مع اللوحين في التابوت ومرت الايام وظهر في بني اسرائيل كثير من الفجرة والكفرة حتى جاء عهد سليمان وفتح التابوت بعد أن وضع في الهيكل فلم توجد به نسخة التوراة انما وجد اللوحان الحجريان فقط))[٢].

وحدثت بعد سليمان أحداث دينية وصلت إِلى الرد وعبادة الأَوثان وعبادة آلهة الأَقوام المجاورة لبني اسرائيل وتعرض الهيكل للحرق والتدمير أَكثر من مرة ولم يعد للتوراة ذكر بعد ذلك، وسقطت دولة اسرائيل على اثر تلك الاحداث وبقيت مملكة يهوذا تعاني من الصراعات والفوضى حتى وصل الى حكمها الملك يوشيا حوالي (٦٢٩) قبل الميلاد وأَراد الإِصلاح وعوده الناس إِلى شريعة موسى ولكنه اصطدم بفقدان التوراة ولم يجدونها، وكان يعاصره كاهن انتهز فرصة ميل الملك للعودة الى شريعة موسى وبعد مضي سبعة عشر عاما من حكم الملك يوشيا، ادعى الكاهن انه وجد نسخة للتوراة في البيت المقدس[٣].

ويرفض الباحثون ادعاء الكاهن حزقيا ويقولون أنه انتهز الفرصة وقام بجمع الاسفار من شفاه الناس والأَحاديث الشعبية المتداولة وما يظنه هو ونسبها إِلى النبي موسى حتى تأخذ شرعيتها بين الناس[٤].

ذهب بعض الباحثين إِلى التشكيك بلغة التوراة فهم يتسائلون الى أي حد احتفظت عبرية التوراة بالسمات الاولى للسان الذي كان يتحدث به موسى، ومن المعلوم أن موسى نشاه في بيئة مصرية وفي

---

(١) ينظر: مقارنة الاديان دراسة في عقائد ومصادر الاديان، طارق الخليل السعدي، ص ٥٦.

(٢) اليهودية، احمد شلبي، ص٢٥٠.

(٣) ينظر: قصة الحضارة، وول ديورانت ، ٢/٣٥٦- ٣٥٧ .

(٤) ينظر: اليهودية، احمد شلبي، ص ٢٥٠-٢٥١ .

بيت فرعون وكذلك هناك مئات من السنين بين موسى والعبرانيين الاوائل في مصر، هذا الامر الذي جعل (فرويد) يقول أن موسى كان مصريا[١].

وفق ذلك فقد رأى الباحثون أن موسى جاء بلغة قومه ولسانهم وهم كانوا في مصر فمن الطبيعي أن تكون لغتهم المصرية القديمة او ربما الكنعانية المتأثرة بالمصرية وخصوصًا أن علماء اللغات يقرون أن اللغة العبرية لم تأخذ كيانها كلغة الا بعد عصر موسى بفترة طويلة وأن أسفار العهد القديم لا تذكر التوراة وعليه فان التوراة الحالية كتبت بالعبرية فهي ليست توراة موسى لأن توراة موسى نزلت بلغة غير هذه اللغة[٢].

ثانيًا: الوهم والخيال: حيث اعتمد اليهود في تدوين الأَسفار على ما اسموه النقل من السلف الى الخلف من اخبار واساطير وأقوال وكثير من الكهنة يكتبون ما يجيش في صدورهم أو ما يتأملونه على أنه حقيقة واقعة أو تاريخ سابق[٣].

ثالثًا: قرارات المحافل اليهودية: من المصادر المهمة لأسفار العهد القديم هي قرارات المحافل اليهودية على مر تاريخ اليهود كان زعمائهم يدفعون بقراراتهم لتكون جزء من الاسفار المقدسة عندهم، حيث كانوا يزجون ما يرونه مناسبًا ليكون ضمن الاسفار يتعبد به الشعب، وعندما أخذت أسفار العهد القديم وضعها النهائي، لم يتوقف زعماء اليهود من تقديس قراراتهم فزجوا بها الى التلمود[٤].

رابعًا: أساطير الجزيرة العربية: وهي قصص شعبية عالمية، كانت تلك القصص مصدر من المصادر التي اقتبس منها اسفار العهد القديم يقول وول ديورانت:((وكانت أساطير الجزيرة هي المعين الغزير الذي أخذت منه قصص الخلق والغواية والطوفان التي يرجع عهدها في تلك البلاد إلى ثلاثة آلاف سنة أو نحوها قبل الميلاد. ولقد رأينا صوراً قديمة من هذه القصص فيما مر بنا من صفحات من هذا الكتاب، ولعل اليهود قد أخذوا بعضها من الأدب البابلي في أثناء أسرهم . ولكن أرجح من هذا أنهم

---

(١) ينظر: الفكر الديني الاسرائيلي اطواره ومذاهبه، حسن ظاظا ، ص ١٧ .

(٢) ينظر: اليهوديه، محمد بحر عبد، ص ٤٧ .

(٣) ينظر: اليهودية ، احمد شلبي، ص ٢٥٦، الديانة اليهودية، يوسف عبد، ص١١٨ .

(٤) ينظر: تاريخ بني اسرائيل في اسفارهم، محمد عزه دروزه ، ص ١٨٨/٢، الصهيونية والماسونية، عبد الرحمن سامي، ص ٦١ .

أخذوها قبل ذلك العهد بزمن طويل من مصادر سامية وسومرية قديمة كانت منتشرة في جميع بلاد الشرق الأدنى. وتقول القصص الفارسية وقصص التلمود الخاصة بالخلق أن الله خلق في بادئ الأمر إنساناً مكوناً من ذكر وأنثى متصلين من الخلف كالتوأمين السياميين، ثم رأى فيما بعد أن يفصل أحدهما عن الآخر. وتحضرنا في هذه المناسبة جملة غريبة وردت في سفر التكوين (الآية الثانية من الأصحاح الخامس):"يوم خلق الله الإنسان على شبه الله عمله ذكراً وأنثى، خلقة وباركه ودعا اسمه آدم"؛ ومعنى هذا أن ابنا الأول كان ذكراً وأنثى معا– ويبدو أن أحد من رجال الدين إذا استثنينا أرسطو فانيز لم يفطن إلى هذه العبارة. أما قصة الجنة فتظهر في جميع القصص الشعبية في العالم كله– في مصر، والهند، والتبت، وبابل، وبلاد الفرس، واليونان))[1].

خامسًا: الفكر المصري: يعد الفكر المصري أحد مصادر العهد القديم وذلك لكون اليهود قد عاشوا في مصر مئات السنين وقد تأثروا بحضارة مصر وثقافتها وانعكس ذلك على اسفار العهد القديم في هذا الصدد قدم ادولف ارمان بحثًا عام (١٩٢٤م) عنوانه مصدر مصري لأمثال سليمان حيث يتناول هذا البحث مؤلف لحكيم مصري اكتشف حديثا علة اوراق البردي وضع فيه كاتبه المصري نصائح على ثلاثين بابا في صورة نصائح لولده، وقد تكررت هذه الحكم بشكل واضح في سفر الامثال، ويلاحظ كذلك كثير من الكتاب أن المعاني التي ذكرها اخناتون في قصيدته عن الشمس تكررت في اسفار العهد القديم[2].

خامساً: الفكر البابلي: إن اسفار العهد القديم جمعت لأول مرة في بابل وظهرت في القرن الخامس قبل الميلاد[3]، يقول احمد شلبي:" ويربط ويلز(welis) أهمية الأسر البابلي على اليهود فيقرر أن اليهود لم يكونوا قبل الاسر البابلي شعبًا متحضرًا ولا متحدًا وربما لم يكن فيهم إلا قلة ضئيلة تستطيع القراءة والكتابة ولم يظهر في تاريخهم قط أن أسفارهم كانت تقرأ قبل الأسر، ولكن الأسر البابلي قد مدنهم ووحدهم وابرز حاجة الشعب العبراني الى جمع تاريخه ورسم تقاليده وتنميتها فبدءوا يدونون الأسفار من

---

(١) قصة الحضارة ، ٢٦٧/٢ .

(٢) ينظر: التوراة، فؤاد حسين، ص٦٧، اليهودية، احمد شلبي، ٢٥٨ .

(٣) ينظر: قصة الحضارة ، ٣٦٨/٢ .

مصادر مختلفة، بهدف واحد هو خدمة مستقبلهم فلما عادوا من الأسر كانوا شعبًا يختلف اختلافًا عظيمًا من الشعب الذي خرج "[1].

إذا كان للأسر البابلي بليغ الأثر على اليهود في فكرهم وحضارتهم ، وهذا الاثر دخل الى العهد القديم ووضع فيه اليهود اساطير بلاد فارس والقصص الخيالية في العهد القديم ونجد ذلك في قصة الخلق وخروج ادم من الجنة والطوفان وغيرها الكثير[2].

وكذلك ترانيم التوبة البابلية قد اقتبست من بابل ووضعت في اسفار العهد القديم[3]، وقصة الخليقة كما يرى عباس محمود العقاد انها تشابه قصة الخليقة التي وردت في الواح بابل[4].

إما القرآن الكريم فهو لا يعترف إلا بالتوراة التي انزلها الله تعالى على موسى وغيرها هي زور وبهتان، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴾ [آل عمران: ٣]. لكن التوراة التي انزلها الله تعالى تم تحريفها، وقد اهمل اليهود بعضها فضاع وحرفوا بعضا على نحو ما ارادوا والقران الكريم اكد ذلك بقوله تعالى قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [المائدة: ١٣]. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ ۛ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ۖ ﴾ [المائدة : ٤١][5].

يتحصل أن القرآن ومن خلفه الإسلام لا يعترفون إلا بالتوراة الاصلية وقد نالها التحريف فدخل فيها اقوال الكتاب وحذف منها الكثير بما لا يتلائم مع اهواء كاتبيها، ولكن هذا لا يعني خلوها من الكلام الالهي فقد بقي من توراة موسى في التوراة المتداولة اليوم ولكنه مخلوط بين اقوال المحرفين، يقول ناصر مكارم الشيرازي في هذا الصدد:" وجود حقائق في تلك الكتب لم تمتد إليها يد التحريف، ذلك لأنّ

---

(1) اليهودية، احمد شلبي، ٢٥٤، الديانة اليهودية، يوسف عبد، ص ١٢٠ .

(2) ينظر: اليهودية، محمد بحر، ٥٣-٥٤ .

(3) ينظر: محنة التوراة، ص٥٧ .

(4) ينظر: الله، عباس محمود العقاد، ص ١١٧ .

(5) ينظر: الميزان، الطباطبائي، ١٣٠/٤ .

التحريف لا يعني تغيير كل نصوص تلك الكتب السماويّة، بل إن تلك الكتب كانت تحمل بين طياتها حقائق، ومن تلك الحقائق علامات النّبي الخاتم"[١].

وهذا يتضح لنا أنَّ العهد القديم هو المنبع الفكري الأهم والابرز لدى اليهود وهو خليط من عبادات وقصص وشعر ونثر ومعارك واحزان وافراح ومتقدات وصلوات واناشيد وهو يعتبر موسوعة يهودية سجل فيه تاريخهم الاجتماعي والسياسي وسيرة انبيائهم وبطولات اليهود وحركاتهم، وتاثر العهد القديم بالظروف التي مر بها اليهود وبالثقافات التي اختلطوا معها وكان لحضارة بابل اشد تاثير عليه، ونقل شفويا خلال فترات طويله الا ان اكتملت صورته النهائية المقفلة بحدود (٣٠٠) قبل الميلاد، وقد استغرقت كتابته أجيال من العلماء وان أول أسفاره التكوين دون في بابل خلال فترة السبي البابلي لليهود.

المطلب الثاني: التلمود

يعتقد جماعة اليهود وهم (الفريسيون) أن التوراة ليست كل الكتب اليهودية المقدسة انما كانت بجانبها روايات شفوية لم تدون ولكنها نزلت على موسى (عليه السلام) وتناقلها الحاخامات جيل من جيل وتلك الروايات تعرف التلمود. وبعد ميلاد المسيح ب (١٥٠) سنة قام احد الحاخامات يدعى(يوخاس) بجمع تلك الروايات في كتاب سماه(المشنأ) ومعناها الشريعة المكررة لان المشنأ هو تكرار لما ورد في شريعة موسى، وفي السنين التالية ادخل حاخامات بابل وفلسطين كثيرا من الزيادات على مادونه (يوخاس)، واتم (يهودا هنسيا) سنة (٢١٦م) تدوين هذه الزيادات واصبح(المشنأ) تضم ما كتبه (يوخاس) الى عهد الربي يهوذا، واستعصت المشنأ على بعض القراء فاخذ علماء اليهود يكتبون حواشي وتعليقات كثيرة عليها سميت هذه الحواشي والتعليقات باسم جمارا[٢].

ترى أقلية من العلماء أن يهوذا لم يدون المشنأ، وأنها أخذت تنتقل شفوياً من جيل إلى جيل حتى القرن الثامن الميلادي[٣].

---

(١) الأمثل، ناصر مكارم الشيرازي، ١٧٨/١ .

(٢) ينظر: اليهودية، احمد شلبي، ص ٢٦٤ .

(٣) ينظر: اليهودية في القرن الأول من التاريخ المسيحي Judaism in the First Centuries of the Christian Eara ، طبعة جامعة كيمبردج بولاية مسشوستس عام ١٩٣٢، ١٥١/١. نقلا من كتاب قصة الحضارة ، ١٣/١٤.

وفي منشأ التلمود يقول الكاتب الأمريكي وول ديورانت:((كان الكهنة ورجال الدين المقيمون في المعابد والمدارس الفلسطينية والبابلية هم الذين ألفوا أسفار الشريعة الضخمة المعروفة بالتلمود الفلسطيني والتلمود البابلي. وكانوا يقولون إن موسى لم يترك فقط لشعبه شريعة مكتوبة تحتويها الأسفار الخمسة، بل ترك له أيضاً شريعة شفوية تلقاها التلاميذ عن المعلمين ووسعوا فيها جيلاً بعد جيل. وكان أهم ما ثار حوله الجدل بين الفريسيين والصدوقيين الفلسطينيين هو: هل هذه الشريعة الشفوية هي الأخرى من عند الله فهي لذلك واجبة الطاعة؟ ولما أن زال الصدوقيون بعد تشتت اليهود عام (٧٠ م) وورث رجال الدين تقاليد الفريسيين ورواياتهم قبل جميع اليهود المتمسكين بدينهم الشريعة الشفوية، وأمنوا بأنها أوامر من عند الله وأضافوها إلى أسفار موسى الخمسة، فتكونت من هذه وتلك التوراة أو الشريعة الموسوية التي استمسك بها اليهود وعاشوا بمقتضاها، وكانت حقيقة لا مجازاً هي كيانهم وقواهم وحياتهم. وإن القصة التي تروي تلك العملية الطويلة التي استغرقت ألف عام، والتي تجمعت خلالها الشريعة الشفوية، واتخذت فيها صورتها النهائية المعروفة بالمشنأ؛ والقرون الثمانية التي تجمعت فيها ثمار الجدل، والأحكام، والإيضاح فكانت هي الجمارتين ليتألف منهما التلمود الفلسطيني، وإلى أطولهما ليتألف منهما التلمود البابلي إن القصة التي تروي هذه الأحداث الثلاثة لمن أكثر القصص تعقيداً وأعظمها إثارة للدهشة في تاريخ العقل البشري))[١].

التلمود: كلمةُ مشتقةُ من الجذر العبري (لامد)؛ يعني: الدراسة والتعلم، كما في عبارة (تلمود توراه)؛ أي:(دراسة الشريعة)، ويعود كل من كلمة (تلمود) العبرية وكلمة (تلميذ) العربية إلى أصل سامي واحد، ولفظ التلمود يعني التعليم أو الشريعة الشفوية، ولم يكن (الشُّرَّاح) يُطلقون هذا اللفظ على المشنأ، أما الآن فأصبح التلمود يعني المشنأ والجمارا معًا، والمشنأ أي: المتن في التلمود البابلي، هي بعينها مشناه التلمود الفلسطيني، ولا يَختلف التلمودان إلا في الجمارا أو الشروح، فهي في التلمود البابلي ثلاثة أمثالها في التلمود الفلسطيني[٢].

---

(١) قصة الحضارة، وول ديورانت ، ١١/١٤ .

(٢) ينظر: موسوعة اليهود واليهودية الصهيونية، عبد الوهاب المسيري، ٣١٥/١٣، اليهودية واليهودية المسيحية، ص١٣٣، الفكر الديني الاسرائيلي اطواره ومذاهبه، حسن ظاظا، ص٩٥-٩٦.

وفي دواعي كتابة التلمود وجمعه وتأليفه يقول وول ديورانت:((وذلك أن أحكام الشريعة الواردة في الأسفار الخمسة أحكام مسطورة، ولهذا فإنها لم تكن تستطيع الوفاء بجميع حاجات أورشليم بعد أن فقدت حريتها، ولا اليهودية بعد أن فقدت أورشليم، ولا الشعب اليهودي في خارج فلسطين، لم تستطع الوفاء بحاجات هذه أو معالجة الظروف المحيطة بها))[١]. يلحظ أنها دواعي اجتماعية وهذا هو دأب اليهود بإيجاد التشريعات التي تلائم الزمن الذي هم فيه ولهذا فهم يحرفون ويغيرون الأحكام متى اقتضت حاجتهم لذلك، ويبدوا أن هذا المنظور هو الذي أدى إلى فقدان التوراة التي جاء بها النبي موسى كون اليهود قد غيروها بما يتلائم مع حاجاتهم.

اذاً من المشنأ والجمارا يتكون التلمود. والأول هو الروايات الشفهية التي تناقلها الحاخامات والتي اتم تدوينها الربي يهوذا سنة ٢١٦م، أن الجمارا (الجزء التفسيري للتلمود) قد وضعتها مدرستان يهوديتان، وبناءً على هذه الجمارا سُمي التلمود باسمين؛ الأول: التلمود الفلسطيني، والثاني: التلمود البابلي.

١- **التلمود الفلسطيني:** ويَنسبه اليهود (الأورشليمي)، نسبة الى القدس، كما أطلَق يهود العراق على التلمود الفلسطيني اسم (تلمود أرض إسرائيل)، ويسمى أحيانا التلمود الغربي، ولقد أُلِّف التلمود الفلسطيني باللهجة الآرامية الفلسطينية الحديثة، واستغرق تأليفهم هذه الشروح فترة طويلة جدًّا، تمتدُّ من القرن الثاني إلى الخامس بعد الميلاد[٢].

٢- **التلمود البابلي:** وهو نتاج الحلقات التلمودية (أكاديمية – يشيفا) في العراق (بابل)، ويُعرف هذا التلمود أحياناً باسم (تلمود أهل الشرق)، وقد أُلف بإحدى اللهجات الآرامية، وشرعوا فيها منذ أوائل القرن الرابع بعد الميلاد، ولم يفرغوا منها إلا في القرن السادس الميلادي، ولم تُجمع جمارا بابل من قبل شخص واحد أو في زمن واحد، ولكن أنجزها حاخامون كثيرون[٣].

وفي الجمارا تقسم الموضوعات إلى قسمين[٤].

القسم الأول: موضوعات أخلاقية وسلوكية ارشادية وحكم وامثال وتسمى (هلاجا) وتشكل ثلث التلمود.

---

(١) قصة الحضارة ، ١٢/١٤ .

(٢) ينظر: اليهودية، احمد شلبي، ص ٢٦٦ ، الفكر الديني الاسرائيلي اطواره ومذاهبه، حسن ظاظا، ص٩٦.

(٣) ينظر: الفكر الديني الاسرائيلي اطواره ومذاهبه، حسن ظاظا ، ص ٩٧ .

(٤) ينظر: اليهودية، محمد بحر عبد، ص١٣٦ .

القسم الثاني: اساطير وقصص وتسمى(هجادا او اجادا) وتشكل حوالي الثلثين من التلمود.

وتمتاز المشنأ بالإيجاز، فهي تعبر عن القانون الواحد بقليل من السطور، أما الجماريان فتتبسطان عن قصد وتعمد ، وتذكران مختلف آراء كبار الأحبار عن نصوص المشنأ وتصفان الظروف التي قد تتطلب تعديل القانون وتضيفان كثيراً من الإيضاحات، ومعظم المشنأ نصوص قانونية وقرارات (هَلَكا)، أما الجماريان فبعضهما هلكا إعادة نص قانون أو بحثه ، وبعضها هجدة (قصص)، وقد عرفت الهجدة تعريفاً غير دقيق بأنها كل ما ليس هلكا في التلمود، وأكثر ما تسجله الهجدة هو القصص، والأمثلة الإيضاحية، وأجزاء من السير، والتاريخ، والطب، والفلك، والتنجيم، والسحر، والتصوف، والحث على الفضيلة، والعمل بالشريعة المشددة في علاقتها مع الآخر الديني ، وكثيراً ما تروج الهجدة عن نفس الطلاّب المتعلمين بعد جدل معقد متعب[١].

وقد أصبح التلمود مرادفًا للتعليم القائم على أساس الشريعة الشفوية (السماعية)[٢].

منذ أن اطَّلع العالم على حقائق التلمود، وما فيه من مواقف تجاه الآخرين، قابلت ذلك بالاستهجان والاستنكار الشديدَين، ثم وقفتْ بكل قوة في وجهِه، في محاولة لمنع انتشاره وتداوله، وعليه فقد هوجم التلمود بالحرق والإتلاف باعتباره مصدر الشر الكامن في اليهود، فهو يحتوي على عقائد مُنحرِفة، فهو ينظر إلى الله نظرة دونية قاصرةً، ويَعتبره مصدرًا للشر، في محاولة لتبرير كل الخطايا التي يَرتكبها اليهود[٣]. ((حل التلمود محل التوراة في العصور الوسطى باعتباره كتاب اليهود المقدَّس الأساسي، حتى أن كثيراً من الحاخامات كانوا يعرفون التلمود أساساً ويعرفون العهد القديم بدرجة أقل. وقد تركزت في التلمود، بعد تدوينه، كل السلطة الدينية والروحية في اليهودية، حتى أن كل قرار في الحياة اليهودية، مهما علا شأن هذا القرار أو صَغُر، قد جرى اتخاذه وفقاً للسلطة التلمودية))[٤].

---

(١) ينظر: قصة الحضارة ، وول ديورانت ، ١٦/١٤ .

(٢) ينظر: اليهودية، احمد شلبي، ص٢٦٦ .

(٣) ينظر: موسوعة اليهود واليهودية، عبد الوهاب المسيري، ٣٢١/١٣.

(٤) موسوعة اليهود واليهودية، عبد الوهاب المسيري ، ٣٢٢/١٣ .

يتحصل أن معنى التلمود الشامل يدل على الأعمال والآثار التي أنتجتها المدارس الدينية اليهودية في بابل وفلسطين خلال الفترة الممتدة من القرن الثاني إلى القرن الخامس للميلاد؛ واكتسب قداسة تضاهي التوراة نفسها بل في بعض الأحيان يعتبر اقدس من التوراة.

واعتبر بعض الكتاب أنَّ بروتوكولات حكماء صهيون هي أَيضاً احد منابع الفكر اليهودي، والبروتوكولات هي قرارات سرية اجمع عليها المجتمعون من كبار اليهود في مدينة (بال) في مؤتمر عقد عام (١٨٩٧م) وتعبر خطة للانتقام من البشرية جمعاء والتي اعتقد اليهود انها اشتركت بطريق او باخر بأذلالهم او النيل منهم[١].

وفي وصف عقيدة اليهود وفكرهم يقول عباس محمود العقاد:((اليهود كما هو معلوم لا يتحولون عن عقائد آبائهم واجدادهم وإن خالفت كل ما تعلموه ودرسوه ودرجوا على التفكير فيه لان عقيدتهم بالنسبة لهم اكثر من عقيدة دينية: هي جنس ومعقل دفاع في وجه الأمم التي يعادونها وتعاديهم))[٢].

ومن أفكار اليهودية بشكل عام[٣]:

١) أَبرز ما تم تسجيله من عقيدة وردت في منابع الأفكار ومصادرها لديهم هي أن الخطيئة هي الفكرة الأساسية في الدين اليهودي
٢) شعب الله المختار: يعتقدون بأنهم شعب الله المختار، وأن أرواح اليهود جزء من الله، وإذا ضرب أممي إسرائيليًّا فكأنما ضرب العزة الإلهية، وأن الفرق بين درجة الإنسان والحيوان هو بمقدار الفرق بين اليهودي وغير اليهودي.
٣) فكرة المخلص: يؤمن اليهود بوجود المخّلِص الذي سيأتي آخر الزمان ليحق الحق ويملأ الأرض سلاما وفقا لرؤيا أنبياء إسرائيل وسيخوض معركة في سبيل هذا السلام تعرف باسم معركة هرمجدون ويجدر بالإشارة بان هذا المخلص يمتلك نفس صفات يسوع المسيح في العقيدة المسيحية.

---

(١) ينظر: الديانة اليهودية، يوسف عبد: ص١٢٦ ، اليهودية، احمد شلبي، ص٢٧٤ ، مقارنة الاديان دراسة في عقائد ومصادر الاديان السماوية، طارق خليل، ص٨١ .

(٢) الله ، عباس محمود العقاد، ص ١٠٨.

(٣) ينظر: الفكر الديني الاسرائيلي اطواره ومذاهبه، حسن ظاظا، ص ١١١-١١٥، موسوعة اليهود واليهودية، عبد الوهاب المسيري ، ٢٥٢/١٤ .

٤) إنَّ ديانتهم خاصة بهم، مقفلة على الشعب اليهودي.

٥) الثواب والعقاب إنما يتم في الدنيا، فالثواب هو النصر والتأييد، والعقاب هو الخسران والذل والاستعباد.

٦) نهاية العالم: لابد من ان ينزل الله عقابه على كل الذين تركوا سواء السبيل.

الخلاصة

١) اهم مصدرين للفكر اليهودي هما التوراة والتلمود وما جاء بعدهما من كتب وأفكار ماهي الا بتأثير منهما وذلك لان اليهود ينشأوون وهم صغاراً على العهد التوراة والتلمود.

٢) إن العهد القديم يمكن اعتباره تاريخ وتراث اليهود ففيه شعر ونثر وسير وقصص وعبادات وقوانين وكل ما يخص الفرد اليهودي

٣) إن العهد القديم ليس الهي المصدر انما مصادره مختلفة من حكايات شعبية وأَساطير ومقبسات من الدول التي سكن اليهود فيها او التي تاثروا بافكارها

٤) لم يتم تدوين أي كتاب من كتب اليهود إلا بعد مرور ستة قرون عليها وكان أَول تدوين في بابل فترة السبي

٥) العهد القديم هو المنبع الفكري الأول لليهودية

٦) إن التوراة المتداولة اليوم هي نتاج عمل الحاخامات ولسنوات طوال واجيال من العلماء وليست لها أي صلة بتوراة موسى لان توراة موسى قد فقدت واندثرت ولم يعد لها وجود حين تم تدوين الاسفار الخمسة

٧) تغير الفكر الإسرائيلي تباً للظروف التي مر بها اليهود

٨) مثلت شريعة حمورابي، والفكر البابلي والفكر المصري أَحد أَهم مصادر العهد القديم

٩) إن التلمود هو نتاج تجميع المشنأ(الروايات الشفهية التي لم تدوين) مع الجمارا(شروح تلك الروايات).

١٠) يعتبر بعض اليهود إن التلمود أَهم من التوراة .

١١) التوراة فقط من كتب اليهود التي يعترف بها الإسلام ، ولكن توراة موسى الأَصلية وليست هذه التوراة المتداولة اليوم ، وأما المسيحية فتعرف بالتوراة المتداولة مع إضافة بعض الأَسفار لها .

المبحث الثالث

الخطيئة والتوبة وموقف اليهودية منها

المطلب الأوّلُ: الخطيئة في الفكر اليهودي

المطلب الثاني: التوبة في الفكر اليهودي

المطلب الثالث: مراسيم التوبة وتكفير الخطايا

المبحث ثالث : الخطيئة والتوبة وموقف اليهودية منها

أَنماط التدين في الفكر اليهودي يكتنزها الكثير من الخطايا والارتياب لأن الانسان لا يستطيع الوقوف أمام المغريات حسب رأيهم، فالخطيئة هي الفكرة الاساسية في اليهودية ، لان في كل شهوة تكمن هناك خطيئة، وأن كل سوء يمس اليهود هو في عرفهم خطيئة واذا كان الامر في صالحهم فهو خير محض[١]. ولذلك فالخطيئة والتوبة بحث ثري جدير بالدراسة فجعل على مطلبين

المطلب الأول: الخطيئة في الفكر اليهودي

يقول وول ديورانت :((وكانت الخطيئة هي الفكرة الأساسية في الدين اليهودي. ولم ير العالم شعباً آخر أولع بالفضيلة ولع اليهود... ولما كانت الطبيعة البشرية ضعيفة و"السنن" معقدة صعبة فلم يكن ثمة مفر من الوقوع في الخطيئة، وكثيراً ما كانت الروح اليهودية تتلبد بالغيوم لما ينجم عن الخطيئة من سيئ العواقب، كحبس المطر أو تدمير إسرائيل بقضها وقضيضها))[٢].

وذهب أحد الباحثين إلى تفصيل المفردة التي تستخدم في الدلالة على الخطيئة والتي ارتبطت بالتمرد وترك الجادة والصواب في العهد القديم يقول:((إن المفردة التي استعملت في العهد القديم أكثر من غيرها للدلالة على الخطيئة (sin) هي مفردةٌ عبرية (chatta'ah)، وهي تعني الخطأ المتعمّد الذي يستحقّ فاعله اللَّوْم، وليس مجرّد الخطأ السَّهْوي. يُضاف إلى ذلك أن هناك مفردات عبرية أخرى تعبِّر عن هذا المفهوم، وهو أن الخطيئة من وجهة نظر العهد القديم هي فعلٌ وسلوك أكثر منها حالةً وجودية. ومن ذلك، على سبيل المثال: مفردة (shâgâh)، التي تعني السير على غير هدىً، أو مفردة (pasha)، التي تعني (التمرُّد)))[٣].

---

(١) ينظر: الخلاص من الخطيئة في مفهوم اليهودية والمسيحية والإسلام، محمد عبد الرحمن عوض، دار البشير، القاهرة د. ط/ د.ت ، ص٨ .

(٢) قصة الحضارة ، ٣٤٥/٢ .

(٣) الخطيئة الأولى للإنسان(مقال)، مجيد ملاّ يوسفي، ترجمة وسيم حيدر، منشور في موقع : نصوص معاصرة مركز البحوث المعاصرة في بيروت على الرابط: https://nosos.net/%D٨٪A٧٪D٩٪٨٤٪D٨٪AE%D٨٪B٧٪D٩ تم الأطلاع عليه بتاريخ ٢٠٢٢/١١/٢١.

ومن جديرٌ بالذكر أن مفردة (chatta'ah)، التي هي الأكثر استعمالاً للدلالة على الخطيئة في العهد القديم، قد جاءت (٢٨٤ مرّة) بصيغة الاسم المؤنَّث، وهي تشير في الغالب بوصفها اسماً، وليس فعلاً إلى نفس الخطأ؛ وفي بعض الأحيان إلى الذنب المعتاد من الأفراد، وبالإضافة إلى ذلك هناك مفردةٌ (chet)، وهي اسمٌ مذكَّر ومشتقّ من مفردة (chatta'ah)، حيث تشير في الغالب إلى الماهية العامّة للخطيئة[١].

ولما كانت الخطيئة تقع في كل شهوة في الدين اليهودي اصبحت القرابين هي الوسيلة للتكفير عن تلك الخطايا الكثيرة[٢]. يقول الدكتور محمد الخطيب:((كان المجتمع اليهودي مجتمع خطايا، ومجتمع تكفير وغفران في نفس الوقت حتى التاجر كان ولايزال يطفف الكيل ويغش في الميزان ثم يحاول التكفير عن ذنبه بالتضحية والصلاة))[٣].

وقد أَوردَ سفر العدد الاصحاح الخامس ، صورةً مفصلة للمرأة التي تريد أَن يغفر لها وضرورة أَن تذهب للكاهن لتعترف عنده بخطئها وذكر السفر أن الكاهن يوقفها أَمام الرب ويأخذ ماء مقدس، ويطلب الكاهن من المرأة الاعتراف فان رفضت سقاها من هذا الماء الذي سمي ماء اللعنة هددها بانه اذا دخل بجسمها ورمت بطنها وسقط فخذها ، واذا اعترفت استطاع الكاهن أن يطهرها بالقرابين والهبات والادعية[٤].

وثمة أنواع ثلاثة من الخطايا في اليهودية: الخطايا ضد الله، الخطايا ضد شخص آخر، والخطايا ضد نفسك. مثال على الخطيئة ضد الله قد تشمل تقديم وعد لا تفي به. قد تتضمن الخطايا ضد شخص آخر قول أشياء مؤذية أو إيذاء شخص ما جسديًا أو الكذب عليه أو السرقة، قد تشمل الخطايا ضد نفسك السلوكيات مثل الإدمان أو حتى الاكتئاب. وبعبارة أخرى ، إذا كان اليأس يمنعك من

---

(١) ينظر: الخطيئة الأولى للإنسان(مقال)، مجيد ملاّ يوسفي، ترجمة وسيم حيدر، منشور في موقع : نصوص معاصرة مركز البحوث المعاصرة في بيروت على الرابط:
https://nosos.net/%D8%A7%D9%84%D8%AE%D8%B7%D9 تم الاطلاع عليه بتاريخ ٢٠٢٢/١١/٢١م .

(٢) ينظر: اليهودية ، ص٣٠٣ .

(٣) الخطيئة والتوبة بين اليهودية والمسيحية ، ص ٢٥٢ .

(٤) ينظر: سفر العدد ، الاصحاح الخامس ، ١-٣١، اليهودية ، احمد شلبي ، ص ٢٩٥ .

العيش بشكل كامل أو كونك أفضل شخص يمكن أن تكونه ، فيمكن اعتباره خطيئة إذا فشلت في السعي لتصحيح المشكلة[١].

بالنسبة لليهود، تدخل الخطيئة الصورة عندما تقودهم الغريزة السيئة إلى فعل شيء ينتهك إحدى الوصايا الموصوفة في التوراة، العديد من هذه الانتهاكات واضحة، مثل ارتكاب جريمة قتل أو إصابة شخص آخر أو ارتكاب مخالفات جنسية أو سرقة. ولكن هناك أيضًا عددًا كبيرًا من خطايا الإهمال، تجاوزات يتم تعريفها من خلال عدم التصرف عندما يستدعي الموقف ذلك ، مثل تجاهل طلب المساعدة، لكن كل تلك الأمور من قتل او اعتداء او غيره اذا كانت ضد يهودي فهي خطيئة اما اذا كانت مع غير اليهودي ليست خطيئة في نظرهم[٢]. يقول محمد الشافي:" وبهذا تكون التوراة قد أعطت لليهود بزعمهم الحق في ارتكاب الكثير من الخطايا "[٣].

واليهود يعتبرون شعوب الأَرض اشراراً ويعتبرون الإحسان إليهم خطيئة، يقول التلمود: كل خير يصنعه أَبناء بني اسرائيل وجميع الإحسانات التي يوزعونها على الاغيار والمحبة التي يستعملونها نحوهم هذه كلها خطايا على اليهود لانهم يعملونها تباهيا وتبجحاً [٤]، لذلك فان اليهود لا يتعاملون مع الانسان بمنطق البشرية بل بمنطق العنصرية[٥].

ولكن اليهودية تأخذ أيضًا نظرة إلى حد ما على الخطيئة، حيث تدرك أن الخطيئة هو جزء من حياة كل إنسان ولكن بالإمكان مغفرة جميع الذنوب. ويدرك اليهود أيضًا أن كل خطيئة لها عواقب في الحياة الواقعية. فالغفران عن الخطايا متاح بسهولة، ولكن هذا لا يعني أن الناس أحرار من عواقب أفعالهم[٦].

---

(١) ينظر: المجتمع اليهودي، زكي شنوده، ص ١٩٠-١٩٢؛ الخطيئة والتوبة بين اليهودية والمسيحية، ٢٠٣-٢٠٤

(٢) ينظر: الخلاص من الخطيئة، محمد عبد الرحمن عوض، ص ٨-٩ .

(٣) الابعاد العقدية لمفهوم الخطيئة في النص التوراتي والانجيلي(بحث)، محمد الشافي، ص٦٠ .

(٤) ينظر: الخلاص من الخطيئة، محمد عبد الرحمن عوض، ص٩

(٥) ينظر: الابعاد العقدية لمفهوم الخطيئة في النص التوراتي والانجيلي(بحث)، محمد الشافي، ص٦٠.

(٦) ينظر: الخطيئة والتوبة بين اليهودية والمسيحية ، ص٢٥٢ .

جاء عن الخطيئة في سِفر الملوك:" إذا أخطأوا إليك؛ لأنه ليس إنسانٌ لا يخطئ "[١]. وكذلك ورد في مزامير داوود:" الكلّ قد زاغوا، معاً فسدوا، ليس مَنْ يعمل صلاحاً، ليس ولا واحد "[٢]. والخطيئة عند اليهود لا يقتصر اقتراف المعاصي على الناس العاديين فقط، وإنما الأنبياء أيضاً، من أمثال: نوح وإبراهيم ويعقوب وداوّد وسليمان ، إذ كانوا يرتكبون المعاصي، من قبيل: شرب الخمر، والكذب، والزِّنا، والقتل[٣].

ومن ذلك بخصوص نوح (عليه السلام) ورد في سِفر التكوين:" وَابْتَدَأَ نُوحٌ يَكُونُ فَلاَّحاً، وَغَرَسَ كَرْماً، وَشَرِبَ مِنَ الْخَمْرِ، فَسَكِرَ وَتَعَرَّى دَاخِلَ خِبَائِهِ، فَأَبْصَرَ حَامٌ أَبُو كَنْعَانَ عَوْرَةَ أَبِيهِ، وَأَخْبَرَ أَخَوَيْهِ خَارِجاً، فَأَخَذَ سَامٌ وَيَافَثُ الرِّدَاءَ، وَوَضَعَاهُ عَلَى أَكْتَافِهِمَا، وَمَشَيَا إِلَى الْوَرَاءِ، وَسَتَرَا عَوْرَةَ أَبِيهِمَا وَوَجْهَاهُمَا إِلَى الْوَرَاءِ، فَلَمْ يُبْصِرَا عَوْرَةَ أَبِيهِمَا "[٤].

وجاء في خصوص إبراهيم (عليه السلام):" وَحَدَثَ لَمَّا قَرُبَ أَنْ يَدْخُلَ مِصْرَ أَنَّهُ قَالَ لِسَارَايَ امْرَأَتِهِ: إِنِّي قَدْ عَلِمْتُ أَنَّكِ امْرَأَةٌ حَسَنَةُ الْمَنْظَرِ، فَيَكُونُ إِذَا رَآكِ الْمِصْرِيُّونَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: هذِهِ امْرَأَتُهُ، فَيَقْتُلُونَنِي وَيَسْتَبْقُونَكِ، قُولِي: إِنَّكِ أُخْتِي؛ لِيَكُونَ لِي خَيْرٌ بِسَبَبِكِ، وَتَحْيَا نَفْسِي مِنْ أَجْلِكِ "[٥]، ولكنْ بعد أن تبيَّنَتْ حقيقة الأمر لفرعون استدعى إبراهيم إليه، وقال له:" مَا هذَا الَّذِي صَنَعْتَ بِي؟ لِمَاذَا لَمْ تُخْبِرْنِي أَنَّهَا امْرَأَتُكَ؟ لِمَاذَا قُلْتَ: هِيَ أُخْتِي، حَتَّى أَخَذْتُهَا لِي؛ لِتَكُونَ زَوْجَتِي؟ وَالآنَ هُوَذَا امْرَأَتُكَ! خُذْهَا وَاذْهَبْ "[٦].

وسيتضح بشكل أوضح أن مفهوم الخطيئة عند اليهود يختلف عن مفهوم الخطيئة في الأديان الأخرى كون أن العمل الذي يعد خطيئة اذا كان ضد اليهود لا يعد خطيئة لو كان مع غيرهم أَمثال القتل والكذب والسرقة والربا الى غيره من الخطايا، وأن اليهودي مجبور على الخطيئة كونه لا يستطيع الصمود امام المغريات ولهذا فعليه ان يدفع القرابين والهبات عن اخطاءه، وعليه يتضح ايضاً أن الخطيئة عند

---

(١) الكتاب المقدس، الكنيسة ، سِفر الملوك الأول، الإصحاح ٨، الفقرة ٤٦.

(٢) سفر المزامير، المزمور: ١٤، الفقرة ٣.

(٣) ينظر: الخطيئة الأولى للإنسان(مقال)، مجيد ملاّ يوسفي، ترجمة وسيم حيدر، منشور في موقع : نصوص معاصرة مركز البحوث المعاصرة في بيروت على الرابط:
https://nosos.net/%D8%A7%D9%84%D8%AE%D8%B7%D9 تم الاطلاع عليه بتاريخ ٢٠٢٢/١١/٢١م .

(٤) سِفر التكوين، الإصحاح ٩، الفقرات ٢٠ . ٢٣.

(٥) المصدر نفسه، الإصحاح ١٢، الفقرات ١١ – ١٣.

(٦) المصدر نفسه، الإصحاح ١٢، الفقرات ١٨ –. ٢٠.

اليهود هي مجرد مصلحة لليهود فالمصلحة عندهم تعني انه لا خطيئة واما ما يمسهم بسوء او يمس غيرهم بخير فهو خطيئة في نظرهم وجريمة تستحق العقاب[1].

المطلب الثاني: التوبة في الفكر اليهودي

إنَّ مسألة التوبة عند اليهود تتعلق بمحور الحياة عندهم وذلك أن اليهود جعلوا محور حياتهم نظرية الاصطفاء أي شعب الله المختار" وهي نظرية لها اصل في الدين حيث أن الله سبحانه وتعالى اختار بني إسرائيل وخصهم بمزيد من العناية الإلهية فارسل لهم الرسل وصنع لهم الكثير من المعجزات... وكانوا قد دخلوا مصر بقيادة يوسف (عليه السلام) وعاشوا بين أهلها حتى ضرب عليهم الاستعباد كما ضرب على اهل مصر جميعًا. وشاءت العناية الإلهية أن يرسل موسى وأخاه هارون عليهما السلام الى فرعون... وقد شاءت العناية الإلهية أن يتخلص بنو إسرائيل من العبودية على يد موسى عليه السلام بعد أن أغرق الله فرعون وجنوده امام أنظار بني إسرائيل. وبهذا استؤنف عهد الاصطفاء أَو الاختيار الذي تفضل به الله على بني إسرائيل . ومن هذا العهد بدا سفر الخروج يحكي قصة هذا الاصطفاء من وجهة نظر اليهودية "[2].

إنَّ التفضيل كان على عالم زمانهم باعتبارهم الموحدين في ذلك الزمان دون غيرهم تلمح لذلك آيات القرآن إذ تبين أن هذا التفضيل هو تفضيل بني إسرائيل على غيرهم من أفراد عصرهم ومنطقتهم، لا تفضيلا مطلقاً[3].

لقد بيَّن القرآن الكريم بطلان زعم اليهود بالأدلة الواضحة الدامغة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [المائدة: ١٨]. قال الطوسي:((وقوله: " واحباؤه " جمع حبيب، فقال الله لنبيه محمد (صلى الله عليه واله) قل لهؤلاء المفترين على ربهم: " فلم يعذبكم بذنوبكم " فلاي شئ يعذبكم بذنوبكم إن كان الامر على ما زعمتم، فان الاب يشفق على ولده. والحبيب على حبيبه، لا يعذبه وهم يقرون بأنهم معذبون، لانهم لو لم يقولوا به، كذبوا بكتبهم وأباحوا

([1]) ينظر: الخلاص من الخطيئة في مفهوم اليهودية والمسيحية والإسلام ، ص ٩ .

([2]) المصدر نفسه ، ص٨ .

([3]) ينظر: مفاتيح الغيب ، الرازي: ٦٦/٢، الأمثل، ١٩٦/١-١٩٧ .

الناس ارتكاب فواحشهم. واليهود تقر انهم يعذبون أربعين يوما. وهي عدد الايام التي عبدوا فيها العجل... ليس الامر على مازعمتم انكم ابناء الله واحباؤه، بل انتم بشر ممن خلق من بني آدم ان أحسنتم جوزيتم على إحسانكم مثلهم، وإن اسأتم، جوزيتم علي إساء تكم، كما يجازى غيركم. وليس لكم عند الله إلاما لغيركم من خلقه))[١].

أي ليس الأمر كما زعمتم أيها اليهود، بل الحق أنكم كسائر البشر من خلق الله، إن آمنتم وأصلحتم أعمالكم نلتم الثواب، وإن بقيتم على كفركم وجحودكم نلتم العقاب، لا فضل لأحد على أحد عند الله إلا بالإيمان والعمل الصالح[٢].

ومن منطلق عقيدة الشعب المختار والاصطفاء يتحدد مفهوم الخطيئة والتوبة عندهم[٣].

إنَّ اليهودية ديانة تختلف عن كل الديانات الاخرى وأن مفهوم الخطيئة عندهم له طابع خاص وأن الخطايا عندهم ليست كلها خطايا يحاسب عليها اليهودي فعندهم خطايا مسموح بها.

والخطايا المسموح بها: إن أي جريمة وخطيئة هي مسموح بها مالم تمس اليهودي الاخر أي انه اذا قصد بها غير اليهودي فانها تكون مباحة وربما تكون محمودة ، وعلى هذا المبدأ لا يستطيع الانسان أن يصل الى مفهوم حقيقي للخطيئة لدى اليهود وذلك أن محور حياتهم يدور حول الاصطفاء بعقيدة الشعب المختار ينظرون الى الامور[٤].

وهنا أعرض نماذج من التلمود وهي تشير إلى جواز فعل الخطيئة ، ومنها:

١- يجوز لليهودي أن يحلف يمينًا كاذبة وخاصة في معاملة مع باقي الشعوب

٢- مصرح لليهودي أن يسلم نفسه للشهوات اذا لم يمكن مقاومتها

٣- نحن شعب الله في الأَرض وقد أَوجب علينا ان يفرقنا لمنفعتنا ذلك انه لأجل رحمته ورضاه عنا سخر لنا الحيوان الانساني وهم كل الامم والاجناس سخرهم لنا لأنه يعلم اننا نحتاج الى نوعين من

---

(١) التبيان ، ٤٧٥/٣.

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب، ١٩/٦ .

(٣) ينظر: الخلاص من الخطيئة في مفهوم اليهودية والمسيحية والإسلام ، ص٨ .

(٤) ينظر: المصدر نفسه ، ص ١٣ .

الحيوان: نوع اخرس كالدواب والانعام والطير ونوع ناطق كالمسيحين والمسلمين وسائر الامم من الشرق والغرب فسخرهم ليكونوا في خدمتنا[١].

ولهذا نجد أن اليهودي مسموح له في التلمود أن يفعل ما يرغبه ويهواه سواء أكان علانية أم بالخداع والحيلة.

يرى كثيرُ من الكتاب أن الخطيئة عند اليهود ذات وجهين وجه صالح وآخر سيء، وكذلك الاحسان له وجهين فيمكن أن يكون له وجه حسن اذا قدمه اليهودي لليهودي اما اذا قدمه لغير اليهودي فهو اثم هذا اذا كان يستطيع منع الاحسان ولكنه فعله اما اذا كانت الظروف لا تسمح له بمنع الاحسان عن الاخرين فمسموح انه يقدمه ولكن على كره وضيق جاء في التلمود: اذا جاء الاجنبي والاسرائيلي امامك بدعوى فاذا امكنك أن تجعل الاسرائيلي رابح فافعل واستعمل الغش والخداع في حق الاجنبي حتى تجعل الحق لليهودي[٢].

على وفق مفهوم الخطيئة جاءت التوبة، ورسمت ملامحها ، وكيف تكون وعلى من تجب في الديانة اليهودية.

في العهد القديم مفردات تشير الى توبة الانسان، فالتوبة:" عودة الرب، وتراجع عن طريق الشر والخطيئة، وسلوك طريق الخير، وهي ايضاً البحث عن الله والتماس وجهه، واعداد القلب له "[٣].

كانت الخطيئة هي الفكرة الأساسية في الديانة اليهودية وجاءت التوبة مترادفة معها حتى قيل أن اليهودية تعني التوبة من عبادة العجل، ولهذا فكانت التوبة والخطيئة هما الشغل الشاغل في التشريعات اليهودية[٤].

---

(١) ينظر: إسرائيل والتلمود دراسة تحليلة، إبراهيم خليل احمد، ص٦٩ .

(٢) ينظر: الخلاص من الخطيئة: عبد الرخمن عوض، ص ١٣ .

(٣) التوبة في اليهودية والنصرانية والإسلام، عادل محمد احمد الحسيني، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بدمنهور، العدد الخامس ٢٠٢م ، ٨/ ٢٨ .

(٤) ينظر: الخطيئة والتوبه بين اليهودية والمسيحية، محمد احمد الخطيب، كلية الشريعة والقانون، جامعة قطر، ص٢٥٢.

وبما أن الخطايا كثيرة اذا فلا بد من وسيلة لتكفيرها الذنوب التي تنتج عن الخطايا ولهذا فعندهم يمكن اتقاء الخطيئة من خلال التضحية يقول وول ديورانت:((وكان يمكن اتقاء الخطيئة ونتائجها بالصلاة والتضحية. وبدأت التضحية عند الساميين كما بدأت عند "الآريين" بالضحايا البشرية، ثم حل الحيوان محل الإنسان فصار يضحي "بأولى ثمرات القطعان" وباكورة الطعام الذي تنتجه الحقول؛ ثم انتهى الأمر أخيراً بالاكتفاء بالتسبيح والثناء على الله... وكانت عملية الختان نفسها من أعمال التضحية ... وكان الحيض والولادة، كالخطيئة، يدنسان المرأة، ويتطلبان تطهيراً ذا مراسم وتقاليد، وتضحية وصلاة، على يد الكهنة. وكانت المحرمات تحيط بالمؤمنين من كل جهاتهم، كما كانت الخطيئة كامنة في كل شهوة من الشهوات، وكان لا بد من الهبات للتكفير عن هذه الخطايا، وقلما كانت هناك خطيئة لا يمكن التكفير عنها بهذه الوسيلة))[١].

تطور مفهوم التوبة عند اليهودية ومرَ بثلاث مراحل:

المرحلة الاولى: وهي مرحلة التاريخ البدائي والاباء: وتميز بعدم وجود تكفير للخطيئة والمخرج الالهي للشعب كان هو المخرج الالهي هو الحل[٢]، ثم تطور المفهوم بعض الشيء واصبح يتم اتقاء الخطيئة من خلال الصلاة فقط ثم بعد ذلك تحول الى قرابين يقدمها رب العائلة[٣].

المرحلة الثانية: فيها يتشكل مفهوم التوبة بشكل له مواصفات محددة في عهد موسى فكان بداية الامر قربان يقدم للرب وكان لابد الاعتراف بالذنب المرتكب امام الكاهن ويعتبر الكاهن وسيط بين المرء والرب[٤].

المرحلة الثالثة: أصبحت فيه التوبة شعورا داخليا بالندم على الذنب المرتكب، واخذت شكلا فلسفيا متأثرة بالفلسفة اليونانية وهذا حدث في العصور المتأخرة بعد تدمير الهيكل والشتات[٥].

لَم يَكتمل مفهوم التوبة إلا في عصر الأنبياء الأواخر أو عصر النبوة الكلاسيكية في القرن الثامن قبل الميلاد؛ حيث تُقسم تلك الفترة إلى ثلاثة عصور: عصر أنبياء النفي الآشورى ؛ حيث يظهر تأثير

---

(١) قصة الحضارة ، ٢/٣٤٥-٣٤٦ .

(٢) ينظر: نشأة مفهوم التوبة وتطوره في العهد القديم(رسالة ماجستير)، منة الله عامر محمد ، ٢٠١٩، ص٩ .

(٣) ينظر: التوبة في اليهودية والنصرانية والإسلام ، ٣٩ .

(٤) المصدر نفسه، ص ٣٩ .

(٥) ينظر: نشأة مفهوم التوبة وتطوره في العهد القديم ، ص٩ .

النفي على كيفية تفسير الأنبياء لمفهوم التوبة؛ حيث تحول مفهوم التوبة من مُجرد تقديم القرابين والذبائح إلى الرب، لترك المعاصي والندم على فعلها والعزم على عدم العودة إليها مرة أخرى، والفترة الثانية هي عصر أنبياء النفي البابلى؛ حيث عالج الأنبياء العديد من القضايا وبدأت التوبة تأخذ مفهوم أخروي، وارتبط بعد ذلك مفهوم التوبة ارتباطًا وثيقًا بخلاص بني إسرائيل وعودتهم من الشتات، وقد لعبت التوبة دورًا مهمًا في خلاص بني إسرائيل الدنيوي والأخروي ويظهر ذلك جليًا في العصر الفارسي فحتى يتحقق لهم الخلاص وينفذ الرب العهود والوعود التي قطعها معهم ، لابد أن يعودوا إلى الرب ويطيعوا أوامره ، وبدأت التوبة ترتبط بأفكار أخرى في الديانة اليهودية ، كفكرة الخلاص ، والاختيار ، والثواب والعقاب، والبعث وغيرهم[١].

ويلاحظ أن الخطيئة تكررت بشكل كثيف في نصوص أَسفار الأنبياء فدائما يخطيء بنو إسرائيل ويعصون الرب حتى أن الخطيئة أصبحت تاريخ بني إسرائيل وقد فسرها العديد بانها سبب البلايا التي نزلت عليهم من نفي ودمار وقتل[٢].

يقول **زكي شنودة:**((وكان تقديم القرابين طقساً رئيسيا في عبادة اليهود وكان الذي يقوم بتقديمها رب العائلة عن نفسه وعن عائلته... حتى جاء موسى فقرر لليهود نظام دقيقا مفصلا لتقديم القرابين وقصر تقديمها على الكهنة وحدهم يعاونهم اللاويون))[٣].

في التقاليد اليهودية ، تشتمل عملية التكفير عن الذنب أَو التوبة على مستويات عدة، وإذا تم استعراض بعض نصوص العهد القديم نجدها تتناول مفهوم التوبة والخطيئة كثيراً، جاء في العهد القديم،"

---

(١) ينظر: موسوعة اليهود واليهودية، عبد الوهاب المسيري، ٢٥٩/١٤؛ نشأة مفهوم التوبة وتطوره في العهد القديم(المقدمة).

(٢) ينظر: التطور الفلسفي لمفهوم التوبة في سفري أيوب والجامعة(بحث)، منة الله مصطفى عامر لطفي، مجلة المنصة للعلوم واللغات والآداب، مج٣، العدد الأول، حزيران ٢٠٢٢م ، ص ١١١ .

(٣) المجتمع الإسرائيلي، زكي شنوده ، ص١٥٨ .

قبل مرضك كن متواضعا، وعند ارتكاب الخطيئة أرِ توبتك "[١]، وجاء في موضع آخر من الكتاب المقدس" اذكر من أَينَ سقطت وتب "[٢].

وكانوا يقدمون القرابين لله تعبيراً عن اعترافهم بخطاياهم أَو تكفيرا لذنوبهم أَو توبتهم عن ارتكاب الخطايا ومقدم التضحية أي الذبيحة يضع يده على راس الذبيحة ويعترف بخطيئته ثم يذبحها[٣].

جاء في سفر اللاويين:" وَيَضَعُ يَدَهُ عَلَى رَأْسِ الْمُحْرَقَةِ، فَيُرْضَى عَلَيْهِ لِلتَّكْفِيرِ عَنْهُ"[٤].

المطلب الثالث: مراسيم التوبة وتكفير الخطايا

إنَّ اليهود بما أَنهم كثيروا الخطيئة فهم يلجأون الى تقديم القرابين للتعبير عن توبتهم وتكفير عن خطيئتهم وتلك القرابين كانت عديدة منها:

١) **المحرقات:** كان اليهود يقدمونها صباحًا ومساءً في كل يوم تكفيرًا عن الخطايا فكانت هذه المحرقة الدئمة[٥]، جاء في سفر الخروج:" وهذا ما تقدمه على المذبح خروفان حوليان كل يوم دائما الخروف الواحد تقدمه صباحا والخروف الاخر تقدمه في العشية "[٦].
٢) **ذبائح السلامة:**" وكانوا يقدمونها طلب للرضا من الله او تعبيرا عن الشكر لله"[٧].
٣) **ذبائح الخطيئة:** كانوا يقدمونها للتكفير عن خطاياهم التي يرتكبونها ولم يسمح لمقدمها ان يأكل منها وتتميز برش دمها على الهيكل وعلى زوايا المذبح الأربع وبعض الأحيان تحرق الجثة إذا كان في سبب تقديمها وقوع جماعة من اليهود في الخطيئة[٨].

---

(١) سفر يوشع بن سيراخ ، ٢١/١٨، نقلا من: التوبة في اليهودية والنصرانية والإسلام، عادل محمد احمد الحسيني، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بدمنهور، العدد الخامس ٢٠٢م ، ٨/ ٢٩ .

(٢) سفر رؤيا يوحنا اللاهوتي،٥/٢، نقلا من : التوبة في اليهودية والنصرانية والإسلام، عادل محمد احمد الحسيني، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بدمنهور، العدد الخامس ٢٠٢م ، ٨/ ٢٨ .

(٣) ينظر: المجتمع اليهودي، زكي شنودة ، ص ١٨٥ .

(٤) سفر اللاويين ، ٤/١ .

(٥) ينظر: الخطيئة والتوبة بين اليهودية ، ٢٥٤ .

(٦) سفر الخروج ، ٢٩: ٣٨-٤٢ .

(٧) الخطيئة والتوبة بين اليهودية والنصرانية ، ٢٥٤ .

(٨) ينظر: التوبة في اليهودية والنصرانية والاسلام ، ص ٤٠ .

٤) **ذبائح الاثم:** وكانوا يقدمونها عن الخطايا الشخصية، التي تحدث سهوا وتكون غالبا من الكبائش[١]. وإن الغاية من تقديم تلك القرابين كما يقول زكي شنودة:((تذكير اليهود بخطاياهم وللتكفير عنها إرضاء لقداسة الله التي ترفض الخطيئة ولكن اليهود اتخذوها على العكس مبررا لارتكاب الخطايا ما داموا يستطيعون بالقرابين التكفير عنها واجتناب القصاص التي تستوجبه ناظرين الى هذه الطقوس من ناحيتها الشكلية فحسب معتقدين أن مجرد القيام بها يغني عن الحكم المقصودة من ورائها وقد اهملوا كل الواجبات الروحية والأدبية والإنسانية التي هي جوهر الدين))[٢].

ويبدوا لنا رجاحة هذا القول ، لأن مراسيم تكفير الذنب في اليهودية لا تساعد على التخلص من الذنب بل تعين المذنب على الاستمرار في ذنبه وبإمكانه أن يكرر معصيته نفسها ثم يقدم تلك القرابين ويغفر له وهكذا.

استغل الاحبار والقائمين على قضايا التوبة والتطهير بعض نصوص الشريعة " وقد استغل احبار اليهود تلك الطقوس الشكلية التي يقوم بها اليهود بابتكار نظام جديد عجيب يدل على الخدع والاحتيال في النصوص المقدسة عندهم فهم وان تمسكوا بحرفية النص الا انهم خالفوا روحه ومقاصده . وقد عرف هذا النظام المخادع باسم (نظام الإعفاءات الشرعية) وتتناول تلك الإعفاءات معظم الاحكام المتعلقة بالقصاص والعقاب"[٣].

وهذا الأمر أدى إلى استغلال الخطيئة والتكفير عنها بشكل خطير من قبل الكهنة ونتج عن ذلك كما يرى احمد شلبي:" أَن وضع كهنة اليهود انفسهم بين الناس والله فلم تقبل توبة ولا قرابين الا اذا باركها الكاهن فقد كان مفتاح السماء بين يدية "[٤]، وقد وصل بالكهنة الأَمر إلى أن يعتبروا الحيض والولادة خطيئة تدنس المرأة يقول وول ديورانت:" كالخطيئة يدنسان المرأة ويتطلبان تطهير ذا مراسيم وتقاليد وتضحية وصلاة على يد الكهنة "[٥].

---

(١) ينظر: الخطيئة والتوبة بين اليهودية والمسيحية ، ٢٥٤-٢٥٥ .

(٢) المجتمع الاسرائيلي ، ص٢٦٥ .

(٣) الخطيئة والتوبة بين اليهودية والمسيحية ، ص ٢٥٥ .

(٤) اليهودية ، ص٢١٥ .

(٥) قصة الحضارة ، ٣٤٦/٢ .

وفي جدوى تلك الطقوس التي يؤدونها مدى تقبلها من الله نجد أن اسفارهم تقول أن الله يرفضها ((هذه الطقوس لم تقرب بني إسرائيل بل باعدت بينهم وبين الله، فيقول اشعياء(٤/٢): اسمعي ايها السماوات واصغي ايتها الأرض لان الرب يتكلم ربيت بنين ونشأتهم اما هم فعصوا على الثور يعرف قانيه والحمار معلف صاحبه اما إسرائيل فلا يعرف شعبي لا يفهم ويل للأمم الخاطئة الشعب الثقيل الاثم نسل فاعلي الشر أولاد المفسدين تركوا الرب استهانوا بقدوس إسرائيل ارتدوا الى الوراء))[١].

وأَما شروط التكفير عن الذنب: من شروط مراسيم التكفير عن الذنب هو أن يقوم به شخص من نسل هارون، وأن جماعة من اليهود رفضوا هذا الامتياز الديني الخاص ببني هارون وكان عقابهم أَنَّ الأرض انشقت من تحتهم وابتلعتهم جاء في سفر العدد:" انشقت الأرض من تحتهم وفتحت فاها وابتلعتهم وبيوتهم..."[٢]، والسفر كذلك يقدم تبرير للجزاء الذي ناله المعترضين على الامتياز الخاص ببني هارون جاء في السفر:" لكي لا يقترب رجل اجنبي ليس من نسل هارون ليبخر بخورا أَمام الرب "[٣].

ويوم التكفير والغفران: ويسمى يوم كيبور، هو واحد من أهم الأعياد اليهودية، هو يوم التوبة والمصالحة لليهود ويقام في اليوم العاشر من الشهر العاشر في التقويم اليهودي – في سبتمبر أو أكتوبر. تسمى الأيام العشر التي سبقت يوم الغفران بـ "أيام التوبة العشر"، وتطلب فيه المغفرة عن الذنوب التي ارتكبها اليهود في صلاة جماعية يؤديها الكهنة، ويتميز هذا اليوم بتمسك اليهود بالصلاة والصوم في يوم الغفران[٤].

وحول تاريخ نشأة الكفارة والغفران عند اليوم يقول محمد بيومي مهران:((ويذهب بعض الباحثين إلى الكفارة إلى أَن بداية شعائر الكفارة انما يرجع إلى عصور العبريين الأولى، بل أن صاحب هذا

---

(١) الخلاص من الخطيئة في مفهوم اليهودية والنصرانية والإسلام ، ص ٢٣ .

(٢) سفر العدد، ٣٠/١٦ .

(٣) سفر العدد، ٤٠/١٦.

(٤) ينظر: التوبة في اليهودية والنصرانية والإسلام، عادل محمد احمد الحسيني، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بدمنهور، العدد الخامس ٢٠٢م، ٨/ ٤٢ .

الاتجاه انما يرجع الى الشريعة الموسوية نفسها قد قررت يوماً في السنة لحساب النفس والندم على ما بدر من المؤمنين من خطايا والتكفير عنها لا بالصوم فقط بل بالذبائح والصلوات والأموال ...))[١].

وهذا اليوم عند اليهود له مكانة خاصة ليس حصراً على المتدينين بل انه حتى العلمانيون من اليهود يحتفلون يقول عبد الوهاب المسيري:" ويحتفل معظم أعضاء الجماعات اليهودية بهذا العيد، ومن بينهم اليهود العلمانيون، ولكن احتفالهم به يأخذ شكلاً علمانياً، فهم لا يمارسون أية شعائر مثل الصوم أو الامتناع عن الجماع الجنسي (الأمر الذي يتطلب كبحاً للذات) ، وإنما يقيمون يوماً احتفالياً فيحصلون على إجازة ويذهبون إلى المعبد حيث تقوم الجماعة بممارسات تؤكد الهوية الإثنية الآخذة في التآكل. وعلى ذلك، فإن الاحتفال بالعيد تعبير عن رغبة عارمة لدى عدد كبير من أعضاء الجماعة في الحفاظ على هويتهم وتعبير أيضاً عن إدراكهم أنها هوية تتجه إلى الاختفاء"[٢].

هناك اتجاه من الباحثين يذهب إلى أَنَّ يوم الكفارة لم يكن موجوداً عند اليوم في أيام عزرا الكاتب وذلك أن سفر نحميا لا يشير اليه في يوم العاشر ومن هذا احتمالين، الأول: أن يوم التكفير لم يكن قد قرر بعد عند اليهود، والثاني: انه كان موجود ولكن لم يحدد له يوم خاص ثم وضع له يوم بعد عزرا[٣].

إنَّ الشريعة اليهودية قد حددت يوماً في كل سنة للتكفير عن الخطاب وهو يوم الغفران وكان ينبغي في هذا اليوم الامتناع عن العمل وتذليل النفس بالصوم والصلاة والاعتراف بالخطايا، وبعد موت النبي سليمان تفككت مملكته وادى ذلك الى التفكك السياسي والاجتماعي والانحراف الديني فحلت عبادة الاصنام وظهر الأنبياء الذين ارسلهم الله تعالى لأرجاع اليهود الى الطريق الصحيح وكان الأنبياء يذكرون بني إسرائيل من الكوارث التي ستحل بهم جراء أعمالهم وانحرافهم وعندها أصبحت القرابين والهبات امرا شكليا لا تدل على التوبة او طلب المغفرة ولهذا كان العقاب الإلهي جزاء اليهود بعد انحرافهم العقائدي بان سلط عليهم الأمم الأخرى وهذا وضح في النصوص التي توردها التوراة على لسان انبيائهم[٤].

---

(١) بنو إسرائيل،٥٦٤/٤ .

(٢) موسوعة اليهود واليهودية، عبد الوهاب المسيري،٢٢٠/١٤.

(٣) ينظر: بنو اسرائيل ، محمد بيومي مهران، ٥٤٦/٤ .

(٤) ينظر: الفكر الديني اليهودي، حسن ظاظا، ص١٦٨، المجتمع الإسرائيلي، زكي شنوده، ص ٢٦٥.

يقول محمد بيومي مهران:((إن اليهود قد جعلوا من يوم الغفران او الكفارة هذا، يوماً يعلنون فيه نقضهم للعهود والمواثيق التي قطعوها لغير اليهود))[١].

((... يمكننا أَنْ نلاحظ عدة حقائق في الفكر اليهودي، أهمها واخطرها ان القرابين والاضحيات والهبات لم تعد تغني شيئا من كثيرة الذنوب والخطايا وعظمها، ولهذا فقد اقفل باب التوبة امام اليهود وواجه اليهود مجموعة تحذيرات الهية وجهها الأنبياء كانت أولها في مملكة إسرائيل وكان اخرها في مملكة يهوذا التي لم تتعض ما حل بجارتها . وهذا يعني أن الرب لم يعد يقبل توبتهم عن طريق تقديم القرابين والهبات على يد الكهنة، وانما جعل تخليصهم من آثامهم بالعذاب والتشريد على يد الأمم الأخرى))[٢].

وفي ظل الوضع المتدهور في السبي البابلي وفقدان اورشليم والهيكل وكل شيء، يقول حسن ظاظا:" اصبح حلم الأنبياء والمصلحين والكثرة الكثيرة من اليهود أن يأتي ملك فذ من نوعه مخلص معه القوة والبركة معجز يعيد الأَمجاد السالفة فيكون هو الملك بحق وهو المسيح المخلص"[٣].

وإن فكرة المسيح المخلص تعني تجديد العهد مع الرب عندما يحصل الشعب على الاستقلال بعد إرضاء الرب، عندئذ يتجدد العهد مع الرب وتصير اورشليم مدينة لامثيل لها وحتى أن الرب يقيم فيها ويجتمع فيها المشردون من بني إسرائيل[٤].

ويرى أَحمد شلبي أن فكرة المسيح المخلص ما هي الا استعارة من الديانة الفارسية الزرادشتية التي تبرز انتصار الخير على الشر في الصراع الطويل بينهما وذلك الذي اطلق عليه الفرس خيرا سماه اليهود المسيح[٥].

إن عقيدة اليهود وأفكار ديانتهم هو من أدى الى مفهوم التوبة عندهم، مادام هناك خلود بعد الموت والعقاب هو في الدنيا وهو بذلك لا يذكرون في عقيدتهم الحياة الأخرى والبعث، يقول وول ديورانت: وفي عقيدتهم في البعث والحياة الأخرى يشير وول ديورانت إلى ذلك:((أن اليهود قلما كانوا يشيرون إلى حياة أخرى بعد الموت، ولم يرد في دينهم شيء عن الخلود؛ وكان ثوابهم وعقابهم مقصورين

---

(١) بنو اسرائيل ، ٥٤٦/٤ .

(٢) الخطيئة والتوبة بين اليهودية والمسيحية، محمد احمد الخطيب، ص ٢٥٩.

(٣) الفكر الديني اليهودي، ص ١٠٩ .

(٤) ينظر: الحطيئة والتوبة بين اليهودية والمسيحية ، ص ٢٦٠ .

(٥) ينظر: اليهودية ، ص٢١٩ .

على الحياة الدنيا. ولم تدر فكرة البعث في خلد اليهود إلا بعد أن فقدوا الرجاء في أن يكون لهم سلطان في هذه الأرض، ولعلهم أخذوا هذه الفكرة عن الفرس، أو لعلهم أخذوا شيئاً منها عن المصريين. ومن هذه الخاتمة الروحية ولدت المسيحية))[١].

نلحظ أَنه وفق هذا المبدأ فان التوبة تكون أَيضاً دنيوية لأنه لا يحاسب اليهود في الآخرة باعتبارهم الشعب المختار، وكان لهذه الفكرة التأثير الكبير على سلوك اليهود.

والخلاصة التي تنتهي إليها فكرة المخلص هو" أن الشقاء الذي حل باليهود بعد السبي البابلي كان في اعتقادهم تطهيرا لذنوبهم وكبائرهم وانه سيكون في نهاية هذا الشقاء يوما عظيما سموه بـ(يوم الرب) يظهر فيه المخلص الذي سيعيد مجد اليهود بعد أن تطهروا من آثامهم[٢].

وهكذا يتبين أن الخلاص من الذنب يكون بتقديم المحرقات والهدايا للكهنة ثم بالصلاة الموسمية التي تقام في أوقات معينة من السنة وكل هذه الأمور لا تضمن للمذنب خلاصاً حقيقياً من الذنوب بل هي تريح اعصابه إذا توترت لارتكابه ذنباً وتعطيه صك الأمان الى انه في أي وقت يستطيع أن يتحول إلى انسان طاهر عفيف النفس مهما ارتكب من آثام او اقترف من خطايا وذلك بفضل ما تعطيه له ديانته من آمال عراض في الصفاء [٣].

ذهب الباحثون إلى القول أن اليهودية في تقديمها للخطيئة والخلاص قاصرة في عدة جوانب منها[٤]:

١- انها لم تراع الجوانب الإنسانية المختلفة ولم تتعامل مع الانسان بمنطق البشرية بل بمنطق العنصرية.

٢- لا توجد في عرف الديانة اليهودية خطيئة بمعنى الكلمة انما توجد اعتبارات اذا توفرت تحول الفعل الى خطأ وإلا فهو الصواب

٣- أن طريق الخلاص بعيد بعدًا تامًا عن خط العلاج الحقيقي بل اننا رأيناه مناسب لتعميق الخطيئة والاستراحة اليها فهو لا يضمن رد الحقوق الى أصحابها وترك الخطأ الى الصواب

---

(١) قصة الحضارة، ٣٤٥/٢ .

(٢) ينظر: الحطيئة والتوبة بين اليهودية والمسيحية، ص ٢٦١ .

(٣) ينظر: التوبة في اليهودية والنصرانية والاسلام، ص ٤٢ .

(٤) ينظر: الخطيئة والخلاص، ٢٣، التوبة في اليهودية والنصرانية والإسلام(بحث)، عادل محمد احمد محمود الحسني، ص ٤٢.

٤- أن الخطيئة في عرف اليهودية امر لم يتنزه عنه احد حتى الأنبياء بل والذات الإلهية تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا

إن مفهوم التوبة يختلف عن المفهوم الإسلامي لكون الإسلام يعتقد أن هناك عقاباً الهياً سيناله المذنب الذي لم تغفر خطاياه بينما في اليهودية فقد وصل اليها الاعتقاد في اليوم الاخر متأخرا، وذهب أَحمد ظاظا:" أن الفكر اليهودي بصورة عامة كان يتسم بظاهرة يتفرد بها دون الأديان السماوية وهي بقاء الباب مفتوحاً لكل الوان التطور بحيث اصبح اليهودي اليوم لا يشبه اليهودي ما كان عليه أيام داود وسليمان ... فالنصوص تغيرت والظروف التأريخية كذلك والعقائد والطقوس معها ايضاً بحيث يجد مؤرخ الفكر اليهودي نفسه امام عدة اديان ومجتمعات مختلفة غريبة بعضها عن بعض لا تتفق الا في الاسم وتدخل بسببه في ركام متكتل "[١].

بينما في الإسلام نجد أَن النص المقدس هو القرآن الكريم قد جاء به نبي واحد وهو الرسول الأعظم وانه اكتمل في حياته ودون ولم يضاف له شيء بعد وفاته وكان حريص على ان لا يختلط ما ليس من القران الكريم بالقران حتى لا تختلط النصوص، بينما في اليهودية الامر مختلف تماماً فان توراة موسى لم الا حلقة في سلسلة طويلة جدا من نصوص لها عند اليهود نفس التقديس وكتبت خلال فترات طويلة جدا تصل الى الالف عام[٢].

خلاصة الفصل الأول

١) التوبة كفكرة دينية في اليهودية كانت في بداية الامر وسيلة للتكفير عن الذنوب والآثام وذلك عن طريق تقديم الذبائح والقرابين للرب.

٢) فكرة التوبة في بدايتها مجرد قربان يقدم للرب بغرض الشكر ثم تطورت ليكون الكاهن هو الوسيط الذي يقدمها ثم أصبحت شعورا داخليا بالندم على الذنب المرتكب. ثم اخذت شكلًا فلسفيًا في العصور المتأخرة حيث تأثرت بالفلسفة اليونانية

([١]) الفكر الديني اليهودي، حسن ظاظا، ١٥١ .

([٢]) ينظر: الفكر الديني اليهودي، حسن ظاظا ، ١٥٢.

٣) في اسفار العهد القديم طرق عدة للتكفير عن الذنوب والاخطاء وأنواع القرابين المقدمة للتكفير عن الذنوب.

٤) يتميز التاريخ البدائي وتاريخ الإباء بعدم وجود تكفير للخطيئة والمخرج الإلهي هو الحل.

٥) ثم يتشكل مفهوم التوبة بشكل له مواصفات محددة الا في عهد موسى فكان بداية الامر قربان يقدم للرب وكان لابد الاعتراف بالذنب المرتكب أَمام الكاهن ويعتبر الكاهن وسيط بين المرء والرب.

٦) تشابك فكرة التوبة بفكرة الخلاص وابواب العقاب فالخلاص لن يحدث الا اذا تاب الشعب وعاد الى الرب وطاع امره.

٧) فكرة التوبة من الأفكار الدينية المهمة في اليهودية حيث تعتمد عليها الأفكار الأخروية وغير الأخروية.

الفصلُ الثاني

المسيحية وتموضعات التوبة في تاريخها ومعتقداتها

- المبحثُ الأوَّلُ: المسيحية في نشأتها ومسارات التطور الفكري.
- المبحثُ الثَّاني: منابع المعرفة في المسيحية وعقائدها الرئيسية.
- المبحث الثالث: التوبة في الرؤية المسيحية .

الفصلُ الثاني

المسيحية وتموضعات التوبة في تاريخها ومعتقداتها

توطئة: المسيحية هي أكبر ديانة في العالم، حيث يبلغ عدد معتنقيها ٢.٨ مليار. صنفت كواحدة من الديانات التوحيدية الثلاثة للتقاليد الغربية إلى جانب اليهودية والإسلام.

دمجت المسيحية معتقدات اليهودية القديمة مع عناصر من الثقافة السائدة للإمبراطورية الرومانية. جُمع بين النصوص المقدسة في الكتاب المقدس المسيحي: الكتاب المقدس اليهودي (يُعتبر الآن العهد القديم) والعهد الجديد (الأناجيل ورسائل بولس وسفر الرؤيا) .

ولا شك بأن الديانة المسيحية لا تختلف عن غيرها من الأديان فهي ابنة بيئتها وتأثرت في نشأتها وعقائدها بما قبلها من أديان ، وتكاد ان تكون اكثر الاديان السماوية تعقيداً ، وقد عملها السيد المسيح بسيطة وسهلة ولكن التعقيد طرا عليها بعد ذلك ويمكن القول ان المسيحية بدأت بسيطة ولكن الناس بعد ذلك عقدوها بعقائد صعبة عصفت بها ، وعلى هذا فإن الديانة المسيحية تحتوي على الكثير من الأفكار الدينية القديمة التي طورت فيما بعد لتصبح أحد أهم ركائز الإيمان المسيحي[١]. فالمسيحية في الحضارة الأوربية لا تعدوا أن تكون غشاءً ظاهريًا فقط ، إذا تجاوزها الباحث إلى البحث العميق وفق أساس آخر ، لهذه الحضارة ، هو الرؤية الفلسفية اليونانية – الرومانية الوثنية وبقايا اليهودية.

([١]) ينظر: دراسة في مصادر وعقائد الاديان السماوية ، طارق خليل ، ١٢٤.

المبحث الاول

(المسيحية في نشأتها ومسارات التطور الفكري)

المطلب الأول: المسيحية في تسميتها

المطلب الثاني: الجذور اليهودية للديانة المسيحية

المطلب الثالث: ظهور النبي عيسى وبدء دعوته

المطلب الرابع: الحواريون بعد السيد المسيح وظهور بولس

المطلب الخامس: سياسة قسطنطين على المسيحية وانعكاسات مرسوم ميلان

المبحث الاول: المسيحية في نشأتها ومسارات التطور الفكري

وللديانة المسيحية تسمية أخرى وهي النصرانية لذلك سوف نورد تعريفها باستخدام المصطلحين ، ولبيان المسيحية وتسمياتها وجغرافيا المعتقد فيها أجعلها في المطالب الآتية :

المطلب الأول: المسيحية في تسميتها

المسيحية لغةً: نسبة إلى المسيح والمسيح مشتق من الفعل مسح والمسحُ : القول الحسن من الرجل، وهو في ذلك يخدعك ، تقول مسحة بالمعروف ؛ أي بالمعروف من القول وليس معه إعطاء ، وإذا جاء إعطاء ذهب المسح ، وكذلك مسحته . والمسيح إمرارك يدك على الشيء السائل او المتلطخ ،تريد إذهابه بذلك كمسحك على رأسك من الماء وجبنك من الرشح ، مسحة يمسحه مسحا ومسّحه وتمسح منه وبه ، والمسيح : الصديق وبه سمي عيسى عليه السلام ،وقيل سمي به لأنه سائح في الارض لا يستقر، وكان يمسح بيده على العليل والأكمه والأبرص فيبرئه بإذن الله ، وقيل سمي مسيحا لأنه كان أمسح الرجل ليس لرجله أخمص ، وقيل سمي مسيحا لأنه خرج من بطن أمه ممسوحا بالدهن[١].

النصرانية لغةً : قال الفيومي:" نصران ونصرته وهو نسبة إلى قرية اسمها ناصرة ثم أطلق النصراني على كل من تعبد بهذا الدين "[٢].

وجاء في تاج العروس:" إن ناصرة إليها نسب النصارى ... ومكان فيها مولد المسيح عليه السلام ومنها أشتق اسم النصارى وذكر في الإنجيل يسوع الناصري كثيراً ...قال ابن دريد :النصارى منسوبة إلى نصرانة ، وهي موضع وهذا قول الأصمعي قيل :هي بالشام ، ويقال لها ناصرة "[٣].

اصطلاحًا: المسيحية هي الديانة التي تأسست في القرن الأول الميلادي على يد المسيح الناصري والتي تدور حول هدف حياته ورسالته[٤].

---

(١) ينظر: لسان العرب، ابن منظور ، ٢/٥٩٣-٥٩٤ .

(٢) المصباح المنير ، ٩/٣٢٠٠ .

(٣) الزبيدي ، ٧/٣٥٠-٣٥١.

(٤) ينظر: المسيحية ، ساجد منير، بلا طبعه ولا تاريخ نشر ، دار السلام ، الرياض ، د.ت، ١١.

فلفظة المسيحية يقصد بها الرسالة التي جاء بها المسيح عليه السلام ، وهي واحدة من رسالات الأنبياء التي جاءوا بها للناس ليعبدوا ربهم الذي خلقهم ورزقهم ولا يشرك به أحد قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ﴾ [مريم: ٣٠-٣٣][1].

وأَما النصرانية اصطلاحاً:" هي ديانة النصارى الذين يزعمون أنهم يتبعون السيد المسيح (عليه السلام)، وكتابهم الإنجيل "[2] .

وقد أطلق على أتباع الديانة النصرانية في القرآن الكريم نصارى ، وأهل الكتاب[3]، وأهل الإنجيل[4].

ويكمن الفرق بين المسيحية والنصرانية في أَن المسيحية لم تطلق على الذين اتبعوا المسيح (عليه السلام) ، وإنما أطلقت لأول مرة في التاريخ على الذين اتبعوا بولس، فبدأ يدعو بولس بأفكار وتعاليم وعقائد لم يقل بها السيد المسيح (علية السلام) واتبعه في هذا بعض الوثنيين والرومانيين واليونانيين وغيرهم ، وكلمة المسيح تعني في اليونانية المخلص . وهذا يعني أن بولس لما دعا الناس إلى الايمان لم يدعوهم برسالة عيسى (علية السلام) ، وإنما دعاهم الى الإيمان بالمسيح ابن الله المخلص ، وأَما المسيح (عليه السلام) فقد جاء برسالته يدعوهم فيها الى توحيد الله وتنزيهه بدلا من التجسيم والتشبه، وكان يحث الناس على الإيمان باليوم الآخر واعتبار الحياة الآخرة الغاية السامية لبني الإنسان في الدنيا وهذا ما يطلق على النصرانية[5].

المطلب الثاني: الجذور اليهودية للديانة المسيحية

المسيحية تعدّ امتدادًا لليهودية؛ لأن عيسى (عليه السلام) أرسل إلى بني إسرائيل مجددًا في شريعة موسى (عليه السلام)، ومصححًا لما حرفه اليهود منها، وليحل لهم بعض الطيبات التي حرِّمت عليهم قال تعالى عن عيسى (عليه السلام): ﴿ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيل وَرَسُولاً إِلَى بَنِي

([1]) ينظر: الرهبانة المسيحية وموقف الإسلام منها ، احمد عجيبه ، ط١، دار الأفاق العربية، القاهرة ، د.ت ، ٤٩.

([2]) دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية ، سعود بن عبد العزيز الخلف ، ١٦٣ .

([3]) ينظر: سورة البقرة / ٦٢، ١١١، ١١٣ .

([4]) ينظر: آل عمران /٦٤، النساء /١٧١ .

([5]) ينظر: الرهبانة المسيحية وموقف الإسلام منها، احمد عجيبه ، ٤٩.

إِسْرَائِيلَ... إلى قوله تعالى: وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ﴾ [آل عمران: ٤٨- ٥٠][١].

ومبشرًا بمحمد (صلى الله عليه واله وسلم) رسولاً يأتي من بعده. فقال تعالى:﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِين ﴾ [الصف: ٦] لكن غالب بني إسرائيل (اليهود) كذَّبوا عيسى (عليه السلام)، وأنكروا رسالته وحاربوا أتباعه[٢].

إنَّ فكرة المسيح المخلص هي الأساس أو الممهد لظهور السيد المسيح فالفكر اليهودي آمن بهذه الفكرة بعد توالي النكبات والهزائم لليهود والأوضاع التي مروا بها، وان تلك الفكرة جاء بها الأنبياء لبني إسرائيل ولكن اليهود استغلوها استغلال سياسي تارة وديني تارة أخرى ، حيث كانت تلك الفكرة مناسبة جدًا لاستغلال اليهود واسكاتهم على تحمل الظلم من قبل حكامهم من الكهنة والزعماء ، لحين ظهور المخلص[٣].

وقد ظهرت دعوات إلى عودة اليهود الى ديانتهم الأولى وتنقيتها من كل الشوائب ومنها فكرة المسيح المخلص وكان أول تلك الدعوات للنبي يحيى أو كما يسمى يوحنا المعمدان الذي أظهر ابتعاد السلطات اليهودية عن ثوابت الدين اليهودي وركز سوء توظيف تلك السلطات لفكرة المسيح لغايات سياسية وهي أسكات الشعب عن حقوقه[٤].

فقد أثارت دعوات النبي يحيى مخاوف السلطات اليهودية التي كانت تحكم فلسطين تحت نفوذ الرومان لان الرومان قد أعطوا في وقتها اليهود حكماً ذاتياً تابعاً لهم، وتلك السلطات قررت التخلص من يحيى ،

---

(١) ينظر: الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة: د. ناصر العقل و د. ناصر القفاري، ط١، دار الاصمعي، الرياض ١٩٩٢م ، ٦٥ .

(٢) ينظر: دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية ، سعود بن عبد العزيز الخلف ، ١٦٥

(٣) ينظر: تاريخ الشعب العبري، اندريه موليز، تعريب أنطوان الهاشم، عويدات للنشر والطباعة، ط١، بيروت ١٩٩٩م ، ٩٩ .

(٤) ينظر: ظهور المسيحية وتطورها حتى سقوط الشطر الغربي من الامبراطوريه الرومانية(بحث)، طالب محيبس الوائلي، مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية ، العدد ٣٣، في تاريخ ٤/١/ ٢٠١٩م ، ٦٦

وأوهمت الناس أنه خرج عن التعاليم اليهودية ، وبنفس الوقت أن الملك الذي قتل النبي يحيى حاول قتل داعٍ اخر تزامنت دعوته مع يحيى(يوحنا) وهو السيد المسيح[١].

المطلب الثالث: ظهور النبي عيسى وبدء دعوته

حاز السيد المسيح خصوصية وأمتلك مقومات عدة أهلته لأحراز أثر أكبر وأشد وقعًا مما انتهت إليه دعوة يوحنا المعمدان(يحيى) (عليه السلام) ، وكان نجاحه في كشف بطلان السلطات الكنهوتية اليهودية أكبر الأثر في قناعة الكثير من اليهود واستقطابهم بانه المسيح الموعود[٢].

إنَّ أحداث عدة رافقت السيد المسيح منها ولادته الاعجازية وعلامات توافقت مع فكرة المسيح المخلص، وقد بحث هيرودس عنه لقتله ، وإن الكرامات التي ظهرت على يدية ، جعلت اليهود يتقبلون فكرة أنه المخلص[٣].

يقول أحد الباحثين:" تبين المصادر حقائق منها أَن مسار السيد المسيح وطقوس ولادته وتعبده كانت يهودية بالكامل، فقد اختتن في اليوم الثامن من ولادته واطلع على كتب العهد القديم وتعبد وفق الطقوس اليهودية ونادى بثوابتها وبديهياتها وركز قبل بعثته وبعدها على ضرورة العودة الى اليهودية الحقة التي عبر عنها بالناموس، والاهم من كل ما سبق انه كرر مراراً انه بعث ليهدي خراف إسرائيل الضالة ..."[٤].

وأَما وصياه فهي متوافقة تمامًا مع ما ورد في التوراة بل انها خالفت ممارسات المسيحين فيما بعد منها حرمة الخمر ولحم الخنزير والشرك والدم والميتة وان دعوته تتمحور حول تخليص اليهودية من مما علق فيها من شرك ، وانه انتقد ابتعاد الكهنة والاحبار عن ثوابت الدين وخلقهم صورة للدين بما يناسب مصالحهم فهو مصلح لليهودية ولم يدعو الى دين جديد[٥]، ولكن دعوة المسيح تناقضت مع فكرة العامة

---

(١) ينظر: ماذا تعرف عن المسيحية ، عبد الفتاح الزيات ، ط٣، مركز الراية للنشر والاعلام ، القاهرة ٢٠٠١م ، ٢٥-٢٦.

(٢) ينظر: المسيحية، احمد شلبي ، ٥٢

(٣) ينظر: عيسى المسيح والتوحيد، محمد عطا الرحيم، ترجمة عادل حامد محمد، مركز الراية للنشر والاعلام، ط٣، القاهرة ٢٠١١م ، ١٩ .

(٤) ظهور المسيحية وتطورها حتى سقوط الشطر الغربي من الامبراطوريه الرومانية(بحث)، طالب محيبس الوائلي ، ٦٧

(٥) ينظر: المسيح حياته واعماله، الاب متي المسكين، ط١، مطبعة دير القديس انبا مقار، القاهرة ١٩٩٨ ، ٢٦٠

حول المخلص وتعارضت مع رغبة السلطات الدينية اليهودية والسياسية الذين كانوا يريدون إبقاء فكرة المخلص امل بعيد المنال يقيد اليهود ويبقيهم في انتظار يحول دون خروجهم على الكهنة والاحبار، فالذين آمنوا بدعوة المسيح من حواريين اثنا عشر، وسبعون رسولا من اليهود[١].

وبما أنَّ المسيح كان يحمل فكرًا ضد الانحرافات التي دخلت في اليهودية ويدعو الى تنقيتها من الذي لحق بها ، الأمر الذي جعل كبار اليهود يسعون للتخلص منه والقضاء على حركته في مهدها واستقطاب عامة اليهود في تنفيذ مخططهم ذلك ، ولذا فان من ناصب المسيح على طول حياته هم اليهود ومن حاول قتله استخدام الرومان في ذلك ، وقد حال اليهود بين المسيح وهدفه في هداية بني إسرائيل[٢].

ويقول الدكتور طارق خليل:((ومن هنا كان عيسى عليه السلام مسيح اليهود المنتظر ولكن هؤلاء انكروه وانقلبوا ضده. ومن ثم افتروا عليه ونددوا به وبوالدته. فوقف القران الكريم موقفا صريحا من هذا الافتراء ، فرد إلى المسيح وإلى مريم (عليها السلام) اعتبارهما ومكانتهما السامية وعنف اليهود وانبهم لما فعلوه من المواثيق ﴿ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ١٥٦]))[٣].

أنَّ القرآن الكريم قد رفع مكانة مريم قال تعالى:﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [آل عمران: ٤٢]. ويشهد القران الكريم ان الله تعالى قد وهب عيسى افضل الصفات والكرامات منها قوله:﴿ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ﴾ [البقرة: ٨٧] وقوله تعالى﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴾ [آل عمران: ٤٥] ولكن اليهود انكروا عليه وقالوا﴿ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ [البقرة: ٨٨]. وان المسيح كان يعرف نواياهم وكفرهم ولم يغب عنه ما يرمون اليه ﴿ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ

---

(١) ينظر: ظهور المسيحية وتطورها حتى سقوط الشطر الغربي من الامبراطوريه الرومانية(بحث)، طالب محيبس الوائلي، مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية، العدد ٣٣، في تاريخ ٤/١/ ٢٠١٩م ، ٦٧.

(٢) ينظر: مسالة صلب المسيح بين الحقيقة والافتراء، احمد ديدات ، ترجمة: علي الجوهري، دار الفضيلة، القاهرة ، د.ط/ د.ت ، ٥٥-٦٠ .

(٣) مقارنة الأديان دراسة في مصادر وعقائد الأديان ، ١٢٣ .

﴾ [آل عمران: ٥٢] وقد غضب الله على اليهود بكفرهم وقتلهم الأنبياء ومحاولتهم قتل عيسى ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴾ [النساء: ١٥٧][١].

وسبب مواقف السيد المسيح من ديانة بني اسرائيل والدعوة بهم إلى العودة الى الدين الذي جاء به الانبياء، يقول احمد شلبي:((تعرض عيسى الى عداء بني اسرائيل وسخطهم ولم يؤمن به إلا قليل منهم ... وعندما رأوا أَن بعض الضعفاء اتبعوه خافوا ان تنتشر مبادئه فأغروا به الى الحاكم الروماني ... فاصدر امره بالقبض عليه وحكم عليه بالإعدام صلباً))[٢].

وبهذا أخذ الجنود الرومان يبحثون عن السيد المسيح لتنفيذ الحكم فيه ، وقد لجأ إلى مكان ليحتمي به ولكن أَحد الحواريين خان العهد واسمه يهودا اذا اتفق مع زعماء اليهود مقابل مبلغ المال ان يدلهم على المسيح وقد ذهب مع الجنود الرومان ليدلهم على المسيح وبما ان الجنود لا يعرفون شخص السيد المسيح فقد ذكر لهم اوصافه وعلامة تدل عليه ، وعندما وصلوا الى حيث يقيم المسيح دخل الحواري الخائن على السيد المسيح وبتلك الاثناء القى الله على الحواري يهودا شبهة المسيح في كل الاوصاف فدخل عليهم الجنود والقوا القبض على الحواري يهودا باعتقاد منهم هو المسيح وقد اسكته الله ولم ينطق حتى نفذ فيه حكم الصلب ، أَما السيد المسيح فقد رفقه الله اليه [٣].

في مسالة قتل المسيح يقول ناصر مكارم الشيرازي:((يؤكّد القرآن الكريم في على أنّ المسيح(عليه السلام) لم يقتل ولم يصلب، بل اشبته الأمر على اليهود فظنوا أنّهم صلبوه، وهم لم يقتلوه أبداً! أمّا الأناجيل الأربعة الموجودة اليوم في متناول أيدينا فهي كلها تقول بأن المسيح(عليه السلام) قد صلب وقتل على هذه الصورة، وقد جاء هذا القول في الفصول الأخيرة من هذه الأناجيل الأربعة (متى . لوقا . مرقس . يوحنا) وبصورة تفصيلية. والمسيحيون اليوم يعتقدون بهذا الأمر بصورة عامّة، ومسألة الصلب أو قتل المسيح(عليه السلام) تعتبر اليوم أحد أهم المسائل الأساسية للديانة المسيحية، ونحن نعلم أنّ المسيحيين اليوم لا يعتبرون المسيح(عليه السلام) مجرّد نبي ارسل لهداية وإرشاد البشرية، بل يعتقدون

---

(١) ينظر: مقارنة الأديان دراسة في مصادر وعقائد الأديان ، طارق خليل ، ١٢٤-١٢٥ .
(٢) المسيحية ، ٥٤ .
(٣) ينظر: المصدر نفسه ، ٥٥ .

بأنّه (ابن الله) من أركان الثالوث المقدس لديهم، ويزعمون بأنّ هدف مجيء المسيح إلى هذا العالم ليكون قرباناً يفتدي بنفسه مقابل الخطايا والآثام التي يرتكبها البشر. فيقولون: إنّه جاء ليضحي بنفسه من أجل ذنوبهم وخطاياهم، وقد صلب وقتل ليغسل بدمه ذنوب البشر، ولينقذ البشرية من العقاب، ولذلك فهم يعتقدون بأنّ طريق الخلاص والنجاة من العذاب والعقاب هو الإيمان بهذا الموضوع. ومن هذا المنطلق فهم . أحياناً . يدعون المسيحية بدين (الإنقاذ) أو دين (الفداء) ويسمّون المسيح(عليه السلام) بـ (المنقذ) أو (المخلص) أو (الفادي). واعتمادهم المفرط على الصليب واتخاذه شعاراً لأنفسهم إنّما يرتكز على قضية القتل والصلب هذه))[1].

يتحصل أَن عيسى عليه السلام كان أَحد أَفراد بني اسرائيل وقد بعثه الله تعالى لهدايتهم واصلاح الدين اليهودي من كل الشوائب التي لحقت فيه ، ولم ياتي بدين جديد ولكن اليهود حاربوه وحرضوا على قتله ولم يؤمنوا بما جاء به من تعاليم والقران الكريم تحدث عنه بان الله قد رفعه حين حاولوا قتله ، اما في الفكر اليهودي والمسيحي فانه قد قتل واصلب على يد الرومان بطلب من اليهود.

المطلب الرابع: الحواريين بعد السيد المسيح وظهور بولس

يقول أَحد الباحثين:" مع أَن آيات الأَنجيل القت في روعنا أَن الحواريين اتخذوا من حادثة صلب المسيح وقيامته مناسبة للاستمرار بدعوة يسوع وتمييز المؤمنين بها عن سواهم من اليهود . لكن الثابت تاريخيا ان الحواريين لم يفكروا في اخراج تلك الدعوة من حيزها اليهودي ولم يجرأوا على تجاوز وصايا المسيح وارشاداته فدأب الحواريون على ارتياد معابد اليهود وهيكلهم وظلوا يستشهدون بالتوراة واسفار بني إسرائيل في دعوتهم الى المسيح "[2].

فالحواريون ظلوا يهودا في عبادتهم ودعوتهم وحافظوا على المسار اليسوعي ومع تطور الدعوة لم تخرج من ثوابتها وعملوا على إيصال دعوة المسيح الى يهود الشتات[3].

([1]) تفسير الامثل ، ٣/٥٢٢-٥٢٣ .

([2]) ظهور المسيحية وتطورها حتى سقوط الشطر الغربي من الامبراطوريه الرومانية(بحث)، طالب محيبس الوائلي ، ٦٧.

([3]) ينظر: قصة الحضارة ، وول ديورانت ، ٢/٢٤٤ .

يقول أَحمد شلبي:" قد بدأ اضطهاد المسيحين منذ عهد مبكر وكان المسيح ضحية هذا الاضطهاد ونزل باتباعه من بعده مثل ما نزل به من العسف والظلم وكان اليهود مصدر هذه القسوة..."[١].

وقد واجهت دعوتهم عقبات حيث ان كهنة اليهود ورؤساءهم توعدوا التلاميذ بالتهديد؛ ليتوقفوا عن الدعوة، إلا أن ذلك التهديد لم يوقف حماس التلاميذ ونشاطهم في الدعوة، وتتركز دعوة التلاميذ وتعاليمهم على وجوب التوبة والتعميد، والإيمان بالمسيح عيسى عليه السلام؛ لتغفر لهم خطاياهم، وهي الدعوة التي كان المسيح عليه السلام يدعو إليها، ولم يكن في دعوتهم تصريح بألوهية المسيح ولا بنوته لله ، انما ظهرت تلك الدعوات فيما بعد[٢].

هذا وقد عُزلَ الحواريون عن المجتمع اليهودي ووقفت السلطات الرومانية مع اليهود ضدهم وتعرضوا للضغوط الشديدة وقيدت تحركاتهم وبهذا امسى وجدودهم بين اليهود قليل الفائدة[٣].

يتحصل أنه خلال هذه الفترة أَن المسيحية كانت جزءاً من اليهودية والحواريين كانوا يهود ولكنهم يعملون وفق تعاليم السيد المسيح وعملوا على ايصالها الى يهود العالم ولم تكن في دعوتهم دين جديد أَو مستقل عن اليهودية ولم يجعلوا من المسيح ابن الله أَو يرفعونه إِلى مقام أَعلى من العبودية لله.

إنَّ العقيدة المسيحية تحررت بسرعة من اليهودية وتزمتها واتخذت بعداً عالمي ولكن هذا البعد هو ضمن ما يتعلق بالدين كعقيدة فكرية وليس كرابطة شخصية لقوم او امتياز لفئة معينة فكان ذلك الفراق بين العقيدتين ، وبالرغم من المسيحية انبثقت من اليهودية ولكنها استقلت عنها لتصبح ما عرف لاحقا بالكنيسة المسيحية[٤]. ((فبفضل بولس وبتأثير تعاليمه كما يقول ابشتاين عدلت الكنيسة نظرتها الى المسيح لتجعل منه الها من درجة ثانية بدل انسان من الدرجة الأولى . وهذا الاعتقاد يتناقض تاما مع

---

(١) المسيحية ، ٨٢ .

(٢) ينظر: ظهور المسيحية وتطورها حتى سقوط الشطر الغربي من الامبراطوريه الرومانية(بحث)، طالب محيبس الوائلي ، ٦٧

(٣) ينظر: الكنيسة المسيحية في عصر الرسل، نيافة الانبا يوانس ، مطبعة الانبأ رويس، ط٣، القاهرة ١٩٨٧م ، ٦٧- ٦٨ .

(٤) ينظر: مقارنة الأديان دراسة في مصادر عقائد الاديان، طارق خليل ، ١٢٥.

وحدانية الله كما يفهمها اليهود. وهكذا اصبخ من العسير جدا على اليهود الذين تبعوا المسيح ان يتقيدوا بتعاليم اليهودية . فوقع الانفصال بين الدينين وكان مالا مفر منه))[١].

إنَّ بولس الطرسوسي الذي توفي بحدود (٦٤و٦٧م) هو الاب الروحي للمسيحية المتمايزة عن الديانة اليهودية[٢]، فان لبولس لمسات كثيرة مدحت المسيحية أسسها وثوابتها التي تختلف الى حد بعيد عن ثوابت وصايا السيد المسيح[٣].

هذا وأن بولس لم يكن من الحواريين أو من رواد المسيحية الأوائل أو من الرسل خلال فترة وجود السيد المسيح بل يعتقد انه كان احد أعداء المسيحية الذين زادت وطأتهم على المسيحين بعد السيد المسيح وهذا ما تبنته الاناجيل ذاتها والاسفار المسيحية وبولس نفسه في رسائله[٤].

يقول وول دينورانت:((وبدأ بمهاجمة المسيحية دفاعاً عن اليهودية، وانتهى بنبذ اليهودية دفاعاً عن المسيح، وكان في كل لحظة من لحظاته داعياً ورسولاً. فلما هاله أحتقار اصطفانوس للناموس انضم إلى قتلته، وتزعم الاضطهاد الأول للمسيحيين في أورشليم، ولما سمع أن الدين الجديد أصبح له في دمشق أتباع كثيرون تقدم إلى رئيس الكهنة وطلب منه رسائل إلى دمشق إلى الجماعات حتى إذا وجد أُناساً من الطريق رجالاً أو نساء يسوقهم موثقين إلى أورشليم))[٥].

غير أَنه حصل انقلاب في حياته ومسار المسيحية فاثناء توجه بولس لدمشق في مطاردته اتباع المسيح ادعى بولس ان نورا تجلى له وقال له لماذا تضطهدني وعند سؤال بولس من انت أيها السيد قال له انا الرب اليسوع ثم اخبره انه وقع عليه الاختيار لنشر المسيحية ، وعندها تحول بولس من اشد أعداء المسيحية الى اكثر الناس تحمساً لها وبدا يدعو للمسيحية في دمشق وبعد عودته الى اورشليم قابل الحواريين وانبرى يدعو للديانة المسيحية بشدة ونشاط وقام برحلات شملت تركيا واوربا وهو بذلك ادخل

---

(١) المصدر نفسه ، ١٢٥

(٢) ينظر: المسيحية ، احمد شلبي ، ١١١

(٣) ينظر: المسيحية نشاتها وتطورها، شارل جنيبر، ترجمة عبد الحليم محمود، المكتبة العصرية، بلا رقم طبعة، بيروت ٢٠٠٧م ، ١٢٠.

(٤) ينظر: مقارنات الديانات، محمد أبو زهرة دار الفكر العربي، د.ط ، القاهرة، ١٩٧٤م ، ٧٢ .

(٥) قصة الحضارة ، ٢٥١/١١-٢٥٢

الاف في المسيحية وترك ثراث عقائدي في رسائله وسفر اعمال الرسل وظل هكذا حتى توفي في عام ٦٨م[١].

يقول أَحُد الباحثين:((ان ما يؤخذ على بولس دخوله الدرامي في المسيحية وسواء كانت رواية النور صحيحة ام مختلقة فانها منحته سندا غامضا في الادلاء باراء بعيدة عن وصايا المسيح، والادعاء انها اوحيت له بطريقة ما لهذا خالف بوليس كثيرا من ثوابت المسيحية ، وحولها من دعوة تصحيحية ضمن اطار اليهودية الى دعوة الى الأمم الأخرى أي تحولها الى دين جديد ونبذ كثير من وصايا المسيح(عليه السلام) كتحريم اكل الخنزير والختان، وحين اعترض عليه الحواريون رغم ان الروح القدس اخبره بذلك ، انبرى يبشر بالمسيحية بعد ان أضاف اليها ما اضافه))[٢].

وبناءً على سيرة بولس ودعواه الغريبة والغامضة فانه من الممكن ادراج ما قام به بولس هو يدخل في اطار تخريب دعوة المسيح من الداخل بعد ان فشل في محاربتها والقضاء عليها أي ان ما عمله من تحريف ممنهج للمسيحية بغاية فصلها عن اليهودية هو لتخليص اليهودية من الضرر الذي كاد ان يؤدي بها[٣].

وما يؤيد الراي القائل أَن بولس عَمل من الداخل على تحريف المسيحية وهو بقاؤه على يهودية حتى مماته هذا يعني أَنه لم يكن يؤمن من صميمه بالديانة الجديدة وتخبرنا المصادر بذلك ، يقول وول دينورانت:" وقد بقي بولس إلى آخر أيامه يهودياً في عقله وخُلُقِه على الرغم من تعلمه أوليات الهلنية، ولم ينطق بكلمة يُشتَم منها أنه يشك في شرائع موسى موحى بها من عند الله، وظل يعتقد في عزة وفخار كما يعتقد اليهود أن اختيار الله وحده هو طريق النجاة "[٤].

واللافت أَنَّ بولس ذاته بين حقيقة الدور الذي أداه لتحريف المسيحية ، وفي هذا الصدد يقول وول ديورانت:((.. وها هي ذي اعترافات صريحة منه بعيوبه بل برياءه الشبيه برياء رجال السياسة: استعبدت نفسي للجميع لأربح الأكثرين، فصرت لليهود كيهودي لأربح اليهود، وللذين تحت الناموس كأني تحت

---

(١) ينظر: بوليس وتحريف المسيحية، هيم ماكبي ، ترجمو سميرة عزمي الزين، منشورات المعهد الدولي للدراسات الإنسانية ، ٧٧.

(٢) ظهور المسيحية وتطورها حتى سقوط الشطر الغربي من الامبراطوريه الرومانية(بحث)، طالب محيبس الوائلي ، ٦٩

(٣) ينظر: دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، سعود خلف ، ٢٢٢.

(٤) قصة الحضارة ، وول ديورانت ، ٢٥٠/١١

الناموس لأربح الذين تحت الناموس، وللذين بلا ناموس كأني بلا ناموس مع أني لست بلا ناموس. لأربح الذين بلا ناموس. صرت للكل كل شيء لأخلص على كل حال قوماً، وهذا أنا أفعله لأجل الإنجيل لأكون شريكاً فيه))[١].

إذا ما يقوله وول ديورانت ان منهج بولس هو منهج ساسة لا منهج دعاة أي أدى الى اختلاط تعاليم المسيحية بكثير من عوائد معتنقيها الجدد وعقائدهم.

وقد انتشرت دعوته ووصل صداها الى الكثيرين ولاقت انتشاراً بين الوثنيون ، يقول أَحد الباحثين:((مع اختلاف تفسير دوافع بولس لكن الثابت انه لاقى نجاحا منقطع النظير في وضع لمساته واسقاطاته على المسيحية التي أصبحت ديننا مفتوحا للاممبين لا يدعو للختان ولا يحرم الميتة ولحم الخنزير والدم))[٢].

اما الحواريين من دعاة المسيحية وتلامذتهم ، فقد اضمحلت دعوتهم تدريجيا بسبب اقتصارها على اليهود وتقيدها بتعاليم الناموس ، وبذلك ثبت ما حققه بولس ومحي ماسواه[٣].

المطلب الخامس: سياسة قسطنطين على المسيحية وانعكاسات مرسوم ميلان

بدأت الديانة المسيحية في الانتشار في أوروبا لأنها تميزت بتفوق روحي اسبغه عليها المسيح من خلال وصاياه منها الرأفة بالمساكين ونبذ الطبقية والعنف والدعوة الى مكارم الاخلاق ، حيث لاقت تلك الوصايا صدى لدى الوثنيين من معاصري المسيحيين في ذلك الوقت ، هذا مع أَن المسيحية قد فقدت الكثير من سموها على يد بولس الذي أضاف اليها كثير ما لم يأتي به المسيح ، ولكن بقيت قويه بسبب عوامل عدة جعلتها تتفوق على الأديان المعاصرة لها[٤].

يقول أَحد الباحثين :((لذلك يمكن القول ان المسيحية ظهرت في وقت كابدت فيه الأغلبية الساحقة من سكان الإمبراطورية معاناة حقيقية انذرت بحدوث ثورة اجتماعية تدمر إنجازات الإمبراطورية ومدنيتها وانها عاشت فراغا روحيا شكل بيئة حاضنة للمسيحية بمبادئها وانسانتها وواقعها وبساطة تعاليمها

---

(١) قصة الحضارة ، وول ديورانت ، ٢٦٣/١١

(٢) ظهور المسيحية وتطورها حتى سقوط الشطر الغربي من الامبراطوريه الرومانية(بحث)، طالب محيبس الوائلي ، ٦٩.

(٣) ينظر: المسيحية نشاتها وتطورها، شارل جنيبر، ترجمة عبد الحليم محمود بيروت ٢٠٠٧م ، ١٢٦.

(٤) ينظر: المسيحية، احمد شلبي ، ١١٥.

وتجاوبها مع آلام المجروحين وآمالهم في غفران ذنوب في هذه الدنيا بوصفها دار تمحيص ليعيشوا بهداء في ملكوت الرب))[١].

وقبل تسلم قسطنطين العرش حدث حروب طاحنة وعانت الإمبراطورية من صراع على السلطة وكان قسطنطين هو الطرف الأضعف فيها حتى ان قواته الزاحفة من بريطانيا وبلاد الغال كانت اقل عدد وعدة من قوات خصمة ماكسنتوس في إيطاليا، وعند اصطدام الجيوش المتحاربة قرب روما ، حدث شيء خطير قدر له ان يكون نقطة تحول في تاريخ ومسار الديانة المسيحية فأثناء المعركة ادعى قسطنطين انه راى نورا في السماء في وسطه صليب مكتوب تحته بفضل هذا سننتصر ، فامر بجعل الصلبان رايات لجيشه ، وبعد انتصاره اصدر مرسوم في ميلان الايطالية كان ذلك في عام (٣١٣م) يعترف فيه بالديانة المسيحية الى جانب الأديان الأخرى في الإمبراطورية[٢].

واختلف في دوافع قسطنطين تجاه المسيحية، هل انها دوافع روحية بحته ويرى أَو أَنها دوافع سياسية ويرى وول ديورانت أَنها حركة بارعة من قسطنطين املته عليه حنكته السياسية وكانت عنده المسيحية وسيلة لا غاية [٣].

وفي الأسباب التي دفعت قسطنطين إلى الاعتراف بالمسيحية، يذهب وول ديورانت الى القول:((... ولقد شهد في حياته كيف أخفق الاضطهاد ثلاث مرات، وانطبع في نفسه بلا ريب انتصار المسيحية رغم كل اضطهاد. نعم إن أتباع هذا الدين كانوا لا يزالون قلة في الدولة، ولكنهم كانوا إذا قيسوا إلى غيرهم قلة متحدة، مستبسلة قوية، على حين أن الأغلبية الوثنية كانت منقسمة إلى عدة شيع دينية، وكان فيها عدد كبير من النفوس التي لا عقيدة لها ولا نفوذ في الدولة. وكان المسيحيون كثيرين في روما بنوع خاص في عهد مكسنتيوس، وفي الشرق في أيام ليسنيوس؛ وقد أفاد قسطنطين من تأييد المسيحية اثنا عشر فيلقاً لاقى بها هذين القائدين. ولقد اعجب بجودة نظام المسيحيين إذا قيسوا بغيرهم من سكان الإمبراطوريّة، وبمتانة أخلاقهم، وحسن سلوكهم، وبجمال الشعائر المسيحية وخلوها من القرابين الدموية، وبطاعة المسيحيين لرؤسائهم الدينيين، وبرضاهم صاغرين بفوارق الحياة رضاء مبعثه أملهم في أنهم سيحظون بالسعادة في الدار الآخرة. ولعله كان يرجو أن يطهر هذا الدين الجديد أخلاق الرومان. ويعيد

([١]) ظهور المسيحية وتطورها حتى سقوط الشطر الغربي من الامبراطوريه الرومانية(بحث)، طالب محيبس الوائلي ، ٧٠.
([٢]) ينظر: المصدر نفسه ، ٧٢ .
([٣]) ينظر: قصة الحضارة ، وول ديورانت ، ٣٧٨/١١.

إلى الأسرة ما كان لها من شأن قديم، ويخفف من حدة حرب الطبقات، وقلما كان المسيحيون يخرجون على الدولة رغم ما لاقوه من ضروب الاضطهاد الشديد، ذلك بأن معلميهم قد غرسوا في نفوسهم واجب الخضوع للسلطات المدنية، ولقنوهم حق الملوك المقدس. وكان قسطنطين يأمل أن يكون ملكاً مطلق السلطان، وهذا النوع من الحكم يفيد لا محالة من تأييد الدين، وقد بدا له أن النظام الكهنوتي وسلطان الكنيسة الدنيوي يقيمان نظاماً روحياً يناسب نظام الملكية، ولعل هذا النظام العجيب بما فيه من أساقفة وقساوسة، يصبح أداة لتهدئة البلاد وتوحيدها وحكمها))[١].

ويمكن ملاحظة ذلك إذ إن قسطنطين لم يفعل شيئا سوى الاعتراف بالمسيحية من ضمن اديان الامبراطورية الأخرى ، وكان فعله ذلك لدلالات منها انه أراد حسم مشكلة المسيحية في الإمبراطورية التي اشغلت السلطات سنوات طوال حيث ادرك ولاحظ فشل كل الوسائل السابقة في القضاء عليها ، وانه بنفس الوقت وجد في اتباعها انصار أوفياء وجب عليه الحفاظ على ولائهم لاستقرار حكمه[٢].

ويبرهن بعض الباحثين على أَن قسطنطين كانت غايته سياسية ، حيث انه لم يجعل المسيحية ديناً رسمياً للامبراطورية ، اضف الى ذلك انه لم يعتنق المسيحية حتى اخر عمره حين عُمدَ اثناء احتضاره ، وقد بقي محتفظا بلقبه الوثني الكاهن الأعظم وكذلك كان على مسافة واحدة من الجميع طيلة عمره وتلك حنكة سياسية منه[٣].

بينما يرى أَحمد شلبي أَنه قسطنطين قد دخل في المسيحية بعد عشر سنوات اصدارة مراسيم التسامح والتي صدرت في عام ٣١٣م ، الامر الذي قوى المسيحية ورجح كفتها على اعدائها فانقضت على اعدائها واسست الجمعيات المسيحية باسم الدين مثل جمعية الصليب المقدس التي اخذت على عاتقها استأصال الملحدين من بقايا الرومان الوثنين وحدث بعدها مجاز تصف بانها من أفضع المجازر التي حدثت ضد خصوم المسيحية[٤].

---

(١) قصة الحضارة ، وول ديورانت ، ٣٨٨/١١ .

(٢) ينظر: تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ،محمد محمد مرسي الشيخ، دار المعرفة الجامعية، د.ط ، القاهرة ١٩٩٤م ، ١٦.

(٣) ينظر: ظهور المسيحية وتطورها حتى سقوط الشطر الغربي من الامبراطوريه الرومانية(بحث)، طالب محيبس الوائلي، ٧٣ .

(٤) ينظر: المسيحية ، ٨٣ .

ذهب احد الباحثين أن أحد الأدلة التي تبين أَن قسطنطين كان هدفه سياسي هو موقفه من الخلاف الذي حصل بين القسين (آريوس) و(اثناسيوس) عام (٣٢٣م) وقد حاول قسطنطين تجاوز خلافها لأسباب سياسية خلاصتها وحدة المسيحين في الإمبراطورية وحين لم يتوصلا الى تفاهم دعا الى عقد اول مجمع مسكوني في نيقيه لحسم الخلاف حيث ادار هو بنفسه جلسات الاجتماع وكان رأية في حسم الخلاف سياسيا اذ انه لم يراعي تبني اغلبية الحضور لاراء آريوس الداعية الى وحدانية الله ، بينما قسطنطين رجح راي اثناسيوس الثالوثية بسبب تواؤمها مع العقائد الوثنية في الإمبراطورية وبعدها قرر نفي آريوس واحراق الاناجيل وكتاباته[١].

لكن يعتبر عهد قسطنطين بداية انتصار المسيحية وانتشارها الواسع ، يقول احد الباحثين في هذا الصدد:((ومع كل مآخذنا على قسطنطينٌ لا يمٌكن نكران فعله على المسحٌية التي وجدت في حكمه حيزا مناسبا للانتشار بعد انضمام عشرات الألوف اليها لزوال خوفهم من ردع السلطات . كما ان انتشار كنائس المسيحية ومؤسساتها الدينية الأخرى منحها فرصا افضل في التاثير العقائدي والسياسي في عموم الإمبراطورية مما يدفعنا إلى القول إن مرسوم ميلان كان بمثابة البداية الحقيقة لانتصار المسيحية على سواها من ديانات الإمبراطورية))[٢] .

يتحصل أَنَّ النتائجَ الناجمة عن مرسوم ميلان واعتراف قسطنطين بالمسيحية هو أَنّ المسيحية أصبحت ديانة مرخص بها في الإمبراطورية الرومانية، وأن اعتراف "قسطنطين" بالمسيحية لم يكن يعني منحها حق وجود شرعي مماثل للديانات الوثنية فحسب. بل كان يعني وضعها تحت حماية الدولة، وبالتالي تثبيت دعائمها وتمهيد الأرض ازدهارها وانتشارها. فقد منح الإمبراطور قسطنطين رجال الدين المسيحيين نفس الحقوق والامتيازات التي كان يتمتع بها كهنة الديانات الأخرى.

وتلحظ الباحثة أَن علاقة الإمبراطور قسطنطين بالمسيحية ظلت غامضة، بين من يقول باعتناقه لها ومن يعتبر ما أقدم عليه مجرد تدعيم لحكمه بتحالفه مع الديانة الآخذة في الانتشار، وهو ما مكنه من حسم الصراع والتنافس الداخليين حول السلطة في روما.

---

(١) ينظر: تاريخ اوروبا في العصور الوسطى، سعيد عبد الفتاح عاشور، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٧٦م ، ٢٧ .

(٢) ظهور المسيحية وتطورها حتى سقوط الشطر الغربي من الامبراطوريه الرومانية(بحث)، طالب محيبس الوائلي، ٧٤ .

في عهد الامبراطور فلافيوس ثيودوسيوس، حيث واشتهر خلال حياته، بأن جعل الديانة المسيحية ديانة الدولة الرسمية، وأخذ اضطهاد الوثنية والقضاء عليها، وحظر التقاليد المتعارضة مع التعاليم المسيحية، وبذلك أصبحت المسيحية الديانة الرسمية للامبرطورية الرومانية ، ولكن له انعكاس على الدولة حيث أوصى بتقسيم الإمبراطورية من بعد الى شطرين بين ولديه شطر غربي واخر شرقي وتم ذلك بعد وفاته في عام(٣٩٥م) مما تبع ذلك الامر على المسيحية اثار مباشرة[١].

كان لتقسيم الإمبراطورية تداعيات على المسيحية منها فصل الاسقفيات الشرقية عن الغربية وبهذا انهى الوحدة الدينية للامبراطورية عمليا بسبب اختلاف المرجعيات السياسية للشطرين مما تبعها من اختلاف الظروف التي أحاط بالكنيسة وهذا التقسيم أيضا جعل الكنيسة الغربية في روما قوية بحكم ضعف سلطة الامبراطور هناك وبسبب الاضطرابات التي حصلت بالشطر الغربي حيث أدى ذلك الأَمر الى تقوية الكنيسة وجعلها المتحكمة بالامور بعكس الكنيسة الشرقية التي كانت فيها القوة السياسية للأمبراطور بحيث يتحكم بقراراتها وتوجها[٢].

الخلاصة

١- كان للحيز المكاني والزماني الذي ظهرت فيه المسيحية اثر حيث شكل هذا الحيز منطلق مثالي هيأ لها أسباب النجاح والانتشار وذلك بحكم ظهورها في فلسطين الذي يعتبر الموطن لاهم الديانات الشرقية

٢- تزامن ظهورها مع حالة الفراغ الروحي التي كانت تسود الإمبراطورية وذلك لعجز الأديان الوثنية المنتشرة فيها مع الجانب الروحي عكس المسيحية التي احتوت جانب روحي ونفسي جيد لاتباعها

٣- تعرض الديانة لتحديات انعكست على عقائدها وكان تعرضها للاضطهاد له اثر كبير في صياغة عقائدها وثوابتها حيث تغيرت ثوابتها طبقاً للوضع السياسي التي تواجهه.

٤- إن المسيحية الحالية هي ديانة من صياغة بولس ، وهي تتعارض مع وصايا المسيح.

٥- من الواضح والثابت أنه منذ بدايات نشأتها، من صُلب اليهودية ومَن كانوا يبشرون بها، بدأت المسيحية . بأقوال يسوع وحواريه . منقسمة إلى جماعات متناحرة تتبادل الاتهامات واللعنات.

---

(١) ينظر: العصور الاوربية الوسطى، عبد القادر احمد اليوسف ، المكتبه العصرية، ط١، صيدا- لبنان ، ٦٦- ٦٧

(٢) ينظر: المصدر نفسه ، ٦٧ .

٦- أن المسيحية بدأت مشتتة، ونشأت فرق متناحرة وعبادات متناقضة وقام الباباوات بتكوينها عبر المجامع والانقسامات.

٧- يعود الفضل الأول إلى قسطنطين في الاعتراف بها مما ساهم بانتشارها بشكل كبير، ثم خلفاءه من بعده عملوا على مراعاتها إلى ان اتخذها فلافيوس ديناً رسمياً للدولة. وبذلك انتصرت المسيحية وانتشرت ولكنها انقسمت بعد ذلك الى كنيسة شرقية وأخرى غربية نتيجة انقسام الإمبراطورية الرومانية .

المبحث الثاني

منابع المعرفة في المسيحية وعقائدها الرئيسية

المطلب الأوّلُ: منابع المعرفة في المسيحية

المطلب الثاني: أهم عقائد الديانة المسيحية

المبحث الثاني: منابع المعرفة في المسيحية وعقائدها الرئيسية

لقد أحدث بولس في المسيحية أَحداثاً خطيرةً نقلها من ديانة إلى بني اسِرائيل إلى ديانة عالمية، ونقلها من التوحيد إلى التثليث ، وقال بألوهية المسيح والروح القدس واخترع قصة الفداء للتكفير الخطيئة[١].

المطلب الاول: منابع المعرفة في المسيحية

إنَّ منابع المعرفة في الفكر المسيحي هي الكتاب المقدس ويشمل العهدين(العهد القديم ، والعهد الجديد) ، والمجاميع المسيحية(الكنيسة) ولبيانها أضعها في الفروع الآتية:

- **الفرع الأول : الكتاب المقدس**

يطلق على مجموعة الأسفار المكونة للعهدين(العهد القديم، والعهد الجديد) الكتاب المقدس المؤلف من ست وستون سفرًا بالإضافة الى اسفار اخرى لبعض الطوائف وتسمى بالأسفار القانونية[٢].

وتاريخ بدء كتابة الكتاب المقدس يمتد حوالي(١٥٠٠ ق.م) وأستغرق تدوينه (١٦٠) سنة وسجلا آخر أسفاره عام (٩٨) م ، وقام بكتابته أشخاص كثيرون وبعدة لغات هي: اللغة العبرية: وهي اللغة التي كتب بها العهد القديم ، اللغة الآرامية: وهي اللغة التي كانت سائدة آنذاك حتى جاء الاسكندر الاكبر، واللغة اليونانية: وهي اللغة الرسمية في عهد السيد المسيح (عليه السلام)[٣].

ينقسم الكتاب المقدس (لدى المسيحيين) إلى: العهد القديم (التوراة) التي تختلف قليلاً عن التوراة لدى اليهود حيث يرفض المسيحيون بعض الأسفار لدي اليهود علي أساس أنها مضافة ويروا في العهد القديم النبوات التي انبأت عن حياة وموت وقيامة المسيح ورجوع الملك ودينونة العالم ، وأنهم مع تقديسهم

---

(١) ينظر: مقارنة الاديان دراسة في مصادر وعقائد الاديان السماوية ، ١٣٧

(٢) ينظر: البيان الصحيح لدين المسيح ، ياسر جبر، دار الخلفاء الراشدين، الإسكندرية ٢٠٠٧م ، ١٧ .

(٣) ينظر: مصادر العقيدة في اليهودية والنصرانية، حياة مسعودي، (رسالة ماجستير) جامعة الشهيد حمه لخضر ، ٢٠١٨م ، ٦٥.

للتوراة لم يتبعوها ولم يلتزموا حدودها ولم يكن بوسعهم أن يتصرفوا في نصوصها كون نصوصها توجد ايضا عند خصمهم اليهود وذلك عمدوا الى تأويلها[١].

ويضيف طائفة الكاثوليك المسيحية إلى العهد القديم سبعةَ أسفار أخرى وهي الأَسفار المنحولة أَو المكذوبة كما يطلق عليها أحيان أَخر الاسفار القانونية وهي: سفر طوبيا ، سفر يهوديت، سفر الحكمة، سفر يسوع بن بيراخ، سفر باروخ، سفرا المكابين الأول والثاني[٢].

العهد الجديد:((فهو مجموعة من الأناجيل والرسائل الملحقة بها وتتضمن حسب المدون فيها: دعوة المسيح عليه السلام، وتاريخه، وشيئاً من دعوة أوائل النصارى، وتاريخهم، ورسائل دينية أخرى))[٣]. وتطلق هذه التسمية على المجموعة المكونة من سبع وعشرون سفرًا ، ويتحدث عن الفترة التي بدأت بحياة المسيح(عليه السلام) ولم تعترف الكنيسة بهذه الاسفار بصورة رسمية الا بعد إقرار مجمع نيقيه لها في القرن الرابع الميلادي[٤]. يقول احمد شلبي:((وما لبث هذه الكلمة أن استعملت بمعنى الكتاب الذي يتضمن هذه البشرى وقد غلب استعمالها بهذا المعنى منذ أواخر القرن الأول حتى اليوم))[٥].

كلمة إنجيل: كلمة يونانيَّة تَعني (البِشارة)، أو(الأخبار السارة)، والسيد المسيح استعملها بمعنى بشرى الخلاص واستعملها الرسل من بعده بالمعنى نفسه، حيث يرون أنه سُمِّي بذلك؛ لأنه يُبشِّر بقدوم الرب يسوع بالجسد إلى العالَم مخلِّصًا. فالإنجيل يَقصُّ قصةَ مجيء وحياة وأعمال وموت وقيامة يسوع المسيح[٦].

ويتكون العهد الجديد من سبع وعشرين سفرًا وضعها الباحثون في ثلاثة اقسام هي :

القسم الأول: الاسفار التاريخية : وسميت بهذا الاسم لأنها تحوي قصصاً تاريخية فهي تحوي قصة حياة السيد المسيح وتاريخه ومعجزاته[٧]، وتضم الأَسفار التاريخية خمسةَ اسفار هي:

---

(١) ينظر: المسيحية، احمد شلبي، ٢٠٤.

(٢) ينظر: العقيدة الإسلامية وأسسها ، عبد الرحمن حسن الميداني، ط٢، دار القلم ، دمشق ١٩٧٩م ، ٥٦٤

(٣) دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية ، سعود بن عبد العزيز الخلف ، ١٩٥.

(٤) ينظر: الانجيل والصليب ، عبد الاحد داود، تح سليم العراقي، ط١، القاهرة ١٣٥١هـ ، ٣٦.

(٥) المسيحية، احمد شلبي، ٢٠٤.

(٦) ينظر: حبيب سعيد، المدخل إلى الكتاب المقدس، دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية بالقاهرة، ٢١٣.

(٧) ينظر: المسيحية ، احمد شلبي، ٢٠٥ .

السفر الأول: إنجيل متى: فهو أول كتب العهد الجديد في الترتيب، وهو أطولها؛ إذ يحوي ثمانية وعشرين إصحاحاً ، أن (متى) الذي ينسب الكتاب إليه هو أحد الحواريين، حسب زعمهم ، وكان قبل اتباعه للمسيح عشاراً (جابي ضرائب). الاسم:" مأخوذ من الاسم العبري مثنيا ومعناه عطية اليهود ويدعي أيضا لاوي بن حلفي من جباية الضرائب لدى الرومان "[١]. ويقال ان المسيح دعاه الى أتباعه فتبعه ، وبعد صلب المسيح أخذ يدعو الى المسيحية يبشر بدعوة المسيح إلى أن استقر في الحبشة ومات فيها سنة ٧٠م[٢].

السفر الثاني: إنجيل مرقص: هذا الإنجيل الثاني في ترتيب الأناجيل لدى المسيحيين ، وهو أقصرها؛ إذ إنه يحوي ستة عشر إصحاحاً فقط. ومرقص أسم لاتيني معناه المطرقة واسمه يوحنا، ويلقب مرقص، وأنه صاحَبَ بولس وبرنابا في دعوتهما، ثم افترق عنهما، ثم ذكر بولس في رسائله اسم مرقص ، وبشر بالمسيحية في قبرص واسيا الصغرى وارسل الى مصر أيضا للتبشير بالمسيحية وقتل فيها سنة ٦٢م[٣]، وكتب باللغة اليونانية بعد المسيح ب ثلاث وعشرون سنة ، وأختلف فيمن كتبه فقال فريق منهم أن بطرس هو من كتبه ولكن نسبه الى تلميذه مرقص وقال فريق آخر أن مرقص هو من كتبه بعد موت بطرس وبولس[٤].

السفر الثالث: إنجيل لوقا : هذا الإنجيل الثالث في ترتيب الكتاب المقدس ، ويحوي أربعة وعشرين إصحاحاً. وكاتب الإنجيل ليس يهودي ، هو أحد الوثنيين الذين آمنوا بالمسيح بعد رفعه، وهو روماني ولد في أنطاكيا ، وكان رفيقاً لبولس حيث ذكره بولس في ثلاثة مواضع من رسائله، واصفاً إياه بأنه رفيقه. وقد الفه لوقا باللغة اليونانية بعد عشرين سنة من رفع المسيح ، وكتب في اليونان عام(٧٠م) تلبية لطلب موظف مرموق كما يقرر الباحثون[٥].

السفر الرابع: إنجيل يوحنا: هذا الإنجيل الرابع في ترتيب العهد الجديد، وهو إنجيل متميز عن الأناجيل الثلاثة قبله؛ فإنه يختلف عنها، لأنه ركَّز على قضية وهي إبراز دعوى ألوهية المسيح وبنوته لله (تعالى)

---

(١) مصادر العقيدة اليهودية والنصرانية، حياة مسعودي ، ٦٨.

(٢) ينظر: العقيدة الإسلامية واسسها ، عبد الرحمن الميداني، ط٢، دار القلم، دمشق ، ١٩٧٩م ، ٥٦٧.

(٣) الاسفار المقدسة لاديان السابقة للاسلام، علي عبد الواحد وافي، ط١، دار النهضة ، مصر ١٩٦٤م، ٦٢.

(٤) ينظر: مصادر العقيدة في اليهودية والمسيحية، حياة مسعودي ، ٦٩.

(٥) ينظر: أضواء على المسيحية ، رؤوف شلبي ، ط١، المكتبة العصرية ، بيروت ١٩٨٥م ، ٤٧.

لهذا يعتبر هو الكتاب الوحيد من بين الأناجيل الأربعة الذي صرَّح بهذا الأمر تصريحاً واضحاً ، ويوحنا دعاه المسيح مع أخيه يعقوب الأكبر منه وهو من اسرة غنية كانت مهنته الصيد وهو من تلاميذ يحيى (يوحنا المعمدان) وبعدها من تلاميذ المسيح ، وحسب المسيحيين أن السيد المسيح قد بارك بهما ويقال هو أحد رفاق المسيح الخاصين وتوفي سنة ١٠٠م[١]. وقد ألف باللغة اليونانية ويتكون من احدى وعشرين اصحاحا ويرجح أنه ألف في القرن الثالث او الرابع للميلاد[٢].

ومما تجدر الإشارة إليه أَن أي من هذا الأَسفار او الأَناجيل لا ينسب إلى السيد المسيح بل أن الأَناجيل الأربعة تنسب إلى حواريه ورسله فهم يقولون إنَّ المسيح ليس له كتاب خاص به بل ان تلامذته كتبوا تعاليمه ووصاياه وارشاداته وحياته وموته في تلك الاناجيل الأربع ، ويرى بعض الباحثين ان الأناجيل الأربعة اثنان فقط من كُتُّابها من تلامذة المسيح المباشرين، وهما: متى، ويوحنا. وأما الآخران وهما (مرقس ولوقا) فليسا من تلامذته المباشرين[٣].

يقول أَحمد شلبي:((وقصة هذه الاناجيل وعلاقتها بالمعتقدات المسيحية قصة تدعو الى العجب فمن الطبيعي ان تبتني المعتقدات على الاناجيل ولكن الواقع غير هذا اذ ابتنت الاناجيل على المعتقدات فقد نشأت المعتقدات بواسطة بولس ثم كتب بولس رسائله سنة ٥٥ م وسنة ٦٣ م . بيد ان الانجيليين لم يبدئوا كتابة اناجيلهم الا في عام ٦٣م ورجحت كفة بولس وكفة معتقداته فتاثرت الاناجيل بهذه الرسائل))[٤].

إن الإنجيل كان كتاباً موجوداً ومعروفاً لدى المسيحيين الأوائل بأنه إنجيل الله أو إنجيل المسيح، إلا أن هذا الإنجيل لا نجده بين الأناجيل الموجودة اليوم، والأرجح أَنهم فقدوه في زمن مبكر من تاريخهم، إذ يقول الله عز وجل:﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَسَوۡفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ﴾[المائدة: ١٤

---

(١) ينظر: دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية ، سعود بن عبد العزيز الخلف ، ٢١٧.

(٢) ينظر: الجوانب الخفية من تاريخ المسيح، ناصر المنشاوي، بلا طبعه ولا تاريخ نشر، ٢٠٠٣م ، ٥٩.

(٣) ينظر: مصادر العقيدة في اليهودية والمسيحية، حياة مسعودي ، ٦٨ .

(٤) المسيحية ، احمد شلبي ، ٢٠٦ .

][1]. وبعد فقدانهم الانجيل الأصل ، يشير أحد الباحثين إلى هذا الأَمر:((وقد صار عند النصارى بدل الإنجيل الواحد أربعة أناجيل يجعلونها في مقدمة كتابهم العهد الجديد، ولا ينسبون أياً منها إلى المسيح عليه السلام، وإنما هي منسوبة إلى متى ومرقص ولوقا ويوحنا – الذي يزعم النصارى أن اثنين منهم من الحواريين وهما متى ويوحنا، والآخران أحدهما مرقص تلميذ بطرس، والآخر لوقا تلميذ بولس في زعمهم))[2].

وذهب بعض الباحثين إلى القول إنَّ بجانب رسائل بولس كانت هناك أَناجيل ورسائل عديدة تتكلم عن السيد المسيح ودعوته منها انجيل عيسى نفسه الذي ورد ذكر هذا الانجيل في انجيل مرقص وفي رسائل بولس إلى اهل روميه واناجيل كثيرة ، ولكن مصير هذه الاناجيل قد قرره مجمع نيقيه عندما قرر هذا المجمع الوهية المسيح وعلى أثر ذلك الغى كل تلك الاناجيل التي لا تتفق مع فكرة الوهية المسيح وبذلك وافق المجمع على سبع وعشرين سفرا ما اطلق عليه العهد الجديد ورد كل ما سواها من اسفار واناجيل وعاقب كل من يقول بها او وامر بإحراقها[3].

وان هذه " الأناجيل تحوي شيئاً من تأريخ عيسى عليه السلام حيث ذُكِرَ فيها ولادته، ثم تنقلاته في الدعوة، ثم نهايته بصلبه وقيامته في زعمهم، ثم صعوده إلى السماء، كما تحتوي على مواعظ منسوبة إليه وخطب ومجادلات مع اليهود ومعجزات كان يظهرها للناس دليلاً على صدقه في أنه مرسل من الله، فهذه الأناجيل أشبه ما تكون بكتب السيرة، إلا أن بينها إختلافات ليست قليلة، وبعضها إختلافات جوهرية لا يمكن التوفيق بينها "[4].

السفر الخامس: سفر اعمال الرسل : كتب لوقه هذا السفر لنفس الرجل الذي كتب له إنجيله وهو ثاوفليس ويتحدث عن حياة تلاميذه واعمالهم الذين يعتبرون رسلاً حسب الاعتقاد المسيحي وهو من

([1]) ظ: دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية ، سعود بن عبد العزيز الخلف ، ١٩٨–١٩٩ .

([2]) المصدر نفسه ، ١٩٩

([3]) ينظر: المسيحية، احمد شلبي، ٢٠٧.

([4]) دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية ، سعود بن عبد العزيز الخلف ، ١٩٩ .

الأَسفار المقدسة في المسيحية ويتناول أعمال المسيحيين الذين بشروا بالمسيحية ورحلاته التبشيرية وفيه يظهر فضل بولس في زعامة المسيحية[١]، كتب باليونانية ويتالف من ثمان وعشرين اصحاحاً[٢].

القسم الثاني: الاسفار التعليمية

وتسمى رسائل الرسل وهي اعمال الرسل وتشرح وتوضح وتفسر حياة السيد المسيح ومواعظه وسلوكه وفيها الواجبات والالتزامات وانها الحركة اليومية للديانة المسيحية وتمثل عند المسيحيين الجانب الأكبر من المصادر المسيحية وعددها احدى وعشرون رسالة[٣]، وهي قسمين: رسائل بولس والرسائل الجامعة ، ورسائل بولس هي الجزء الأكبر من مجموعة الرسائل وتشكل ثلث العهد الجديد وتبلغ اربع وعشرين رسالةً وكتبت باليونانية وفترة كتابتها ما بين (٥٣م إلى ٦٧م)[٤].

يقول احمد شلبي :" يتضح أَن اكثر الرسائل هي رسائل بولس ، ويتضح بالتالي أن بولس وضع اكثر التشريعات المسيحية "[٥].

ذهب بعضهم إلى القول إنَّ :" الرسائل الملحقة بالأناجيل هي في الحقيقة أقل حالاً من ناحية صحة نسبتها إلى من تنسب إليه وإن كان لها في الواقع الدور الأكبر في تشكيل الديانة النصرانية وخاصة رسائل بولس "[٦].

إنَّ هذه الرسائل موضوعها العقائد والتشريعات المسيحية ولم تعترف بها الكنيسة قبل عام (٣٦٤م) وهذا الأمر يلقى بكثير من الشك حول مدى شرعيتها ومدى صحة نسبتها إلى تلاميذ المسيح أو حواريه ، كما تضمنت العقائد الجديدة التي ادخلها بولس على الديانة الأصل التي انزلها الله تعالى[٧].

---

(١) ينظر: تاثر المسيحية بالاديان الوضعية ، احمد علي عجيبه، ط١، دار الافاق العربية، القاهرة ٢٠٠٦م، ١٥٠

(٢) ينظر: مصادر العقيدة في اليهودية والمسيحية ، ٧١ .

(٣) ينظر: أضواء على المسيحية، رؤوف شلبي ،٥١ .

(٤) ينظر: المسيحية، احمد شلبي ، ٢٠٥-٢٠٦.

(٥) المصدر نفسه ، ٢٠٦ .

(٦) دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية ، سعود بن عبد العزيز الخلف ، ٢١٧.

(٧) ينظر: مصادر العقيدة في اليهودية والمسيحية، حياة مسعودي ، ٧٥ .

القسم الثالث: رؤيا يوحنا اللاهوتي

وتسمى رؤيا لأنها اشبه بالأحلام أدّعى يوحنا أَنه اوحي اليه منها ، فيها كثير من الحقائق عن الديانة المسيحية وتشتمل على أمور عدة منها الوهية المسيح ولم تعتمد الا في حدود عام (٣٦٣م) ، وكتب عام (٨١-٩٧م)[١].

يتحصل أنَّ العهد الجديد يتكون من أَربع أَناجيل ومجموعة رسائل واشترك في كتابة العهد الجديد عدد كبير من الكتاب يربو علي الأربعين كاتبا . ثم ان هذه الاسفار الـ (٢٧) لم تدخل في عداد الكتب المقدسة بصورة رسمية باعتبار مجموع هيئتها الا في القرن الرابع الميلاد بإقرار مجمع نيقيه لها عام (٣٢٥م) لذلك لم تكن مصدقة لدى الكنيسة قبل التاريخ المذكور ، وعندما جاء من الجماعات المسيحية من مختلف الأقسام وكانوا قرابة الفي مبعوث روحاني ومعهم عشرات الاناجيل ومئات الرسائل وهناك في مجمع نيقيه تم اختيار أربعة اناجيل من بين قرابة الخمسين انجيلا واحدى وعشرين رسالة من بين مئات الرسائل وان الهيئة التي اختارت الاسفار العهد الجديد هي تلك الهيئة التي قالت بألوهية المسيح وتم حرق جميع الاناجيل والرسائل التي لا توافق هذا التوجه[٢].

يقول القس فهيم عزيز الأستاذ بكلية اللاهوت الإنجيلية:" لكن قانونية أسفار العهد الجديد لم تتم في وقت واحد ولم يكفها جيل أو جيلان بل استمرت مدة طويلة، ولم تقف الكنائس المختلفة موقفاً موحداً من الأسفار المختلفة، بل اختلفت آراؤها من جهة بعض الأسفار واستمرت في ذلك حقبة طويلة، فلهذا فيلزم تتبع هذا التاريخ الطويل لقانونية أسفار العهد الجديد "[٣].

ثم ان كاتبي الرسائل لم يكونوا على علم بالاناجيل الأربعة ولو صحت نسبة الاناجيل إلى أصحابها لكانت أسبق من الرسائل بل ان تلك الرسائل لا تشير الى محتويات الاناجيل[٤]، ويشير احد الباحثين إلى ذلك بالقول:((وإذا بحثنا في التاريخ لدى النصارى عن إسناد لهذه الأناجيل إلى من تنسب إليه لا نجد من ذلك شيئاً البتة لا قليلاً ولا كثيراً. ورسائل بولس وكذلك الرسائل الأخرى وأعمال الرسل ليس في

---

(١) ينظر: المسيحية، احمد شلبي، ٢٠٦.

(٢) ينظر: المصدر نفسه ٢٠٨.

(٣) دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية/ حياة مسعودي/ ٢٠٢

(٤) المسيحية، احمد شلبي، ٢٠٨.

شيء منها إشارة إلى واحد من هذه الكتب الأربعة، الأمر الذي يترتب عليه أن هذه الكتب لم تكن معروفة في ذلك الزمن ولم يطلع عليها أحد منهم، وفي هذا دلالة قوية على أن نشأة هذه الكتب وظهورها كان متأخراً عن هذه الرسائل، بخلاف إنجيل الله أو إنجيل المسيح فقد ورد ذكره في كلام بولس مراراً عديدة، كما ورد ذكره في إنجيل مرقص، وأعمال الرسل مما يدل على وجوده وأنه معروف معلوم))[١].

إن أول مجموعة عرفتها الكنيسة من العهد الجديد هي مجموعة رسائل بولس. فهي أول ما جمع من كل كتب العهد الجديد ، أما المجموعة الثانية: فهي مجموعة الأناجيل الأربعة، وقد ظهرت هذه المجموعة متأخرة بعض الوقت عن مجموعة كتابات بولس[٢]، اذا ان رسائل بولس قد انتشرت وشاعت قبل الاناجيل:" إن انتشار رسائل بولس وتداولها قبل الأناجيل له معنى خطير، وهو أنه أملي على الناس ما يعتقدون من خلال رسائله، فتكون الأناجيل كتبت بعد أن تشبع أصحابها بالعقيدة البولسية... أن بولس لم يشر في كتاباته إلى أي من الأناجيل المكتوبة ولا إلى أي كتاب عن حياة المسيح أو أقواله "[٣].

وأما المصادر التي اقتبس منها العهد الجديد فقد علم أَنَّ الرسائل هي آراء بولس واجتهادات وأَمَّا الاناجيل الأربع ففيها فلسفة الاغريق والقانون الروماني أثر في تدوين تلك الاناجيل[٤].

- **الفرع الثاني: المجاميع الكنيسية المسيحية**

المجاميع الكنيسية: هي هيئات شورى في الكنيسة تبحث في الأمور المتعلقة بالديانة المسيحية وأحوال الكنائس، وهذا التعريف للمجاميع حسب وجه النظر المسيحي[٥]. وتعريف آخر لها:" هي المشاورة التي ينعقد لها جمه من علماء الدين المسيحي للنظر في المسائل المتعلقة بالعقيدة والشريعة "[٦].

---

(١) دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، حياة مسعودي، ٢٠١-٢٠٢ .

(٢) ينظر: المسيحية، احمد شلبي ، ٢١٠

(٣) دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية ، ٢٠٣ .

(٤) ينظر: المسيحية ، احمد شلبي، ٢١٧ .

(٥) ينظر: دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية ، سعود ، ٢٤٩ .

(٦) أضواء على المسيحية ، رؤوف شلبي ، ٩٤ .

إن المجاميع المسيحية نوعان[١]: مجامع محلية: وهي التي تبحث في الشؤون المحلية للكنائس التي تنعقد فيها. ومجامع مسكونية (اقليمية) : تبحث في العقيدة المسيحية ومواجهة بعض الأقوال التي يرى غرابتها ومخالفتها للديانة.

وأول المجامع ، كان مجمع أورشليم الذي عقد أيام الحواريين من أجل النظر في حكم إلزام غير اليهود بالشريعة الموسوية. فقرر المجتمعون هناك أنهم لا يلزمون بالختان ولا بالشرائع الموسوية، وإنما يلزمون فقط بالإمتناع عن الذبح للأصنام والزنى وأكل المخنوق والدم ، وذلك كان في عام (٥١م)[٢].

والسبب الرئيسي في عقدها كما يرى المسيحيون هو ظهور أفكار دينية غريبة على المسيحية تقتضي الحاجة لعقد تلك المجاميع لمناقشتها ، فتلك المجاميع تعمل على فحص المسائل المتعلقه بالايمان المسيحي وإصدار القوانين الخاصة بالعقائد[٣]، وذهب أحمد شلبي الى القول: إنَّ الأَناجيل اختيرت لتلائم المعتقدات التي وضعها بولس وان الأغلبية الساحقة من العهد الجديد من وضع بولس ومريديه ولكن مع الزمن ظهر للمسيحيين أَن الأَناجيل لا تفي بما أرادوا أَنْ يضيفوه للمسيحية من معتقدات كعصمة البابا أَو غفران الذنوب وغير ذلك فاقترحوا المجاميع لتلبي لهم ما يريدونه[٤].

وتشكل هذه المجاميع أهمية كبرى لدى المسيحيين ، حيث أصبحت المصدر الأهم للعقائد المسيحية[٥].

أهم المجامع المسكونية :

أولًا: مجمع نيقية (تقع في تركيا الحالية) الذي عقد سنة ٣٢٥م:((كان هذا المجمع أول المجامع المسكونية وأخطرها أيضا. سبب إنعقاد هذا المجمع هو التعارض والإختلاف العقدي الموجود في الكنسية في تلك الأزمان، وذلك أنه ما إن توقف الإضهاد الواقع على النصارى من قبل الرومان بمرسوم ميلان. حتى ظهر على السطح ذلك الخلاف العقائدي الكبير بين طوائف النصارى، والذي كان يخفيه من قبل

---

(١) ينظر: أضواء على المسيحية ، رؤوف شلبي ، ٩٤ ، البيان الصحيح لدين المسيح ، ياسر جبر، ط١، دار الخلفاء الراشدين، الإسكندرية ٢٠٠٧ ، ٢٣.

(٢) ينظر: تأثر المسيحية في الأديان الوضعية ، احمد علي عجيبه، ط١، دار الافاق الإسلامية، القاهرة ٢٠٠٦م ،٢٦١

(٣) الجوانب الخفية من حياة المسيح ، ناصر المنشاوي ، د.ط ، مصر ٢٠٠٣م ، ١٤٥

(٤) ينظر: المسيحية ، احمد شلبي ، ٢٠٩.

(٥) ينظر: أضواء على المسيحية ، رؤوف شلبي ، ٩٣ .

الحالة الإضطهادية الواقعة على جميع أصناف النصارى والذي كان من أسباب رسوخ هذه الانحرافات العقدية . وكان أبرز وجوه الاختلاف: ذلك الخلاف والتعارض بين دعوة كنيسة الإسكندرية التي كانت تنادى بألوهية المسيح على مذهب بولس، وبين دعوة الأسقف الليبي (آريوس) في الإسكندريه أيضاً. الذي وُصِفَ بأنه عالم مثقف، وواعظ مفوه، وزاهد متقشف، وعالم بالتفسير، حيث أخذ ينادي بأن الله إله واحد غير مولود أزلي، أما الإبن فهو ليس أزليا وغير مولود من الأب وأن هذا الإبن خرج من العدم مثل كل الخلائق حسب مشيئة الله وقصده))[١]. أي ان في هذا المجمع بدأ التخطيط لفكرة التثليث[٢].

قرارات المجمع ونتيجته : تقرير ألوهية السيد المسيح (عليه السلام) وأنه ابن الله (في زعمهم) أي من ذات الله وأنه مساوٍ لله جل وعلا، كما قرروا أن هذا الإله تجسد بصورة البشر لخلاص الناس، ثم ارتفع إلى السماء بعد قيامته من الموت، كما تم لعن آريوس ومشايعيه وحرق كتبه لأنه رفض فكرة ألوهية المسيح وقال انه عبد من عبيد الله . وقد وقع كثير من المجتمعين على هذه القرارات لمناصرة قسطنطين لها، وكذلك اختار المجمع الاناجيل وبعض الرسائل لتكون العهد الجديد وحرق ما سواها من اناجيل ورسائل[٣].

يبدو أن المجتمعين في نيقية لم يقبلوا ذلك القول بألوهية المسيح ولم يكن عند القائلين به حجة مقنعه ولهذا فقد غير قسطنطين رأيه فيما بعد،((ولما كان قرار نيقية بألوهية المسيح فرض بقوة السلطان فإن السلطان وهو الإمبراطور رجع فيما بعد عنه وأمر بعقد مجمع صور سنة ٣٣٤م وقرر فيه إعادة (آريوس) إلى الكنيسة، وخلع (أثنا سيوس) أسقف الإسكندرية، أحد أكبر المدافعين عن عقيدة ألوهية المسيح، كما أن الإمبراطور نفسه قد عُمِّد وهو على فراش الموت على مذهب (آريوس) حيث عمده الأسقف (أوسابيوس النيقوميدي) أكبر أنصار آريوس... وهكذا يتبين أن هذا المجمع الذي يعد من أخطر المجامع كان ألعوبة بيد الإمبراطور الذي كان وثنياً ولم يكن من أهل تلك الملة وقت ترأسه ذلك المجمع، كما أن المجتمعين لم يكونوا يعتمدون على نصوص متفق عليها مقبولة لدى الجميع وإلا لتم الإذعان

---

(١) دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية ، سعود بن عبد العزيز الخلف ، ٢٥٠-٢٥١.

(٢) ينظر: اضواء على المسيحية ، رؤوف شلبي ، ٩٦ .

(٣) ينظر: تاثير المسيحية بالاديان الوضعيه ، احمد علي عجيبه ، ٢٦٧ .

لمدلولها، وإنما كانوا يعتمدون على تصوراتهم أو تصورات أمثالهم من الناس فلهذا وقع الإعراض عنها بعد عودتهم إلى كنائسهم))[١].

ثانيا: مجمع القسطنطينيه:

بعد أَن نفي قرارت مجمع نيقيه من قبل قسطنطين في آخر حياته الأَمر الذي شكل خلافاً بين المسيحين وولد اشكلات بينهم ولهذا جاء مجمع القسطنطينيه لحسم هذا الخلاف، وعقد عام (٣٨١م) بدعوة من الإمبراطور(ثيودسيوس) وذلك لمناقشة الدعوات التي كانت منتشرة بين الكنائس منها دعوة أسقف القسطنطينية التي نادى فيها ان الروح القدس مخلوق وليس إلها، ودعوة (صابيليوس) الذي كان ينكر وجود ثلاثة أقانيم فحضر ذلك المجمع (مائة وخمسون) أسقفاً. قرروا فيه ألوهية الروح القدس ولعن وطرد من خالف ذلك فأكتمل بذلك ثالوث النصارى[٢].

ثالثا: مجمع أفسس سنة ٤٣١م

سبب انعقاده لمواجهة أصحاب البدع منهم نسطور أسقف القسطنطينية، الذي قيل عنه إنه كان يقول: بأن المسيح له طبيعتان إلهية وإنسانية بشرية، وأن مريم والدة الإنسان وليست والدة الإله. فعقد المجمع بحضور مائة وستين أسقفاً وقرر فيه أن المسيح إله وإنسان ذو طبيعية واحدة وأقنوم واحد، وأن مريم أم إلههم ولم يحضر نسطور ولا أنصاره هذا المجمع وحكم على (نسطور) بالطرد من الكنيسة [٣].

و وبعد عُقدت مجامع عديدة بعد هذا المجمع كلها تبحث في طبيعة المسيح (عليه السلام) منها: مجمع خلقيدونيه سنة ٤٥١م[٤] .

إن الباحثين بعد اطلاعهم على قرارات المجمعات المسيحية لحظوا الآتي[٥]:

---

(١) دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية ، سعود بن عبد العزيز ، ٢٥٥

(٢) ينظر: أصول المسيحية كما يصورها القران، داود علي الفاضلي، دار المعارف الرباط، ١٩٧٣م، ٢٤٣، مصادر العقيدة في اليهودية والنصرانية ، حياة مسعودي ، ٨١ ، أضواء على المسيحية ، رؤوف شلبي، ١٠٠.

(٣) ينظر: البيان الصحيح لدين المسيح الصحيح، ياسر جبر، ط١، دار الخلفاء الراشدين، الاسكندريه ٢٠٠٧م ، ٢٥

(٤) ينظر: دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، سعود بن عبد العزيز ، ٢٥٧

(٥) ينظر: المصدر نفسه ، ٢٦٢-٢٦٣ .

١) أن المسيحين لا يملكون أدلة صحيحة صريحة في أكثر دعاويهم ولهذا اختلفوا تلك الإختلافات الخطيرة منها ألوهية السيد المسيح من عدمها وتلك الاختلافات تمس جميع نواحي العقيدة لديهم.

٢) أن ما يستندون إليه يندرج ضمن الفهم الخاص يسعى أصحابه لتثبيته عن طريق تلك المجامع، ولا يخلو من الأهواء والأغراض الخاصة من حب الرئاسة وفرض السيطرة.

٣) أن المجامع كانت في الأغلب تعقد لفرض رأي أو تصور وتفرض الآراء وبقوة السلطان أو قوة الكنيسة، ولم تكن يوماً من الأيام هيئات شورى يتباحثون فيها الأراء ويتوصلون فيها إلى النتيجة بالادلة.

٤) أن تلك المجامع كانت أداة بيد الأباطرة الرومان يسخرونها لرغباتهم في التوسع والسيطرة أو تحقيق أغراض سياسية.

٥) أن المجامع أحد أعظم أسباب الفرقة وتثبيتها في العالم المسيحي، بحيث أنهم لم يخرجوا في واحد منها متفقين، بل كلما اجتمعوا في مجمع من تلك المجامع يزداد إختلافهم وبالتالي إنقسامهم.

٦) تم صياغة العقيدة المسيحية في تلك المجاميع بعد خلاف طويل وهذا يدل أن العقيدة المسيحية في الإله وفي المسيح، ليس لأدلتها من الوضوح ما يكفي لجعلها مسلمات وقطعية الدلالة . وان المجامع قد صاغت العقيدة المسيحية بكل تفاصيلها، وذلك يدل على أن تلك العقيدة بتفاصيلها صنعة بشرية لم ينزلها الله تعالى على السيد المسيح (عليه السلام)

٧) طردت المجاميع ولعنت من لم يقبل بقراراتها.

٨) ان المجاميع هي المصدر الحقيقي للديانة المسيحية .

ويصدق عليهم فيما يدعونه من عقيدة ويشرعونه للناس أنهم جعلوا أنفسهم أرباباً من دون الله يحلون ويحرمون فينطبق عليهم قول الله تعالى ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣٠ – ٣١][1].

([1]) ينظر: الامثل، ناصر مكارم الشيرازي ، ٤٠٩/٤.

المطلب الثاني: اهم عقائد الديانة المسيحية

إنَّ فرق المسيحيين متعددةُ وعقائدهم مختلفة باختلاف فرقها ثم انهم غيروا وبدلوا في عقائدهم حسب النصوص والمجامع والازمان التي مروا بها[١].

المسيح عليه السلام جاء بالديانة بيضاء نقية توحيداً خالصاً، ومنهجاً ربانياً واضحاً، كما تقدم بيانه أول الكلام على النصرانية. إلا أن النصارى انحرفوا بهذه الديانة عن وجهها الصحيح، إلى وثنية خالصة، وعقائد منحرفة لم يعرفها المسيح عليه السلام ولا حواريوه. وقد كان ابتداء تحريفها من دخول بولس (شاؤول اليهودي) هذه الديانة بعد رفع المسيح عليه السلام. وهذه الديانة المحرفة لم تقرر على ما هي عليه في الوقت الحاضر إلا بعد انصرام ما يقارب خمسة قرون من رفع المسيح عليه السلام، حيث أصبحت تقوم على ثلاثة أسس هي: التثليث ، الصلب والفداء ، محاسبة المسيح للناس[٢].

أولا: عقيدة التثليث: هي ركن من أَركان الديانة المسيحية[٣]، " يقول قاموس الكتاب المقدس هو: إله واحد، الأب، والابن، والروح القدس إله واحد، جوهر (ذات) واحد متساوين في القدرة والمجد "[٤]. والتثليث عندهم هو اعتقادهم بوجود ثلاثة إلهة (الاب، والابن ، وروح القدس) وهذه هي التشكيلة الأساسية للثالوث المسيحي[٥]. ويفسر المسيحيون هذه العقيدة بقولهم إن تعليم الثالوث يتضمن:((وحدانية الله. لاهوت الأب والابن والروح القدس. إن الأب والابن والروح القدس أقانيم يمتاز كل منهم عن الآخر منذ الأزل وإلى الآبد. أنهم واحد في الجوهر متساوون في القدرة والمجد. إن بين أقانيم الثالوث تمييزاً أيضا في الوظائف والعمل، لأن الكتاب يعلم أن الأب والابن والروح القدس واحد في الجوهر، متساوون في القدرة والمجد. إن بعض أعمال اللاهوت تنسب في الكتاب المقدس إلى الأب والابن والروح القدس مثل خلق العالم وحفظه، وبعض الأعمال تنسب على الخصوص إلى الأب مثل الإختيار والدعوة، وإن

---

(١) ينظر: مقارنة الاديان دراسة في عقائد ومصادر الاديان، طارق خليل، ١٦١.

(٢) ينظر: دراسات في الاديان اليهودية والنصرانية، سعود بن عبد العزيز ، ٢٧٠

(٣) ينظر: النصرانية من التوحيد الى التثليث، محمد احمد الحاج، ط١، دار القلم دمشق ١٩٩٢م، ٢٢٠.

(٤) دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية ، سعود بن عبد العزيز ، ٢٧٠، ينظر: قاموس الكتاب المقدس،٢٣٤ .

(٥) ينظر: مصادر العقيدة في اليهودية والمسيحية، حياة مسعودي ، ٨٥ .

بعض الإعمال تنسب خصوصا إلى الابن مثل الفداء، وبعض الأعمال تنسب خصوصاً إلى الروح القدس مثل التجديد والتقديس))[١].

والاقانيم الثلاثة عندهم هي: الاقنوم الأول:" يراد بالأب عندهم: الذات الإلهية مجردة عن الابن والروح القدس، وهو بمنزلة الأصل والمبدأ لوجود الابن. مع أن هذا لا يعني لديهم أن الأب سبق الابن في الوجود بل الابن أزلي الوجود معه لم يسبق أحدهما الآخر. وليس له عمل عندهم إلا الإختيار والدعوة "[٢].

الاقنوم الثاني:" المراد بالابن عندهم كلمة الله المتجسدة وهو المسيح (عليه السلام)، ويزعمون أن الابن مساو للأب في الوجود، وأن الأب خلق العالم بواسطة الابن، وأنه الذي نزل إلى الأرض بالصورة البشرية فداء للبشر، وهو الذي يتولى محاسبة الناس يوم القيامة. تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً "[٣].

الاقنوم الثالث: وهو عندهم مساو للأب والابن في الذات والجوهر والطبع وهو في كلامهم روح الله الذي يتولى تأييد أتباع المسيح وتطهيرهم[٤].

ثانيا: الصلب والفداء

يعتقد المسيحيون أَنَّ عيسى (عليه السلام) مات مصلوباً وكانت علة صلبه فداءً للبشرية من خطيئة آدم التي أرتكبها حين أكل من الشجرة التي منعه الله تعالى من الأكل منها، وغضب الله تعالى من هذه الخطيئة وقد انتقلت إلى ذريته، فكان لابد من وسيط يتحمل هذا الإثم ويرضى بأن يموت على الصليب، وهذا الوسيط المخلص في زعمهم لابد أن يكون ذا وضع متميز خال من الإثم والخطأ، ولا يكون هذا إلا ابن الله – الذي هو الله في زعمهم – ثم لابد أن يكتسب الخطيئة عن طريق الجسد فهذا ما جعله يتجسد في صورة عيسى ، وارسل ابنه المسيح لتحمل العقوبة المستحقة عن خطايا البشر وبصلبه تكفيرا عن خطايا البشر تكتمل مهمة المسيح الابن وبموته على الصليب ، لأنهم يزعمون أن الله جل وعلا منذ وقع آدم في الخطيئة، وهو غضبان على بني آدم بسبب الخطيئة، ولابد بناءً على عدله أن يعذبهم، وهو بناءاً

---

(١) دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية ، سعود بن عبد العزيز ، ٢٧١ .

(٢) المصدر نفسه ، ٢٨٣ .

٣) المصدر نفسه، ٢٨٨.

(٤) ينظر: قاموس الكتاب المقدس ، ٤١٤، النصرانية من التوحيد إلى التثليث ، محمد أحمد الحاج ، ٢٣٥.

على رحمته يحب أن يرحمهم، عوض الله عن الخطايا التي اوقعها آدم وتمت نعمة الله فالصلب نصرة للاله[١].

يقول احد الباحثين :" إنَّ وفاة عيسى على الصليب هو عصب كل العقيدة المسيحية، ان كل نظريات المسيحية عن الله وعن الخلقة وعن الخطيئة وعن الموت، تستمد محورها من المسيح المصلوب "[٢].

ثالثاً: محاسبة المسيح للناس

زعم المسيحيون أن المسيح (عليه السلام) سوف يتولى يوم القيامة محاسبة الناس وإدانتهم ولهم على ذلك نصوص من إنجيل يوحنا وغيره[٣]

ورد في إنجيل يوحنا :" كما أن الأب له حياة في ذاته كذلك أعطى الابن أيضاً أن تكون له حياة في ذاته، وأعطاه سلطاناً أن يدين أيضاً لأنه ابن الإنسان "[٤].

وان قيامة المسيح عقيدة أساسية وتعبر من ركائز الايمان عندهم ، والمراد من هذه العقيدة هو ان المسيح بعد صلبه وموته ارتفع الى السماء حيث بجوار الرب الاب وجلس على كرسي استعداد لاستقبال الناس يوم الحشر وان الاب هو من اعطى سلطان الحساب للإله الابن[٥].

ذهب بعض الباحثين ان كثير من أفكار المسيحية هي اقتباس من اليهودية والوثنية والأديان الشرقية والفلسفة الاغريقية والقانون الروماني[٦].

اقتبست المسيحية من الاغريق (الكلمة) وهي ترادف الإله عند الاغريق ، ومن اليهودية اقتبست فكرة الابوة بين الله والناس أي فكرة ابوه الله الإله للخلق، ومن الأديان والثقافات الشرقية اقتبست الفنون والرسوم ومن الرومان اقتبست التنظيم الروماني[٧].

---

(١) ينظر: اديان العالم ، حبيب سعيد، دار الكنيسة الأسقفية، د.ط/ د.ت، ٣٦٢.
(٢) مصادر العقيدة في اليهودية والمسيحية، حياة مسعودي ، ٨٧.
(٣) ينظر: دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، سعود بن عبد العزيز ، ٣٣٣.
(٤) الكنيسة ، الكتاب المقدس ، انجيل يوحنا ، ٢٦/٥ .
(٥) ينظر: تاثر المسيحية بالاديان الوضعية ، احمد علي عجيبه ، ٥٦٥.
(٦) ينظر: المسيحية ، احمد شلبي، ١٧٧.
(٧) مقارنة الأديان دراسة في عقائد ومصادر الأديان ، طارق خليل ، ١٦٣.

ويرى أَحمد شلبي: إن من المصادر الحقيقية للمسيحية، هو الفكر المصري حيث اخذت فكرة رسم الصليب والتثليث وكذلك قصة التضحية، وهي بذلك ليست بعيدة في أسسها عن العقائد المصرية، والفكر البوذي أيضا هو الاخر احد المصادر حيث يعتقد ان المسيحية استعارت كثيرا من المعتقدات البوذية منها التثليث والاقانيم والصلب وحتى التكفير عن الخطيئة[١].

يقول أَحمد شلبي:" ان دراسةً واسعةً مستفيضةً حول الأصول التي انحدرت منها المسيحية الحالية وشعائرها ... يصورُ المسيحية ثوباً مهلهلاً تكون من مجموعة كبيرة من الرقاع جاءت كل رقعة من وادٍ ، فبعض المعتقدات انحدرت من الأديان الوثنية ، وبعضها من ديانة متراس، وبعضها من البوذية وبعضها من الفلسفة الاغريقية وبعضها من الخرافات التي يدين بها البدائيون "[٢].

الخلاصة

١) هناك فرق بين الرسالة التي جاء بها المسيح (عليه السلام)، والديانة المسيحية فالمسيحية ديانة مبتدعة من بولس ورجال الدين المسيحي.
٢) يشترك المسيحيون مع اليهود في العهد القديم ، والعهد الجديد لا تعترف به اليهود واسفاره خاصة للمسيحية
٣) تنقسم أَسفار العهد الجديد الى ثلاث اقسام: الاسفار التاريخية وتشمل الاناجيل الأربع إضافة الى سفر اعمال الرسل، والاسفار التعليمية وبها جميع الرسائل(رسائل بولس ، والرسائل الجامعة) والقسم الثالث سفر يوحنا.
٤) أَسفار العهد الجديد كتب لا يعرف كتابها بوجه الدقة ولم يصرح كتابها بأَنها موحى بها من الله .
٥) أَسفار المسيحية هي كتب قدسها البشر ومنحوها صفة القداسة عبر المجامع التي قبلت من ترغب به من الاسفار ورفضت من لا تلائم مع توجهها.
٦) تعتبر المجاميع الكنيسية المصدر الثاني للعقيدة المسيحية.
٧) تتمحور أفكار المسيحية حول ثلاثة أمور هي التثليث والفداء ومحاسبة المسيح للناس.

---

(١) المسيحية ، احمد شلبي ، ١٧٧.
(٢) المصدر نفسه ، ١٧٨.

٨) لا يوجد في المسيحية أي انجيل للنبي عيسى فالأَناجيل الأربع هي لتلاميذه ورسله ، وقد دونت هذه الأَناجيل بعد رسائل بولس.

٩) الديانة المسيحية هي خليط من أفكار وثنية وفلسفة وقانون روماني واديان شرقية اندمجت مع بعضها لتشكل ما يسمى الفكر والعقيدة المسيحية.

المبحث الثالث

(التوبة في الرؤية المسيحية)

المطلب الأوّلُ: التعميد

المطلب الثاني: المناولة (العشاء الرباني الأخير)

المطلب الثالث: الاعتراف (الإقرار بجميع الذنوب أمام القسيس)

المبحث الثالث: التوبة في الرؤية المسيحية .

جاء في قاموس الكتاب المقدس:" التوبة: تاب يتوب توبه، أول التوبة تغيير في الفكر يصحبه اسف وندامة على عمل شيء ما "[١].

والتوبة: هي ترك الخطيئة، ولكن من أجل محبه الله، ومن أجل محبة البر، لأنه ليس كل ترك للخطية يعتبر توبة. فقد يبتعد الإنسان عن الخطية بسبب الخوف، أو الخجل، أو العجز، أو المشغولية (مع بقاء محبتها في القلب)، أو بسبب أن الظروف غير متاحة ولا تعتبر هذه توبة، أما التوبة الحقيقية، فهي ترك الخطية عملًا وفكرًا وقبلًا، حبًا في الله ووصاياه وملكوته وحرصًا من التائب علي أبديته[٢].

وقيل:((فهي الحزن والندامة على ارتكاب الشر والابتعاد عن الخطيئة او بعضها بذل الجهد في الاتكال التام على نعمة الله ومساعدة الروح القدس والانقياد الى مشيئة الله والخضوع لا وامره الطاهرة))[٣].

والتوبة هي:((وجوب تغيير كل شيء. (مرقس ١: ١–٤) أي يجب أن ينقلب كل شيء رأسا على عقب، وتغيير جميع القيم. فيجب أن يُنظر إلى كل شيء كما يراه الله، وأن يتجدد كياننا كله؛ ويجب أن يتوقف كل تفكير بشري خاص بنا، وأن يصبح الله مركز تفكيرنا ومشاعرنا))[٤].

إنَّ عقيدة الخطيئة هي أمر أساسي في الديانة مسيحية، لأن رسالة المسيحية الأساسية هي حول فداء المسيح المتمثل في موته علي الصليب كي يغفر كل خطايا البشرية[٥].

---

(١) قاموس الكتاب المقدس ، مجموعة من اللاهوتيين، هيئة التحرير، بطرس عبد الملك واخرون، ١٥٥.

(٢) ينظر: http://st-takla.org/Saints/Coptic-Orthodox-Saints-Biography/Coptic-Saints-Story_١٥٣٢.html موقع الانبا تكلا هيمانوت.

(٣) قاموس الكتاب المقدس، بطرس عبد الملك وآخرون، ١٥٦ .

(٤) التلمذ للمسيح ، هاينريش آرنولد J. Heinrich Arnold ، دار المحراث للنشر، ٢٠١٨م ، ٣٣ .

(٥) ينظر: دراسة في عقائد ومصادر الاديان السماوية، طارق خليل ،١٣٠.

إن قضية الخلاص في المسيحية هي في قمة التعقيد والتشابك فلها فلسفتها الخاصة وتصور معين تختلف فيه عن جميع التصورات التي نزلت بها الشرائع السماوية فقد أصبحت نظاماً فريداً يصعب تصوره ويصطدم فيه العقل بكثير من العقبات[١].

الخطيئة في المسيحية هي عمومية وتشمل الجميع حتى الانبياء ، ووجهة نظر الكتاب المقدَّس في ذلك هو أن جميع الناس بحاجة إلى التضحية بالسيّد المسيح[٢]، والولادة من جديد[٣]، والتوبة[٤]، تثبت أن الجميع الناس قد تدنَّسوا بالخطيئة. والاستدلال الآخر في هذا الشأن هو أن الموت . طبقاً لنصوص الكتاب المقدَّس . عقوبةٌ على الخطيئة؛" لأن أجرة الخطيئة هي موتٌ، وأما هبة الله فهي حياةٌ أَبَدية بالمسيح يسوع ربّنا "[٥]. ومن ناحيةٍ أخرى نعلم أن الموت مكتوبٌ على الناس كافّةً؛ وعليه يمكن أن نستنتج من ذلك أن الناس كلّهم مخطئون[٦].

إن أكثر المفردات المستعملة في العهد الجديد للدلالة على الخطيئة هما: المفردتان اليونانيتان:(hamartano – hamartia)، وقد ورد ذكرهما في النصّ اليوناني للعهد الجديد على التوالي ٤٣ و١٧٦ مرّة . إن هاتين المفردتين تشيران إلى أن الخطيئة تستعمل في العهد الجديد على ما يبدو للدلالة على ارتكاب الخطيئة. وعلى أيّ حالٍ هناك الكثير من العبارات في العهد القديم وفي العهد الجديد التي تمَّتْ الإشارة فيها إلى الخطيئة بوصفها حالةً وجودية[٧].

---

(١) ينظر: الخلاص من الخطيئة ، ٢٨.

(٢) ينظر: الكتاب المقدس، العهد الجديد ، إنجيل يوحنّا، الإصحاح ٣، الفقرة ١٦؛ أعمال الرُّسُل، الإصحاح ٤، الفقرة ١٢.

(٣) ينظر: المصدر نفسه ، الإصحاح ٣، الفقرة ٥.

(٤) ينظر: المصدر نفسه ، أعمال الرُّسُل، الإصحاح ١٧، الفقرة ٣٠.

(٥) المصدر نفسه ، رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية، الإصحاح ٦، الفقرة ٢٣.

(٦) Pfandle, Gerhard, “Some Thoughts on Original Sin”, p. ٥. www. adventistbiblical. adventistbiblical. org/document/sinoriginal-web.pdf

(٧) الخطيئة الأولى للإنسان بين المسيحيّة والإسلام(مقال) / د. مجيد ملاّ يوسفي ود. داوود معماري ، ترجمة: وسيم حيدر/ نصوص معاصرة مركز البحوث المعاصرة في بيروت https://nosos.net/%D٨%A٧%D٩%٨٤%D٨%AE%D٨%B٧%D٩. تم الاطلاع عليه بتاريخ ١٢/١/ ٢٠٢٣.

ومن ذلك، على سبيل المثال ما ينسبه الكتاب المقدس إلى النبيّ داوود في المزامير: " ها أنا ذا بالإثم صُوِّرتُ، وبالخطيئة حبلَتْ بي أمّي [١].

وقال بولس الرسول في هذا الشأن:((فإنْ كنت ما لست أريده إياه أفعل فلست بعد أفعله أنا، بل الخطيئة الساكنة فيَّ. إذن أجد الناموس لي حينما أريد أن أفعل الحسنى أن الشرّ حاضرٌ عندي. فإني أسرّ بناموس الله بحَسَب الإنسان الباطن. ولكنّي أرى ناموساً آخر في أعضائي يحارب ناموس ذهني، ويسبيني إلى ناموس الخطيئة الكائن في أعضائي))[٢].

إن الشخص الوحيد المنزَّه في الكتاب المقدَّس من الوقوع في الخطيئة هو عيسى المسيح فقط. فقد ورد في رسالة بولس الرسول إلى العبرانيين حول المسيح:((...رئيس كهنة مثل هذا قدّوسٌ، بلا شرٍّ، ولا دَنَسٍ، قد انفصل عن الخطاة...))[٣] ، وجاء في رسالة لبطرس:" الذي لم يفعل خطيّة، ولا وجد في فمه مَكْرٌ "[٤].

وفي العقيدة المسيحية عن الخطيئة الإنسانية التي تسببت في سقوط الإنسان، وهي التي جاءت من تمرد آدم في جنة عدن ، حيث أنه ارتكب العصيان عندما أكل من شجرة معرفة الخير والشر المحرمة ، وتم تمييز هذه الحالة بطرق عديدة، تتراوح ما بين شيء غير مهم مثل نقص بسيط، أو ميل نحو الخطيئة ولكن بدون ذنب مشترك، يشار إليه باسم (طبيعة الخطيئة) ، إلى شيء جذري مثل الفساد الكلي أو تلقي ذنب جميع البشر من خلال الذنب الجماعي الناتج عن عصيان الله الذي تسبب بحكم الله علي الإنسان بالفناء والموت بعدما كان من المقرر له من قبل الله أَن يحيا للآبد[٥].

وإنه منذ السقوط ، أثرت خطيئة آدم على البشر بشكل طبيعي بحيث لديهم ميول فطرية في التمرد علي الله وان في الانسان وراثة للخطية من أبيه آدم،((من المتوقع أن يكون لقوى مدمرة

([١]) الكتاب المقدس ، سفر المزامير، المزمور ٥١، الفقرة ٥.

([٢]) الكتاب المقدس ، العهد الجديد ، رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية، الإصحاح ٧، الفقرات ٢١ . ٢٥.

([٣]) المصدر نفسه ، رسالة بولس الرسول إلى العبرانيين، الإصحاح ٧، الفقرة ٢٦.

([٤]) المصدر نفسه ، رسالة بطرس الأولى، الإصحاح ٢، الفقرة ٢٢ .

([٥]) ينظر: دراسة في مصادر وعقائد الاديان ، طارق خليل ، ١٣٠-١٣٣.

مثل هذه عند الفرد تأثير سيئ على نسله، ومع ذلك لا يذكر الكتاب المقدس –عمليًا– شيئاً عن الوراثة بمفهومها السيكولوجي أو البيولوجي، ولكنه يؤكد الحقيقة الكبرى وهي أنه بخطية آدم الأول صار كل جسد أي الإنسان الطبيعي خاطئًا))[1].

اذاً في دراسة الخطيئة في المسيحية لسنا أمام خطأ يرتكبه الافراد ، بل أَمام لغز بشري اسمه الخطيئة الأبدية تلك الخطيئة التي الصقت بالناس جميعا عندما أرتكب آدم المعصية وأكل من الشجرة وهذه المعصية لا يكفرها الا دم الهي[2].

يتحصل انه بخطيئة آدم الأول دخلت الخطيئة إلى العالم، و بفداء المسيح ، رُفعت الخطيئة عن العالم ، وان البشر يولدون وهم يحملون الخطيئة.

وان المعصية التي ارتكبها آدم (عليه السلام) لم تلتصق به وحده بل توارثها أبناؤه جيل بعد جيل ولم يكن امام الخالق الا أن يحل المسألة حلا جذريا فعنده تترك البشرية ، فزعموا بأن الله جل وعلى أرسل ابنه المسيح ووكل اليه المهمة وقد صلبه اليهود ، وبهذا الصلب وحده تتطهر البشرية وتنجوا من الخطيئة التي ارتكبها آدم وجرتهم إلى الجحيم[3].

نلحظ أن فكرة العدل الإلهي عندهم جاءت بصلب الابن الوحيد المزعوم للتكفير عن خطيئة آدم وهذا العمل اذا سلمنا برأيهم يمثل اقسى أنواع الظلم فكيف يصلب بريء بذنب لم يرتكبه وحاشا الله عن فعل ذلك.

وتلك المعتقدات التي أدخلها بولس في المسيحية فأن البشر حملوا خطيئة آدم ابيهم وأن المسيح هو المنقذ للجنس البشري حيث خلصهم من تلك الخطيئة وضحى بنفسه ، وان بولس بفعله هذا جاء نتيجة تأثره بالأفكار الدينية التي كانت سبقت المسيحية بقرون ففكرة المخلص هي فكرة يهودية وتوجد كذلك عند بعض الأديان الوثنية ولكنها في المسيحية تختلف عنها في اليهودية

([1]) موقع الانبا تكلا هميانوت: https://st-takla.org/Full-Free-Coptic-Books/FreeCopticBooks-٠٠٢-Holy-Arabic-Bible-Dictionary/٠٧_KH/kh_٢٩.html.

([2]) ينظر: الخلاص من الخطيئة ، محمد عبد الرحمن عوض ، ٢٨.

([3]) ينظر: المصدر نفسه

ففي المسيحية أن المعصية هي سبب شقاء الإنسانية ولولا المسيح الذي خلص الإنسانية منها لبقيت الى الأبد في شقائها[١].

بما أن المسيحية تعتقد أن السيد المسيح قدم نفسه فداء للبشرية وهو بفعله ذلك قد رفع الخطيئة الأولى على البشرية وكفر عنهم الذنب وبذلك تخلصت البشرية من الذنب الذي جلبها له ابيها آدم وتوارثته بعده البشرية وقد انتهت هذه الخطيئة بفداء المسيح ولكن بقيت الخطايا والآثام التي يرتكبها الناس بعد المسيح وهذه المعاصي يكون الانسان مسؤولا عنها ولا تغفر الا بعد طقوس منها الاعتراف امام الكاهن والتعميد ، أي ان هناك مصالحة التي تمت بين الله تعالى والبشر عن طريق المسيح رفع الله تعالى من خلالها غضبه على البشر((ولا تعني أنه لا يترتب على البشر من الخطأ والعصيان ، بل أن تلك المصالحة تمت لحساب الكنيسة فجسد المسيح ودمه اللذان يكفران عن الذنوب والخطايا في عرف الكنيسة محفوظ لديها ، وهي وحدها التي توزعه على من تعطيه للناجين ، اما من تجرده الكنيسة فلا تعطيه جسد المسيح أو دمه فصبح من الهالكين في الدنيا، يحرق بالنار عندما تصدر عليه الكنيسة عقوبة الحرمان، فضلا عن حرقه في نار الاخرة بعد ذلك))[٢].

المطلب الأول: التعميد

التعميد لغةً مأخوذ من مادة عمدَ ، والعمد قصد الشيء والاستناد إليه[٣] والمعمودية : هي أول أسرار الديانة المسيحية وبابها ، وهي غسل الصبي وغيره بالماء باسم الأب والأبن والروح القدس[٤] ، معتقدين أنه تطهير له ، ويكون بمثابة الختان عند غيرهم[٥] ، فالتعميد هو طقس

---

(١) ينظر: المسيحية نشاتها وتطورها ، شارل جنيبير، ترجمة عبد الحليم محمود ، منشورات المكتبة العصرية ، صيدا– بيروت، ٩٨، المسيحية ، احمد شلبي، ١١٦.

(٢) الميزان في مقارنة الأديان، محمد عزة الطهطاوي، دار القلم ، دمشق ، ط١، ١٩٩٣م ، ١٥٩.

(٣) ينظر: لسان العرب، أبن منظور، ٣٠٢/٣ .

(٤) ينظر: المنجد ، لويس معلوف ، ٥٣٣ .

(٥) ينظر: سر التعميد بين الطوائف المسيحية ، مجلة كلية العلوم الاسلامية ، العدد ٥٩، ٢٠١٩ بحث منشور على (النت) ، ٤٣٠ .

الغسل بالماء وهو علامة على التطهير من الخطيئة والنجاسة وعلى الانتساب رسميًا الى كنيسة المسيح[١] .

هو من الطقوس المهمة في المسيحية فمن لم يعمد فلم يكن مسيحياً حتى وان كان من أبوين مسيحيين، وأن التعميد يمكن يقوم به المسيحي وهو طفل أو في أي وقت من حياته، كما يمكن تعميده وهو على فراش الموت، والمراد منه أن يكون الإنسان طاهراً مبرءاً من الذنوب، وقد ابتدع بولس هذا الطقس واعتبرها سر من أسرار المسيحية والكنيسة ويمثل التغطيس بالماء حسب رؤية بولس موت المسيح ودفنه ويرمز الخروج من الماء الى القيامة والاتحاد معه ، فالمتعمد يموت من حيث الخطيئة ويحيا من أجل الله في المسيح فهو اذا يحيا بحياة المسيح[٢].

ويعتقد شارل جنيبير أن طقوس التعميد والاغتسال هي طقوس وثنية ولم تكن في الدين اليهودي ((انما كانت من قبيل عائلة الطقوس الوثنية ولم تكن نابعة من روح الدين اليهودي ، ذلك أن بولس يقول في رسالته لأهل غلاطية: لأن كلكم الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم بالمسيح . وهذا يعني أن المسيحي يتحد بالمسيح بواسطة التعميد ، بالتعميد يرتدي المسيحي المسيح ، كما يرتدي اللباس المقدس المنجي ، وهو ينزل رمزيا الى عالم الأموات بغطوسه في النهر ، أو أناء التعميد ، فأذا ما خرج بعد غطسات ثلاث تماما كما يخرج المسيح من القبر بعد أيام ثلاثة، أيقن أنه سوف يمجد يوما ان أراد الله له ذلك كما مجد المسيح))[٣].

إنَّ المسيحية تعتقد ((إن المسيحي لا يدرك ابعاد عماده ، أي اتحاده بموت المسيح وقيامته ، الا على مدى الحياة كلها ، التي تتطلب منه موتا مستمرا على الخطيئة ، وقيامة دائمة الى حياة المسيح . انطلاقا من هذا الالتزام يتخذ العماد كل معانيه وابعاده انه ولادة جديدة بالروح ... فلا يعود غريبا عن الله ، بل يدخل في عائلة الله ...))[٤].

([١]) ينظر: قاموس الكتاب المقدس ، ٦٣٧ .

([٢]) ينظر: الخطيئة والتوبة بين اليهودية والمسيحية ، د. محمد احمد الخطيب ، ٢٦٩.

([٣]) المسيحية نشاتها ونطورها ، ١١٠.

([٤]) الديانة المسيحية ، نهى النجار، دار الفكر اللبناني، ط١، بيروت ١٩٩٥م ، ١١٣.

وعملية التعميد لابد من أن يقوم بها كاهن يعمد الأنسان ثلاث مرات باسم الرب والابن والروح القدس ، ولا يقوم بالتعميد بالتعميد الا الكاهن عند الضرورة ويسمى عندها التعميد تعميد الضرورة[١] .

والتعميد يعد جزء من الطريقة التي تتم فيها التوبة والتطهير من الخطيئة والذنب ، وهو فريضة مقدسة في المسيحية ولا يجوز أن يعمدوا الآن أَن يظهروا ايمانهم بالدين المسيحي أَمام الكنيسة وأَنَّ التعميد يمحو الخطيئة الاصلية في النفس الإنسانية[٢].

يقول وول ديورنت:((وكان التعميد أهم تلك الأسرار كلها، وكان يهدف إلى غرضين: محو الخطيئة الأولى، بحيث يولد الشخص مولداً جديداً يستقبل على أثره في حظيرة الدين المسيحي. وكان المفروض أن يطلق الأبوان على طفلهما في هذا الحفل اسم أحد القديسين، ليكون هذا القِّديس المستقبل شفيع الطفل، وأنموذجه، وحاميه، وهذا هو (اسمه المسيحي) أو الخاص. وقبل أن يحل القرن التاسع كانت طريقة التعميد المسيحية الأولى- طريقة غمر الطفل كله- قد استبدلت بها تدريجاً طريقة الرش لأنها أقل خطراً على الصحة من الطريقة الأولى في الأجواء الباردة الشمالية. وكان في وسع أي قسيس- أو أي مسيحي عند والضرورة- أن يقوم بعملية التعميد، وكانت الطريقة القديمة، طريقة تأجيل التعميد حتى يكبر الطفل، قد استبدلت بها طريقة التعميد في سن الرضاعة، وقد أنشأت بعض الجماعات وبخاصة في إيطاليا كنائس صغرى خاصة لأداء هذه الشعيرة))[٣].

وهذه العملية حصراً على رجال الدين المسيحي((ولم يكن يقوم بهذه العملية إلا أحد الأساقفة، ويصحبها دعاء إلى الروح القدس أن يدخل في جسم التعميد، ومسح جبهته بالزيت المقدس ولطمه لطمة خفيفة على خده، وبهذه الطريقة الشبيهة بما كان متبعاً في مراسم الفروسية يثبت المسيحي الصغير في دينه، ويكون له تبعاً لذلك كل ما للمسيحي من حقوق وعليه كل ما على المسيحي من واجبات))[٤] .

([١]) ينظر: المسيحية ، احمد شلبي ، ١٧٢.

([٢]) ينظر: التوبة في اليهودية والنصرانية والإسلام ، عادل محمد الحسيني ، ٥٦ .

([٣]) قصة الحضارة ، ١٤/١٦- ١٥ .

([٤]) المصدر نفسه ، ١٥/١٦ .

يتحصل أن التعميد هو علامة على دخول الدين المسيحي من جهة ومن جهة أخرى هو تطهير الجسد من المعصية بما يصاحبها من طقوس الرش بالماء والمسح بالزيت المقدس ، ومن جهة ثالثة يتوجب على كل مسيحي ان يتعمد فهو كختم للإيمان .

المطلب الثاني: المناولة (العشاء الرباني الأخير)

يعد من الشعائر التي ابتدعها بولس وأدخلها في الديانة المسيحية وأقام لها طقوس وأعطاها معانٍ لا تحتملها ، ويرمز الى عشاء النبي عيسى الأخير مع تلاميذه اذ اقتسم معهم الخبز والنبيذ(الخمر)[١]، فالخبز يرمز إلى جسم السيد المسيح الذي كسر لنجاة البشرية ، والخمر يرمز هو الآخر إلى دمه الذي سفك لأجل الغرض نفسه ، فمن أكل من هذا الخبز وشرب من الخمر استحال الخبز إلى لحم المسيح والخمر إلى دمه فيحصل امتزاج بين الأَكل وبين المسيح وتعاليمه[٢].

ويؤمن اتباع المسيحية على اختلافهم بفرقهم ومذاهبهم بأهميّة وقيمة شعيرة العشاء الرباني، وإن اختلفوا في التسمية أو المعنى أو طريقة الممارسة، إلا أنَّ الجميع يتفق على أن النبي عيسى هو أول مَن أسس ومارس هذه الشعيرة مع تلاميذه لتذكيرهم والمؤمنين به بموته، ودفعهم على التبشير به إلى أن يعود اليهم[٣] .

وقد استطاع بولس أَن يربط بين العشاء الرباني وموت المسيح ، يقول شارل جنيبير:((لقد وجد له تفسيراً ربطه برباط لا ينفصم إلى عذاب عيسى الذي تحمله لتخليص البشرية ، وغمره غمرا بذلك المفهوم الخصب للتضحية من أجل التكفير ومن اجل التقرب والمشاركة في الذات الإلهية ، فجعل منه غاية لسر رفيع وتذكره ورمزا حيا – أرادهما عيسى نفسه – حسب ما زعم بولس لما لقيه من عذاب الصليب))[٤] .

---

(١) ينظر: الخطيئة والتوبة بين اليهودية والمسيحية ، محمد احمد الخطيب ، ٢٧٠ .

(٢) ينظر: المسيحية ، احمد شلبي ، ١٧٣ .

(٣) ينظر: التوبة في اليهودية والنصرانية والإسلام ، عادل محمد الحسيني ، ٥٧ .

(٤) المسيحية ونشاتها وتطورها ، ١٠٩ .

يقول صاحب كتاب قصة الحضارة:((وكان العشاء الرباني أهم الأسرار المقدسة بعد التعميد. ذلك أن الكنيسة تمسكت بحرفية العبارة المعزوة إلى المسيح وقت تناول العشاء الأخير، والقائلة أن الخبز هو جسمه وإن النبيذ دمه. وأهم ما تقوم عليه شعيرة العشاء الرباني هو تحول رغيف الخبز وكأس النبيذ إلى جسم المسيح ودمه بقدرة القسيس المعجزة، وكان الغرض الأول من القداس هو أن يسمح للمؤمنين أن يشتركوا في (جسم) الأقنوم الثاني من الثالوث الإلهي "دمه، وروحه، وألوهيته"، وذلك بأكل القربان المقدس، وشرب النبيذ المقدس))[١] .

ويعد أكلُ الخبزِ وشربُ النبيذ قرباناً مقدساً لدى الكنيسة[٢]، وانتشرت ألف قصةٍ وقصة عن مقدرة الخبز المقدس في العشاء الرباني على إخراج الشياطين، ومداواة الأمراض، وإطفاء النيران، والكشف عن الكذب باختناق الكاذبين فهو شعيرة للتوبة والمغفرة . وكان يطلب إلى كل مسيحي أن يتناوله مرة في السنة على الأقل، لكي يغفر له الذنوب التي ارتكبها خلال العام[٣] .

وعندما يشرك المسيحيون في هذا العشاء يؤمنون أن المسيح يكون معهم وجوداً جسدياً ، ومن خلال مناولة الخبز والنبيذ يتم أتحاد المسيحي اتحادا كليا مع بشخص السيد المسيح[٤] .

جاء في إنجيل يوحنا:((أنا هو الخبز الحي الذي نزل من السماء. إن أكل أحد من هذا الخبز يحيا إلى الأبد. والخبز الذي أنا أعطي هو جسدي الذي أبذله من أجل حياة العالم ... من يأكل جسدي ويشرب دمي فله حياة أبدية، وأنا أقيمه في اليوم الأخير ... لأن جسدي مأكل حق ودمي مشرب حق ... من يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت في وأنا فيه ... كما أرسلني الآب الحي، وأنا حي بالآب، فمن يأكلني فهو يحيا بي . هذا هو الخبز الذي نزل من السماء. ليس كما أكل آباؤكم المن وماتوا. من يأكل هذا الخبز فإنه يحيا إلى الأبد))[٥].

---

(١) وول ديورانت ، ١٤/١٦- ١٥ .

(٢) ينظر: الديانة المسيحية ، نهى النجار ، ١١٣ .

(٣) ينظر: قصة الحضارة ، وول ديورانت ، ١٦/ ١٥ .

(٤) ينظر: الديانة المسيحية ، نهى النجار، ١١٣ .

(٥) انجيل يوحنا ، ٦ / ٥١-٥٨ .

يبدو أَنَّ تلك العقيدة في الديانة المسيحية لم تكتملْ صورتها النهائية ونشاتها إلا بعد توالي قرون عدة من بداية المسيحية ((ونشأت عقيدة حضور المسيح في أثناء العشاء الرباني نشأة بطيئة. وكانت الصياغة الرسمية الأولى لهذه العقيدة هي التي أذاعها مجلس نيقية في عام ٧٨٧... وأعلن مجلس لاتران في عام ١٢١٥ أن هذه العقيدة من المبادئ الأساسية في الدين المسيحي، وأضاف مجلس ترنت Trent إلى هذا القول في عام ١٢٦٠ أن كل جزيء من الخبز المقدس مهما كسر يحتوي جسم عيسى المسيح كله، ودمه، وروحه، وبهذه الطريقة تعظم الحضارة الأوروبية والأمريكية اليوم شعيرة من أقدم الشعائر في الأديان البدائية . وهي أكل الإله))[١].

يتحصل أَن أكل الخبز وتناول الخمر هو القربان الذي يقدمه المسيحي المذنب عن خطايا تكفيراً لها وتوبة منه لكون تناوله هذا العشاء قد عمل على امتزاج بين الاكل وبين المسيح وتعاليمه وبذلك قد امتزج مع المسيح فتغفر خطيئة .

المطلب الثالث: الاعتراف (الإقرار بجميع الذنوب أمام القسيس)

الاعتراف في المسيحية هو إقرار المذنب بخطيته لله أَمام القسيس مصحوبة بالندم بعدم الرجوع إلى المعصية لينال مغفرة الله بواسطة السلطان المعطى للكاهن من الله فينال به غفران خطاياه والتوبة عليه ، وهو أحد أركان الديانة وسر من أسرارها[٢].

ويعتقد المسيحيون أَنه لا يمكن دخول الجنة ونيل المغفرة إلا بعد إقرار الذنوب للقسيس وهذا الامتياز وهو غفران الذنوب وقبول التوبة من المسيحي جعلها الله بيد أَرباب الكنيسة من القساوسة والكهان على حسب زعمهم ، وكل ما يفعلونه في الأرض يفعله الله في السماء فأذا أذنب المسيحي فهم يقبلون منه التوبة ويتجاوزن عن سيئاته لكن ذلك مشروط باعترافه امامهم بذنوبه وفعاله[٣].

---

(١) قصة الحضارة ، وول ديورانت ، ١٩/١٤- ٢٠.

(٢) ينظر: التوبة في اليهودية والنصرانية والإسلام ، عادل محمد الحسيني ، ٥٩ .

(٣) ينظر: الخطيئة والتوبة بين اليهودية والمسيحية ، محمد احمد الخطيب ، ٢٧١ .

ويلي الاعتراف صك الغفران وهذا يعطى للشخص الذي اعترف امام القسيس بذنبه ، وصك الغفران هو دليل على غفران الذنوب التي ارتكبها طوال الفترة السابقة لاعترافه[١].

يقول وول ديورانت :((فإذا كانت عقائد الكنيسة تلقن الناس أنهم آثمون، فقد كانت تعرض عليهم وسائل تطهير أرواحهم حيناً بعد حين بأن يعترفوا بذنوبهم إلى قسيس، ويقوموا بمراسم للكفارات... أن المسيح غفر الخطايا، وأنه منح الرسل هذه القدرة نفسها قدرة (الربط والحل) . وتقول الكنيسة إن هذه القدرة قد انحدرت بالتوارث من الرسل إلى المطارنة الأولين، ومن بطرس إلى البابوات، ثم وهبها المطارنة إلى القسيسين في القرن الثامن واستبدلت بطريقة الاعتراف العلني التي جرت بها العادة في أيام المسيحية الأولى طريقة الاعتراف السري الفردي حتى لا تمس كرامة بعض الكبار... وقد قرر مجلس لاترن الرابع (١٢١٥) أن يتكرر الاعتراف والعشاء الرباني كل عام، وجعلهما من الواجبات الخطيرة، إذا أهملهما إنسان حرم من جميع صدمات الكنيسة ومن الدفن دفنة مسيحية. وأريد تشجيع من يريدون التوبة وحمايتهم فوضع (خاتم) على كل توبة بمفردها، ومعنى هذا الخاتم أنه لا يجوز لقس أن فشي ما أعترف له به. ونشرت منذ القرن الثامن قوائم تحدد الكفارة القانونية (التي قررتها الكنيسة) لكل مذنب))[٢].

ويقول أَحمد شلبي إِنَّ غفران الذنوب اصبح بدعة عجيبة فاذا أراد البابا أَنْ يبني كنيسة أَو يجمع مالا لشيء ما طبع صكوك الغفران وأمر بتوزيعها على مندوبيه في الأسواق لغرض بيعها وقد يترك اسم الشخص فارغ حتى يكتبون اسم من يشتري ذلك الصك وهذا صك الفغران يغفر لمن اشتراه من ذنوبه ما تقدم وما تأخر وبعبارة أخرى هو أُذن بارتكاب الخطايا بعد أَن منح الجنة بهذا الصك[٣]، ويشير وول ديورانت إلى هذا الفعل بالقول:((فقد بعثت الكنيسة ببعض رجال الدين، وكانوا في العادة من الرهبان ليجمعوا المال بأن يعوضوا على الراغبين صكوك الغفران نظير هبات يقدمها الطالبون، أو توبة من الذنوب، أو صلوات يؤدونها. وقد نشأ من هذه العروض التي يسميها الإنجليز "غافرات Pardoners" تنافس شديد جلل بالعار كثيراً من

---

(١) ينظر: التوبة في اليهودية والنصرانية والإسلام ، عادل محمد الحسيني ، ٥٩ .

(٢) قصة الحضارة ، ١٥/١٦-١٦ .

(٣) ينظر: المسيحية ، احمد شلبي ، ٢٥٥ .

المسيحيين، فكانوا يتظاهرون بتعظيم بعض الآثار الدينية المزورة ليحملوا الناس على التبرع بالمال؛ وكانوا يحتفظون لأنفسهم من هذه الأموال بقسط قليل أو كثير))[١] .

إضافة على استخدامه لقضايا مادية من قبل الكنيسة فكان أَيضاً يستخدم ((لتحقيق أغراض سياسية، وذلك حين كان القساوسة مثلاً يأبون أن يغفروا للذين يناصرون الأباطرة على البابوات . وكان يستخدم أحياناً في محاكم التفتيش كما حدث حين أمر القديس شارل برميو St. Charles Perromeo (١٥٣٨ – ١٥٨٣) رئيس أساقفة ميلان قساوسته أن يطلبوا إلى من يأتونهم للتوبة على أيديهم أن يخبروهم بأسماء كل من يعرفونهم من الملحدين أو ممن تحوم حولهم شبهة الإلحاد))[٢].

استغل الاعتراف كذلك من بعض القساوسة والقائمين في قضايا لا أخلاقية مع النساء خصوصاً، يقول أَحمد شلبي:((وفي خلوات الاعتراف حدثت أشياء يقشعر لها الوجدان ... وقد نشرت المجلة المسيحية رسالة الحياة صوراً من ذلك يندي لها الجبين وذكرت احداث محددة اعتدى فيها رجال الدين او حاولوا العدوان على المعترفات))[٣].

اذا أن الكنيسة أعطت لنفسها الحق أَن تعفو عن الخطايا والذنوب واشتهرت صكوك الغفران في أوروبا وكانت تعطي لمن أراد مقابل مبلغ من المال ، ولعل نص الصك يعطي صورة واضحة عنه : ((ربنا يسوع المسيح يرحمك يا فلان[يكتب اسم صاحب الصك]، ويحلك باستحقاقات آلامه الكلية القداسة، وأنا بالسلطان الرسولي المعطي لي أحلك من جميع القصاصات، والأحكام والطائلات الكنسية التي استوجبتها، وأيضاً من جميع الإفراط والخطايا والذنوب التي ارتكبتها مهما كانت عظيمة وفظيعة، ومن كل علة، وإن كانت محفوظة لأبينا الأقدس البابا، والكرسي الرسولي، وأمحو جميع أقذار المذنب وكل علامات الملامة التي ربما جلبتها على نفسك في هذه الفرصة، وأرفع القصاصات التي كنت تلتزم بمكابدتها في المطهر وأردك حديثاً إلى الشركة في أسرار الكنيسة وأقرنك في شركة القديسين، وأردك ثانية إلى الطهارة والبر اللذين كانا عند

([١]) قصة الحضارة ، ١٨/١٦ .

([٢]) المصدر نفسه ، ١٦/١٦ .

([٣]) المسيحية ، احمد شلبي ، ٢٥٦ .

معموديتك، حتى إنه في ساعة الموت يغلق أمامك الباب الذي يدخل منه الخطاة إلى محل العذاب والعقاب، ويفتح الباب الذي يؤدي إلى فردوس الفرح، وإن لم تمت سنين مستطيلة فهذه النعمة تبقى غير متغيرة، حتى تأتي ساعتك الأخيرة باسم الأب والابن والروح القدس))[١].

وقد أَخذ رجال الدين المسيحي حق اخذ اعتراف المذنب أَمامهم من قرارات المجمعات الدينية فقد منح البابا سلطان غفران الذنوب فقد قرر مجمع روما المنعقد في عام (١٢١٥م) أن الكنيسة تملك حق الغفران وتمنحه لمن تشاء وتحرمه ممن تشاء وباشر رجال الكنيسة هذه السلطة وتوسعوا بها فاخذوا يبيعون صكوك الغفران وقرارات الحرمان وشاء بين المسيحيين ان الله يغفر لمن يرضى عنه آباء الكنيسة الامر الذي أدى إلى انتشار صكوك الغفران وذاعت ممارستها كل الكنائس فكان على المذنب ان يدفع قدرا من المال لكي يغفر له ذنوبه[٢].

يتحصل أن المسيحية جعلت من الكنيسة الواسطة بين العبد وربه ، فالكنيسة هي التي تحمل اسرار التوبة والغفران ، واقامت من أجل ذلك شبكة من طقوس التوبة والغفران لتوسيع سلطتها على الناس حتى يبقى المسيحي تحت نفوذها ولا يتمرد عليها لأنها تملك حق التوبة والغفران من جهة ومن جهة الطرد والحرمان من الجنة.

دفعت تلك الصلاحيات الواسعة للكنيسة والاستغلال الديني الذي تمارسه على اتباعها إلى حركة اصلاح ديني بقيادة (مارتن لوثر) بالثورة على تلك الأوضاع وكان من أهم انتقاداتهم هي مسالة المناولة (العشاء الرباني) وموضوع غفران الذنوب ، اذا اعتبر أصحاب الثورة الأول أسطورة وليست حقيقة لا يمكن للعقل أَن يتقبلها والثاني أن الغفران هو حق من حقوق الله وليس لرجال الكنيسة أي حق في التوبة والغفران ، فلا يغفر الذنوب الا الله[٣].

---

(١) محاضرات في النصرانية ، محمد أبو زهرة ، دار الفكر العربي ، ط٣، القاهرة ١٩٦٦م ، ١٧٢ .

(٢) ينظر: الخطيئة والتوبة بين اليهودية والمسيحية، محمد أحمد الخطيب ، ٢٧٢ .

(٣) ينظر: المصدر نفسه ، ٢٧٢ .

الخلاصة

إن التوبة والتخلص من الخطيئة في الديانة المسيحية مر في ثلاث مراحل:

الأولى: الخلاص العام من الخطيئة الأولى التي لصقت بالبشرية جراء الخطأ الذي حصل من آدم ، وجاء الخلاص العام بفداء السيد المسيح نفسه لأجل خلاص البشرية من تلك الخطيئة .

الثانية: الخلاص وقبول التوبة بمغفرة الكنيسة لمن تشاء على أي وجه ترضاه ويعد صك الغفران نموذجاً لذلك الفعل.

الثالثة: الخلاص من الذنب بالاعتراف تفصيلاً أمام احد القساوسة .

خلاصة الفصل الثاني

١) إنَّ الديانة المسيحية الحالية هي ديانة من صياغة بولس ، وهي تتعارض مع وصايا المسيح ، وهناك فرق بين الرسالة التي جاء بها المسيح (عليه السلام)، والديانة المسيحية فالمسيحية ديانة مبتدعة من بولس ورجال الدين المسيحي.

٢) الديانة المسيحية هي خليط من أفكار وثنية وفلسفة وقانون روماني واديان شرقية اندمجت مع بعضها لتشكل ما يسمى الفكر والعقيدة المسيحية.

٣) إنَّ للزمان المكان الذي ظهرت فيه المسيحية أثر من حيث شَكلَ منطلق مثالي هيأ لها أسباب النجاح والانتشار وذلك بحكم ظهورها في فلسطين الذي يعتبر الموطن لأَهم الديانات الشرقية .

٤) تزامن ظهور المسيحية مع حالة الفراغ الروحي التي كانت تسود الإمبراطورية الرومانية وذلك لعجز الأديان الوثنية المنتشرة فيها مع الجانب الروحي عكس المسيحية التي احتوت جانب روحي ونفسي جيد لاتباعها .

٥) إنَّ التحديات التي تعرضت لها المسيحية إنعكست على عقائدها وكان تعرضها للاضطهاد له اثر كبير في صياغة عقائدها وثوابتها حيث تغيرت ثوابتها طبقاً للوضع السياسي التي تواجهه.

٦) إنَّ المسيحية بدأت مشتتة، ونشأت فرق متناحرة وعبادات متناقضة وقام الباباوات بتكوينها عبر المجامع والانقسامات ، وإن أعتراف قسطنطين بها ساعد على أنتشارها

٧) يشترك المسيحيون مع اليهود في العهد القديم ولكنهم يضيفون إليه سبعة أسفار لا تعترف بها اليهودية ، والعهد الجديد أَسفاره خاصة للمسيحية وأسفار العهد الجديد كتب لا يعرف كتابها بوجه الدقة ولم يصرح كتابها بأَنها موحى بها من الله .

٨) أسفارُ المسيحية هي كتب قدسها البشر ومنحوها صفة القداسة عبر المجامع التي قبلت من ترغب به من الأَسفار ورفضت من لا تلائم مع توجهها. لا يوجد في المسيحية أي انجيل للنبي عيسى فالأَناجيل الأربع هي لتلاميذه ورسله ، وقد دونت هذه الأَناجيل بعد رسائل بولس.

٩) تشكل كتب العهدين القديم والجديد أهم مصدر من مصادر الفكر والعقيدة في المسيحية وتعتبر المجاميع الكنيسية المصدر الثاني للعقيدة المسيحية .

١٠) إن التوبة والتخلص من الخطيئة في الديانة المسيحية مر في ثلاث مراحل: الأولى: الخلاص العام من الخطيئة الأولى التي لصقت بالبشرية جراء الخطأ الذي حصل من آدم ، وجاء الخلاص العام بفداء السيد المسيح نفسه لأجل خلاص البشرية من تلك الخطيئة . الثانية: الخلاص وقبول التوبة بمغفرة الكنيسة لمن تشاء على أي وجه ترضاه ويعد صك الغفران نموذجاً لذلك الفعل. الثالثة: الخلاص من الذنب بالاعتراف تفصيلا أمام احد القساوسة .

١١) أن المسيحية جعلت من الكنيسة الواسطة بين العبد وربه ، فالكنيسة هي التي تحمل اسرار التوبة والغفران ، واقامت من أجل ذلك شبكة من طقوس التوبة والغفران لتوسيع سلطتها على الناس حتى يبقى المسيحي تحت نفوذها ولا يتمرد عليها لأنها تملك حق التوبة والغفران من جهة ومن جهة الطرد والحرمان من الجنة، أي: أن الكنيسة أعطت لنفسها الحق ان تعفو عن الخطايا والذنوب.

١٢) تعتقد المسيحية أَنَّ السيد المسيح قدم نفسه فداء للبشرية وهو بفعله ذلك قد رفع الخطيئة الأولى على البشرية وكفر عنهم الذنب وبذلك تخلصت البشرية من الذنب الذي جلبها له

ابيها آدم وتوارثته بعده البشرية وقد انتهت هذه الخطيئة بفداء المسيح ولكن بقيت الخطايا والآثام التي يرتكبها الناس بعد المسيح .

الفصلُ الثَّالث

التوبة في الرؤيةِ الإسلامية

- المبحثُ الأوَّلُ: المبحثُ الأوَّلُ: التوبة في الرؤية القرآنية.

- المبحثُ الثَّاني: التوبة في نصوص السنة .

- المبحثُ الثالث: التوبة بين اليهودية والمسيحية والإسلام .

الفصل الثالث : التوبة في الرؤيةِ الإسلامية

توطئة: يظهر أثر الدين في ثقافات المجتمعات بدرجات متفاوتة ، إذ يمكننا أنّ نعثر على آثار الدين الظاهرة والمضمرة في أشكال الإبداع الفني والادبي المختلفة ، وفي التعبير الجمالي وفي انماط التفكير والانتاج الثقافي المتنوعة . الدين مفتاح دراسة شخصية المجتمعات وبوصلة قراءة خارطة الثقافات ، والشفرة الكاشفة عن كيفية ولادة وتطور كل مجتمع وثقافة ...

يتحقق التدين في حياة الانسان على مستويات ، ولعل أهمها ، ذلك التدين العميق الذي تمتلىء به الروح ، ويقيم افعاله وانفعالاته وامتثالاته ويعيد النظر فيها بطريقة موضوعية تستعيد الشخصية وترمم الروح والضمير الاخلاقي وتغذية بالفضائل ، وترجعه الى الصواب عند الوقوع ضحية الجهل والخرافة والهوى .

إنَّ تكريس هذا المستوى من التقييم الذاتي والموضوعي والذي نعبر عنه بالتوبة لدى الانسان سيعيده عن الاعلان في أقواله وافعاله للناس ، ليس لأنه يحتاج الى الاعتراف الذي يحتاجه كل أنسان ، بوصف الاعتراف أحد منابع المعنى في الحياة ، فضلًا عن أنه يمثل حاجة وحافزًا مهمًا لكل فعلٍ وقولٍ في حياة الكائن البشري ، بل لأن احتياج الانسان هنا للاعتراف يشبهه منبع بديل ، عندما يصل الى محطات سفره الوجودي الى الحق تشكل أعزر منبع للمعنى والاعتراف به[1].

ومتى نقف على رؤية الإسلام لهذا التقييم والرجوع للمعنى ، وتمثلاته وضوابطه نجعل هذا الاشتغال في مبحثين :

المبحث الاول: التوبة في الرؤية القرآنية

المبحث الثاني: التوبة في نصوص السنة .

([1]) ينظر: الدين والاغتراب الميتافيزيقي ، عبد الجبار الرفاعي ، ١١٣-١١٥ .

المبحثُ الأوَّلُ

(التوبة في الرؤية القرآنية)

المطلب الأول: مفهوم التوبة القرآنية ودلالتها

المطلب الثاني: أنواع التوبة بالرؤية القرآنية

المطلب الثالث: التوبة النصوحة ووجوبها

المطلب الرابع: التوبة مطوقة بقبول الله

المبحث الاول: التوبة في الرؤية القرآنية

مدخل:((القرآن الكريم كتاب تسري فيه روح واحدة ، مضامنة تتوحد في نسيج عضوي متماسك ، يسوده نظام كلي ، يتطلب فهمه أن نكشف المنطق الذاتي الذي يتحدث فيه القرآن عن نفسه ، ففي القرآن تتحدث كل فكرة ومفهوم ومقولة للأخرى ... والقرآن كتاب تحيل فيه الفروع على الاصول ، والجزئيات على الكليات ، والصغريات على الكبريات))[١].

لذلك نحن بحاجة الى أن نقف على مجمل الآيات القرآنية التي عرضت للتوبة بتمثلاتها لنكشف الرؤية القرآنية للتوبة ، ولذلك نجعل هذا المبحث بالمطالب الآتية:

المطلب الاول: مفهوم التوبة القرآنية ودلالتها

تعني التوبة في القرآن الكريم رجوع المذنب ، وتعني كذلك توفيق التوبة من الله تعالى ، والتوبة هي من الله الى العبد الخاطىء وتعني قبولها من الله تعالى[٢].

والتوبة تنسب للعبد تارة والى الباري (عز وجل) تارة اخرى ، وعند انتسابها الى العبد يقصد بها رجوعه الى ربه عن المعصية الى الطاعة ، نادما مستغفرا ذنبه ، وأما انتسابها إلى الله تعالى فالمراد به رجوعه على عبده من العقوبة الى العفو واللطف والتفضيل عليه بقبول توبته والصفح عن زلته ، وقد ذكر القران الكريم كلا المعنيين للتوبه في آيات عدة منها قوله تعالى ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ ﴾ [التوبة: ١١٧][٣].

---

(١) الدين والاغتراب الميتافيزيقي ، عبد الجبار الرفاعي، ٢٤.

(٢) ينظر: التوبة في القرآن الكريم والصحيفة السجادية(بحث)، مينا شمخي، سيد يوسف محفوظي موسي، مجتبى رسايي ، منشور في مجلة ابحاث ميسان ، المجلد الثامن عشر ، العدد الخامس والثلاثون ، ٢٠٢٢، ٤٦.

(٣) ينظر: التوبة والتائبون، مهدي الفتلاوي، ط١، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، بيروت، ١٩٥٨م ، ٨٩.

ورد لفظ التوبة في القرآن الكريم في سبع وستين آيةً[1] ، وجاء اللفظ في سبع وثمانون مرة ، حيث جاء في أربع وعشرين موضعاً بصيغة الاسم ، وجاء ثلاث وستين مرةً بصيغة الفعل[2].

والآيات القرآنية التي تناولت التوبة كثيرة ومتعددة منها ما شرحت التوبة ومنها ما اشاراتْ الى فضلها والترغيب فيها والوعيد لمن تركها ومنها الآيات التي تناولت التوبة بالتحليل والتعريف وهي على ثلاث أقسام :

القسم الأول: وهذا القسم من الآيات القرآنية يعرف التوبة تعريفًا مباشرًا مستخدم الفاظها مثل قوله ﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴾ [النساء: ١٧]. وقوله تعالى ﴿ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۖ كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَۖ أَنَّهُۥ مَنۡ عَمِلَ مِنكُمۡ سُوٓءَۢا بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [الأنعام: ٥٤] . ومثلها في سورة النحل ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [النحل: ١١٩] ، وقد تجلت الفكرة القرآنية عن الخطيئة والتوبة في قوله تعالى ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ٣٧] . قال المفسرون إن الخطيئة في الإسلام فردية وعليه فالتوبة فردية فهي تصور واضح بسيط جاء فيه القرآن لا لبس فيه ولا تعقيد ، وليست هناك خطيئة مفروضة على الانسان قبل مولده تحملها من ابيه آدم كما صورتها المسيحية ، والخلاص من الخطيئة في الاسلام تكون مباشرة بدون واسطة[3].

القسم الثاني: تعرض للتوبة بشكل عام وبألفاظ التوبة ، كما في قوله ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَعۡفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ ﴾ [الشورى: ٢٥]. وقوله تعالى ﴿ ٱلتَّـٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ﴾ [التوبة: ١١٢] . وقوله ﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴾ [غافر: ٣]. ومثل قوله ﴿ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابٗا ﴾ [

---

(1) ينظر: معجم الفاظ القران الكريم ، مجمع اللغة العربية ، ط٢، ١٤٠٩هـ – ١٩٨٨م ، ١/ ٨٤.

(2) ينظر: التوبة وأثرها في الفرد والمجتمع(رسالة ماجستير)/ وسام عباس حسان خضر / مقدمة الى جامعة محمد بن سعود ، السعودية ، ١٩٨٣م / ٤٢ .

(3) ينظر: في ظلال القران، سيد قطب ، ٦١/١ ، الميزان ٥٩/٤ .

الفرقان: ٧١]. وقوله ﴿ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٢٧]. ومثله كثير من آيات القرآن[١].

القسم الثالث: هي الآيات التي تدل على التوبة وتعرضت إليها بألفاظ تدل عليها من غير مشتقاتها وهي الإنابة والاستغفار والرجوع .

اولا: الإنابة: جاءت بمعنى التوبة كما في قوله تعالى ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦۚ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَنۡ أَنَابَ ﴾ [الرعد: ٢٧]. يقول الطوسي(ت٤٦٠هـ):" وقوله (ويهدي اليه من أناب) أي يحكم لمن رجع إلى طاعة الله والعمل بها بالجنة ويهديه اليها... والانابة الرجوع إلى الحق بالتوبة، يقال: ناب ينوب نوبة اذا رجع مرة بعد مرة "[٢].

وفي قوله تعالى﴿ وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ [لقمان: ١٥] . جاء قوله من أناب بمعنى التوبة والعودة إلى الله أي انعطف ورجع إليه[٣]. وفي قوله تعالى ﴿ مُنِيبِينَ إِلَيۡهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ [الروم: ٣١].

إن الإنابة هي الرجوع إلى الله تعالى بالتوبة ، اذا فهي توبة ولكنها جاءت بلفظ غير لفظ التوبة[٤] قال الرازي(ت٦٠٦هـ) :((من أناب، أي يهدي إلى جنته من تاب وآمن قال وهذا يبين أن الهدى هو الثواب من حيث أنه عقبه بقوله : (من أناب) أي تاب والهدى الذي يفعله بالمؤمن هو الثواب ، لأنه يستحقه على إيمانه ، وذلك يدل على أنه تعالى إنما يضل عن الثواب بالعقاب ... (أناب) أي أقبل إلى الحق وحقيقته دخل في نوبة الخير))[٥]، وذهب الطاهر بن عاشور الى

---

(١) ظ: التبيان ، الطوسي ، ١٦٧/١ ، ٣٠١/٥ ، مجمع البيان ، الطبرسي ، ٣٤١/١ ، الميزان، الطباطبائي ، ٢٢٤/٩.

(٢) التبيان، الطوسي، ٢٤٤/٦ .

(٣) ينظر: الميزان، محمد حسين الطباطبائي ، ٣٣/٧ .

(٤) ينظر: في ظلال القران ، سيد قطب ، ٤٩٠/٥، الميزان ، الطباطبائي ، ١٧٨/١١، الامثل ، ناصر مكارم الشيرازي ، ٣٤٥/١١ .

(٥) مفاتيح الغيب ، ١٧٨/٩

القول :" أناب إذا رجع ، وهو مشتق من النوب وهو النزول . والمراد التّوبة من التقصير ، أي محاسب نفسه على ما يَحذر منه . وحقيقة الإنابة : الرجوع إلى الشيء بعد مفارقته وتركه "[1].

ثانيا: الاستغفار : الآيات التي جاءت بالاستغفار المراد به التوبة ، كما في قوله تعالى ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء: ١١٠]. الاستغفار جاء هنا بمعنى التوبة كما يشير الى ذلك الطوسي بقوله: " من يعمل ذنبا، وهو السوء، أو يظلم نفسه باكتساب المعاصي التي يستحق بها العقوبة " ثم يستغفر الله " يعني يتوب اليه مما عمل من المعاصي "[2].

وفي قوله تعالى﴿ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء: ٦٤] . أي تائبين مقبلين عليك مؤمنين بك[3].

وقوله ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٣٥]. ويكثر في القران الكريم اقتران الاستغفار بالتوبة منه قوله تعالى ﴿ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ ﴾ [هود: ٣] ، وجاء الاستغفار معطوفا على التوبة مثل قوله ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [المائدة: ٧٤][4].

ثالثا: الرجوع : إن الرجوع عن المعاصي هو شاهد من شواهد التوبة ، وجاء في القرآن الكريم حكاية عن بني اسرائيل في قوله تعالى ﴿ وَقَطَّعْنَٰهُمُ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا مِّنْهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الأعراف: ١٦٨]. قال الطبرسي(ت٥٤٨هـ):((أي لكي يرجعوا إلى الله تعالى و ينيبوا إلى طاعته و امتثال أمره و متى قيل كيف يصح الرجوع إلى أمر لم يكونوا عليه قط فالقول فيه أن الذاهب عن الشيء قد يقال له ارجع إليه أصر أي

([1]) التحرير والتنوير ، ١٧٢/٧ .

([2]) التبيان ، ٣١٨/٣ .

([3]) ينظر: مجمع البيان ، الطبرسي ، ١٠٤/٣.

([4]) ينظر: التوبة واثرها في الفرد والمجتمع ، ٤٦ .

صر إليه كما أن من رأى غيره سالكا في المهالك قد يقول له ارجع إلى الطريق المستقيم يريد به إخراجه عن المهالك و قيل إن معناه لعلهم يرجعون إلى ما عليه أصل الفطرة))[1].

وفي قوله ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الروم: ٤١]. قيل في معنى يرجعون هو عودتهم من المعاصي بالتوبة الى الله تعالى[2] ، وكذلك تكرر الرجوع على هذا المنوال في آيات اخر[3].

المطلب الثاني: أنواع التوبة في بالرؤية القرآنية

والتوبة في القرآن الكريم ، تناولت طبقات العباد المختلفة منهم طبقة الظالمين وطبقة المؤمنين وطبقة الانبياء ، يتناول البحث الطبقات الثلاث والآيات القرآنية التي تناولت توبة كل طبقة منهم.

المقصد الاول: توبة الظالمين

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء: ١١٠] . قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[المائدة: ٣٩]. جاء في التفسير الامثل:((أن باب التوبة مفتوح أمام المسيئين على كل حال، فإذا ارتكب أحد ظلماً بحقّ نفسه أو غيره، وندم حقيقة على فعلته، أو استغفر الله لذنبه، وكفّر عن خطيئته فيجد الله غفوراً رحيماً))[4].

إن القران الكريم يعلن أَن باب التوبة مفتوح لكل ابناء آدم من المذنبين ، فلا يختص قبولها بطبقة دون اخرى سواءً أكانت تلك الطبقة تمثل رجال الدين ام اصحاب الأَموال من الاغنياء ، كما لا يحدد الاسلام قبول التوبة بمكان دون اخر ، فالتوبة مقبولة في الاسلام سواء اعلنها المذنب في البين أَو المسجد أَو الشارع أَو اثناء العبادة او غيرها المهم انها تتصف بالشروط الشرعية المطلوبة ، وليس من شروط قبولها أَنْ تعلن امام رجل الدين ، وفي الاسلام بامكان أي رجل أَنْ يصبح رجل دين ، ولا يوجد في الاسلام شخص يمثل الله في الارض حتى لو كان من علماء

---

(1) مجمع البيان ، ٢٤٢/٤.

(2) ينظر: مجمع البيان ، ٥٨/٨.

(3) سورة الاعراف : ١٧٤، سورة الانبياء:٩٥ ، سورة الزخرف:٤٨ ، سورة الاحقاف :٢٧.

(4) ناصر مكارم الشيرازي ، ٤٣٩/٣ .

الدين مهما بلغت درجته الاجتهادية والعلمية ، فلا داعي أَنْ يعترف المذنب أَمام احد من الناس[١].

وباب التوبة مفتوح لكل من عصى الله إذا توفرت شروطها، جاء في تفسير العياشي" عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): ما من عبد أذنب ذنبا فقام وتوضأ واستغفر الله من ذنبه إلا كان حقيقا على الله أن يغفر له"[٢].

قال الطبرسي:((بين تعالى طريق التلافي والتوبة مما سبق منهم من المعصية فقال (ومن يعمل سوءا) أي معصية أو أمرا قبيحا (أو يظلم نفسه) بارتكاب جريمة و قيل يعمل سوءا بأن يسرق الدرع أو يظلم نفسه بأن يرمي بها بريئا و قيل المراد بالسوء الشرك و بالظلم ما دون الشرك (ثم يستغفر الله) أي يتوب إليه و يطلب منه المغفرة (يجد الله غفورا رحيما) ثم بين الله تعالى أن جريمتهم و إن عظمت فإنها غير مانعة من المغفرة و قبول التوبة إذا استغفروا و تابوا (ومن يكسب إثما فإنما يكسبه على نفسه) ظاهر المعنى ونظيره لا تكسب كل نفس إلا عليها من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها (وكان الله عليما) بكسبه (حكيما) في عقابه))[٣].

الآية تفتح باب التوبة على مصراعيه ، وباب المغفرة على سعته؛ وتطمع كل مذنب تائب في العفو والقبول وان الله سبحانه موجود للمغفرة والرحمة حيثما قصده مستغفر منيب ، والذي يعمل السوء يظلم غيره ، ويظلم نفسه ، وقد يظلم نفسه وحدها إذا عمل السيئة التي لا تتعدى شخصه ، وعلى أية حال فالغفور الرحيم يستقبل المستغفرين في كل حين؛ ويغفر لهم ويرحمهم متى جاءوه تائبين وهكذا بلا قيد ولا شرط ولا حجاب ولا بوّاب! حيثما جاءوا تائبين مستغفرين وجدوا الله غفوراً رحيما[٤].

ذهب المفسرون أن توبة الظالم لا تسقط عنه العقوبة التي اقرها الشرع ، ومنها استرداد حقوق الناس وغيرها من شروط وضعها الشارع المقدس[٥] ، وعقوبة الظالم هي الغاية منها ارجاعه الى

---

(١) ينظر: التوبة والتائبون، مهدي الفتلاوي ، ٩٥ .
(٢) العياشي ، ٢١٢/١ .
(٣) مجمع البيان ، ١٦٤/٣ .
(٤) ينظر: في ظلال القران ، سيد قطب ، ٢٣٦/٢ .
(٥) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ، ١٦٦/٦ .

طريق الحق " أي لما كان القطع نكالا يراد به رجوع المنكول به عن معصيته فمن تاب من بعد ظلمه توبة ثم أصلح ولم يحم حول السرقة – وهذا أمر يستثبت به معنى التوبة – فإن الله يتوب عليه ويرجع إليه بالمغفرة والرحمة لأن الله غفور رحيم "[1].

يتحصل أَن الله تعالى قد فتح بابَ التوبة لمن ارتكب المعصية وظلم نفسه .

المقصد الثاني: توبة المؤمنين

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَ أَنَّهُۥ مَنۡ عَمِلَ مِنكُمۡ سُوٓءَۢا بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [الأنعام: ٥٤]. قال محمد حسين الطباطبائي:" إن الآية – وهي من آيات التوبة – إنما تتعرض للتوبة عن المعاصي والسيئات دون الكفر والشرك بدليل قوله: (من عمل منكم) أي المؤمنين بآيات الله "[2].

قال تعالى: ﴿ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ وَٱلۡمُشۡرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴾ [سورة الأحزاب: ٧٣] ، أي بمخالفتهم الأمانة ونقضهم العهد ، ليعذب الله بعض أفراده الذين لم يراعوها ولم يقبلوها بالطاعة[3].

(وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ) ثم صنف المؤمنين والمؤمنات الذين أيقنوا أن الله حق فأطاعوه ، قال الطوسي:((بحفظهم الأمانة و وفائهم و هذا هو الغرض بالتكليف عند من عرف المكلف و المكلف فالمعنى أنا عرضنا ذلك ليظهر نفاق المنافق و شرك المشرك فيعذبهم الله و يظهر إيمان المؤمن فيتوب الله عليه إن حصل منه تقصير في بعض الطاعات))[4].

(وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً) ، أي: كثير المغفرة والرحمة للمؤمنين من عباده إذا قصروا في شيء كما يجب عليهم [5].

---

(1) الميزان ، الطباطبائي ، ١٨٩/٥ .

(2) الميزان ، ٥٤/٧ .

(٣) ينظر: معالم التنزيل ، ١٦٦/٥.

(4) التبيان ، ١٦٨/٨ .

(٥) ينظر: فتح القدير، الشوكاني ، ٣٨٦/٤.

يقول محمد حسين الطباطبائي:((... يتوب الله على المؤمنين والمؤمنات، والتوبة من الله هي رجوعه إلى عبده بالرحمة فيرجع إلى الإنسان إذا آمن به ولم يخن بالرحمة ويتولى أمره وهو ولي المؤمنين فيهديه إليه بالستر على ظلمه وجهله وتحليته بالعلم النافع والعمل الصالح لأنه غفور رحيم))[1]. يتحصل أَنَّ الله تعالى يتوب على المؤمنين رحمة منه ومغفرة .

المقصد الثالث: توبة الأنبياء

وكذلك أشار القرآن الكريم الى توبة الانبياء في آيات عدة منها: ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ٣٧]. إن التوبة في التعبير القرآني، بمعنى العودة عن الذنب، إن نُسبت إلى المذنب. وإن نسبت كلمة التوبة إلى الله فتعني عودته سبحانه إلى الرحمة التي كانت مسلوبة عن العبد المذنب. ولذلك فهو تعالى(توّاب) في التعبير القرآني ، وبعبارة اُخرى (توبة) العبد عودته إلى الله، لأن الذنب فرار من الله والتوبة رجوع إليه. وتوبة الله، إغداق رحمته على عبده الآيب ، صحيح أن آدم لم يرتكب محرّماً، ولكن ترك الأَولى يعتبر معصية منه ، ولذلك سرعان ما تدارك الموقف، وعاد إلى خالق [2]. ويشير صاحب الميزان إلى هذه المسالة بالقول :" ظاهر الآيات في بادي النظر وإن كان تحقق المعصية والخطيئة منه (عليه السلام) كما قال تعالى: فتكونا من الظالمين، وقال تعالى: وعصى آدم ربه فغوى الآية، وكما اعترف به فيما حكاه الله عنهما: "ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين الآية. لكن التدبر في آيات القصة والدقة في النهي الوارد عن أكل الشجرة يوجب القطع بأن النهي المذكور لم يكن نهيا مولويا وإنما هو نهي إرشادي يراد به الإرشاد و الهداية إلى ما في مورد التكليف من الصلاح والخير لا البعث والإرادة المولوية "[3].

وكذلك في قوله تعالى :﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلۡعُسۡرَةِ مِنۢ بَعۡدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٖ مِّنۡهُمۡ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١١٧ ﴾ [التوبة: ١١٧].

([1]) الميزان ، الطباطبائي ، ١٧٨/١٦.

([2]) ينظر: الامثل ، ناصر مكارم الشيرازي ، ١٧٥/١

([3]) الميزان ، ٧٦/١ .

إن ورود الإنسان((منزلة الكرامة واستقراره في مستقر السعادة يتوقف على انصرافه عما هو فيه من مهبط الشقاء ومنحط البعد وانقلاعه عنه برجوعه إلى ربه، و و توبته إليه في أصل السعادة وهو الإيمان، و في كل سعادة فرعية وهي كل عمل صالح أعني التوبة والرجوع عن أصل الشقاء وهو الشرك بالله سبحانه، وعن فروعات الشقاء وهي سيئات الأعمال بعد الشرك، فالتوبة بمعنى الرجوع إلى الله والانخلاع عن ألواث البعد والشقاء يتوقف عليها الاستقرار في دار الكرامة بالإيمان، والتنعم بأقسام نعم الطاعات والقربات، و بعبارة أخرى يتوقف القرب من الله ودار كرامته على التوبة من الشرك ومن كل معصية، قال تعالى: و توبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون: – النور: ٣١، فالتوبة بمعنى الرجوع إلى الله تعم التوبتين جميعا بل تعمهما وغيرهما))[١].

ثم إن الإنسان لما كان فقيراً في نفسه لا يملك لنفسه خيرا ولا سعادة قط إلا بربه كان محتاجا في هذا الرجوع وهو عناية ربه بأمره، و إعانة منه له في شأنه فيحتاج رجوعه إلى ربه بالعبودية والمسكنة إلى رجوع من ربه إليه بالتوفيق والإعانة، وهو توبة الله سبحانه لعبده المتقدمة على توبة العبد إلى ربه وكذلك الرجوع إلى الله سبحانه يحتاج إلى قبوله بمغفرة الذنوب وتطهيره من القذارات وألواث البعد[٢].

يقول محمد حسين الطباطبائي:((وإذا تأملت حق التأمل وجدت أن التعدد في توبة الله سبحانه إنما عرض لها من حيث قياسها إلى توبة العبد، و إلا فهي توبة واحدة هي رجوع الله سبحانه إلى عبده بالرحمة، و يكون ذلك عند توبة العبد رجوعا إليه قبلها و بعدها، و ربما كان مع عدم توبة من العبد كما تقدم استفادة ذلك من قوله: و لا الذين يموتون و هم كفار، و أن قبول الشفاعة في حق العبد المذنب يوم القيامة من مصاديق التوبة و من هذا الباب قوله تعالى: "و الله يريد أن يتوب عليكم و يريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما". وكذلك القرب و البعد لما كانا نسبيين أمكن أن يتحقق البعد في مقام القرب بنسبة بعض مواقفه ومراحله إلى بعض، ويصدق حينئذ معنى التوبة على رجوع بعض المقربين من عباد الله الصالحين من موقفه

---

(١) الميزان ، الطباطبائي ، ٦٣/٤ .

(٢) ينظر: المصدر نفسه ، ٦٣/٤.

الذي هو فيه إلى موقف أرفع منه وأقرب إلى ربه، كما يشهد به ما يحكيه تعالى من توبة الأنبياء وهم معصومون))[1].

وعلى وفق هذا المعنى الذي بينه الطباطبائي يمكننا أن نفهم الآيات القرآنية التي تتحدث عن توبة الانبياء ، كقوله تعالى:﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ٣٧] وقوله تعالى: ﴿ وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ وَإِسۡمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ١٢٧ رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ١٢٧ – ١٢٨]. وقوله تعالى: حكاية عن موسى (عليه السلام): ﴿ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [الأعراف: ١٤٣] ،وقوله تعالى خطابا لنبيه محمد (صلى الله عليه وآله وسلم): ﴿ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ ﴾ [غافر: ٥٥] ، وقوله تعالى: ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ ﴾ [التوبة: ١١٧].

إنَّ نشر الرحمة من الله سبحانه وتعالى على عبده لمغفرة ذنوبه ، وإزالة المعاصي عن قلبه، سواء في ذلك الشرك وما دونه ، توبة منه تعالى لعبده وأن رجوع العبد إلى ربه لمغفرة ذنوبه وإزالة معاصيه سواء في ذلك الشرك وغيره توبة منه إلى ربه ، وأن من الواجب في الدعوة الحقة أن تعتني بأمر المعاصي كما تعتني بأصل الشرك، وتندب إلى مطلق التوبة الشامل للتوبة عن الشرك والتوبة عن المعاصي[2].

ويتحصل أن توبة الانبياء ليست عن ذنوب ارتكبوها بل من أصل واجتنابهم اياه .

المطلب الثالث: التوبة النصوحة ووجوبها

حَثَ القرآن الكريم على التوبة في مواضع، كما في قوله تعالى:﴿ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٞ وَدُودٞ ﴾ [هود: ٩٠] وقوله ، ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٣١ ﴾[النور: ٣١] وقوله ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسۡتَغۡفِرُونَهُۥۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [

([1]) الميزان ، محمد حسين الطباطبائي ، ٦٣/٤ .

([2]) ينظر: المصدر نفسه ، ٦٤/٤ .

المائدة: ٧٤] ، فهذه الآيات فيها حثّ على التوبة والاستغفار، مهما كَبُر الذنب أو صَغُر، ومهما كان الإنسان، عادياً أو من الأولياء الصالحين، وغيرهم. وآيات التوبة التي وردت في القرآن كثيرة وعديدة، نقتصر منها على أربع آيات؛ لأهميّتها، ووجود نكات دقيقة فيها:

الآية الأولى: قوله تعالى﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴾ [النساء: ١٧].

اختلف بين المفسرين في المراد بالجهالة على ثلاثة أقاويل هي الاول: أن كل ذنب أصابه الإنسان فهو بجهالة ، وكل عاص عصى فهو جاهل. والثاني : هو الذنب العمد يريد يعملون ذلك عمداً ، والجهالة العمد ، والثالث : أنهم لا يعلمون كنه ما فيه من العقوبة كما يعلم الشيء ضرورة [١].

والجهالة المقصودة بالآية ليس المراد بها عدم العلم بالمعصية، وإنّما الغريزة طاغية عليه ، وسيطرة الأهواء الجامحة، أي من عمل سوءاً عن حماقة من نفسه وسفاهة[٢]. والى هذا الامر ذهب الطباطبائي يقول:((بجهالة فالجهل يقابل العلم بحسب الذات غير أن الناس لما شاهدوا من أنفسهم أنهم يعملون كلا من أعمالهم الجارية عن علم و إرادة، وأن الإرادة إنما تكون عن حب ما وشوق ما سواء كان الفعل مما ينبغي أن يفعل بحسب نظر العقلاء في المجتمع أو مما لا ينبغي أن يفعل لكن من له عقل مميز في المجتمع عندهم لا يقدم على السيئة المذمومة عند العقلاء فأذعنوا بأن من اقترف هذه السيئات المذمومة لهوى نفساني وداعية شهوية أو غضبية خفي عليه وجه العلم، وغاب عنه عقله المميز الحاكم في الحسن و القبيح و الممدوح والمذموم، و ظهر عليه الهوى و عندئذ يسمى حاله في علمه و إرادته (جهالة). فتبين بذلك أن الجهالة في باب الأعمال إتيان العمل عن الهوى و ظهور الشهوة و الغضب من غير عناد مع الحق، ومن خواص هذا الفعل الصادر عن جهالة أن إذا سكنت ثورة القوى وخمد لهيب الشهوة أو الغضب

([١]) ينظر: النكت والعيون ، الماوردي ، ٢٨٤/١ ، التبيان ، الطوسي ، ١٤٥/٣، مجمع البيان ، الطبرسي ، ٣٥/٣.

([٢]) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور ، ٤٤٤/٤ ، روح المعاني، الالوسي ، ٣٣١/١٠ ، في ظلال القران ، ٧٣/٢.

باقتراف للسيئة أو بحلول مانع أو بمرور زمان أو ضعف القوى بشيب أو مزاج عاد الإنسان إلى العلم و زالت الجهالة، و بانت الندامة بخلاف الفعل الصادر عن عناد و تعمد))[1].

الآية الثانية: قال الله تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٣٥] . ورُوِي عن الإمام الصادق (عليه السلام): لمّا نزلت هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً...﴾، صعد إبليس جبلاً بمكّة يقال له: ثور، فصرخ بأعلى صوته بعفاريته، فاجتمعوا إليه، فقالوا: يا سيّدنا لم دعوتنا؟ قال: نزلت هذه الآية، فمن لها؟ فقام عفريت من الشياطين، فقال: أنا لها بكذا وكذا، قال: لست لها، فقام آخر، فقال: مثل ذلك، فقال: لست لها، فقال الوسواس الخنّاس، أنا لها، فقال: بماذا؟ قال:" أعدهم وأمنّيهم حتى يواقعوا الخطيئة، فإذا واقعوا الخطيئة أنسيتهم الاستغفار، فقال: أنت لها، فوكّله بها إلى يوم القيامة "[2]. وجاء في تفسير العياشي:((عن أبى عبدالله قال : رحم الله عبدا لم يرض من نفسه ان يكون ابليس نظيرا له في دينه وفى كتاب الله نجاة من الردى ، وبصيرة من العمى ، ودليل إلى الهدى ، وشفاء لما في الصدور ، فيما أمركم الله به من الاستغفار مع التوبة قال الله ... وهذه الآية تدل على أَنَّ الاستغفار لا يرفعه إلى الله الا العمل الصالح والتوبة))[3].

الآية الثالثة: قال الله تعالى:﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الفرقان: ٧٠] والآية تدلّ على عظمة الرحمة الإلهية؛ فهي تصرّح بأنّ الله تعالى يمحو بالتوبة جميع الذنوب ويثبت بدل الذنوب حسنات[4].

الآية الرابعة: قال الله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الزمر: ٥٣].

---

(1) الميزان ، ٦٠/٤ .

(2) بحار الأنوار، ١٩٧/٦٠.

(3) العياشي ، ٢١٢/١.

(4) ينظر: مجمع البيان، الطبرسي ، ٤١/٦.

حذّر الله تعالى عباده من اليأس والقنوت، وبشّرهم في هذه الآية الكريمة بأنّه تعالى يغفر جميع الذنوب دون استثناء، إلا الشِرك به تعالى[١]، كما صرّح القرآن الكريم، في قوله تعالى﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء: ٤٨]. ، إلا إذا تاب من الشرك وعاد إلى الإسلام. فلا مغفرة ، دون توبةٍ من الشِّرك، والآية المذكورة ناظرةٌ إلى المغفرة من دون التَّوبة[٢].

ومن هنا يتضح لنا أن ثمة توبة نصوحةً وهي أعلى درجات التوبة ، وهي تعبر عن واقعية الدين الاسلامي في تربية معتنقيه تربية صالحة كما هي دليل على حكمته ودقته في معالجة انحرافات اتابعه المزمنة التي لا تزول الا بالمعاناة والاعتناء التربوي الهادف ، فالإسلام لم يكتف بالمواعظ النظرية لحث المذنبين على ترك عصيانهم واجرامهم ، والتزام الطاعة والقيام بالعمل الصالح ، انما وضع لهم منهجا تربويا شاملا ودعاهم الى تطبيقه وهذا المنهج اسمه التوبة النصوح[٣].

النصح لغة يأتي بمعنى الاخلاص نحو نصحت له الود أي اخلصته[٤].

النصوح لغة: نصَحْتُكَ نُصْحًا ونَصاحَةً، والاسم: النَّصيحة، والنصيح: الناصِح، وقومٌ نُصَحاءُ، ورجلٌ ناصِحُ الجيب؛ أي: تقيُّ القلب. قال الأصمعيُّ: الناصِحُ: الخالص من العسل وغيره، مثل الناصع. وكلُّ شيء خَلَصَ فقد نَصَح، وانْتَصَحَ فلانٌ؛ أي: قَبِلَ النصيحة[٥]. وجاء في لسان العرب:" نَصَحَ الشيءُ خَلَصَ والناصحُ الخالص من العسل وغيره وكل شيءٍ خَلَصَ فقد نَصَحَ "[٦].

إنَّ التوبة النصوح هي التوبة البالغة في النصح والخالية من الغش، التي لا ينوي التائب بهذه الصفة معاودة المعصية أبداً، فالتوبة النصوح هي التوبة الصادقة في الاقلاع عن الذنوب و

---

(١) التبيان ، الطوسي ، ٥٦٧/٦ .

(٢) ينظر: مجمع البيان، الطبرسي ، ٣٤٦/٢ .

(٣) ينظر: التوبة والتائبون ، مهدي الفتلاوي، ١٥٠.

(٤) ينظر: مفردات غريب القران، الراغب الاصفهاني ، مادة: نصح.

(٥) ظ: العين، الفراهيدي ، ١٩٢/١، المحيط في اللغة ، ابن عباد ، ١٩٣/١، تهذيب اللغة ، الازهري ، ١٤/٢.

(٦) ابن منظور، ٦١٥/٢.

الخالصة لوجه اللّه وحده ،((فالتوبة النصوح هي التي تصرف صاحبها عن المعصية وتخلصه من الرجوع الى الذنب وذلك بتحري جميع الطرق التربوية التي تصده عن المعصية))[١].

وفي الشرع معناها هي التوبة التي لا يعود فيها التائب الى الذنب الذي تاب عنه ، عن الامام الصادق (عليه السلام) قال تعني ان يتوب العبد من الذنب ثم لا يعود اليه[٢].

ويشير القرآن الكريم الى التوبة النصوح على النحو الاتي: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا ﴾ [التحريم: ٨]. قال القرطبي تصرح هذه الآية بشكل امر وجوبي لجميع المؤمنين بلزوم التوبة الخالصة[٣].

وجاء في مجمع البيان :((توبة نصوحا ، أي خالصة لوجه الله و روى عكرمة عن ابن عباس قال قال معاذ بن جبل يا رسول الله ما التوبة النصوح قال أن يتوب التائب ثم لا يرجع في ذنب كما لا يعود اللبن إلى الضرع و قال ابن مسعود التوبة النصوح هي التي تكفر كل سيئة و هو في القرآن ثم تلا هذه الآية و قيل أن التوبة النصوح هي التي يناصح الإنسان فيها نفسه بإخلاص الندم مع العزم على أن لا يعود إلى مثله في القبح و قيل هي أن يكون العبد نادما على ما مضى مجمعا على أن لا يعود فيه))[٤].

وقد ذهب اغلب المفسرين أَن التوبة النصوح هي التي تمنع صاحبها من العودة إلى المعصية مرة اخرى او هي التوبة التي تطهر العبد من العودة الى ارتكاب الذنب وهو بذلك لا يرجع إلى الفعل الذي تاب عنه[٥].

---

(١) التوبة والتائبون ، مهدي الفتلاوي،١٥٠.

(٢) ينظر: المصدر نفسه/١٥٠.

(٣) ينظر: الجامع لإحكام القران، القرطبي ، ١٩٩/١٩.

(٤) الطبرسي ، ٥٢/١٠-٥٣.

(٥) ينظر: الكشاف، الزمخشري ، ٥٦٩/٤ ، مجمع البيان، الطبرسي ، ٤٧٨/١٠، مفاتيح الغيب ، الرازي ، ٥٧٨/٣٠، الميزان ، الطباطبائي ، ٣٣٥/١٩

وذهب ناصر مكارم الشيرازي الى القول:((إن التوبة النصوح يجب أن تتوفر فيها أربعة شروط: الندم الداخلي ، الاستغفار باللسان ، ترك الذنب ، والتصميم على الاجتناب في المستقبل))[1].

اذا فالتوبة النصوح هي انابة مخلصة تنصح القلب وتخلصه من رواسب المعاصي وتظل تذكر صاحبها وتنصحه بان لا يعود الى الذنب مرة اخرى ولهذا سميت نصوحا[2].

وتجدر الاشارة إلى أَن هذا التوبة لا تجعل صاحبها معصوماً من ارتكاب الذنوب ، ولكن غاية الأمر أَنَّ هذه التوبة أَفضل أَنواع التوبة لأنها تضع التائبين على الإنابة الصادقة لله تعالى[3].

وثمرات التوبة (النصوح) تكمن في خمس هي[4]:

الأولى : غفران الذنوب والسيئات .

الثانية : دخول الجنة المملوءة بنعم الله .

الثالثة : عدم الفضيحة في ذلك اليوم العصيب الذي ترتفع فيه الحجب وتظهر فيه حقائق الأشياء ، ويفتضح الكاذبون الفجار . نعم في ذلك اليوم سيكون للرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) والمؤمنين شأن عظيم ، لأنهم لم ولن يقولوا إلا ما هو واقع .

الرابع : أن نور إيمانهم وعملهم يتحرك بين أيديهم فيضئ طريقهم إلى الجنة .

الخامس : يتجهون إلى الباري أكثر من ذي قبل ، ويرجونه تكميل نورهم والغفران الكامل لذنوبهم.

المطلب الرابع: التوبة مطوقة بقبول الله

الله عز وجل قد عرف نفسه في القران الكريم بأَنه التواب مراراً ومنها : قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [التوبة: ١٠٤]. قَالَ تَعَالَىٰ:

---

(1) الامثل ، ٤٥٨/١٨.

(2) ينظر: التوبة والتائبون، مهدي الفتلاوي ، ١٥١.

(3) ينظر: المصدر نفسه / ١٥٢.

(4) ينظر: الامثل ، ناصر مكارم الشيرازي ، ٤٥٩/١٨ .

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَعۡفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ ﴾ [الشورى: ٢٥]. إنَّ التوبة الالهية تعني العودة الرحيمة على العباد وهي كناية عن قبول التوبة لله تعالى[١].

قال الطوسي:" وقوله:(إنه هو التواب الرحيم) إنما ذكر الرحيم، ليدل بذلك على أنه متفضل بقبول التوبة، ومنعم به، وأن ذلك ليس هو على وجه الوجوب ... (وتواب) بمعنى أنه قابل التوبة. لا يطلق إلا عليه تعالى، ولا يطلق في الواحد منا "[٢].

وذهب ناصر مكارم الشيرازي إلى القول إنَّ قبوله تعالى التوبة هو ((للدلالة على كثرة محبة الله ، وسبق عطفه على عباده التائبين. فيقول سبحانه لهؤلاء: إن تبتم، أي عدتم إلى نشر الحقائق، فأنا أعود أيضاً إلى إغداق الرحمة والمواهب عليكم))[٣].

في الواقع أَن توابية الله تعالى لعبده المحتاج الفقير هي توفيق وتوفير أَدوات التوبة وهدايته إلى التوبة[٤].

وفي هذا الصدد يقول صاحب الميزان:" توبة العبد هي حسنة والحسنة تحتاج إلى القوة ، وقوة فعل الخير من الله وهو الذي يهدي نعمة التوفيق أي يهيء الاسباب لكي ينجح الانسان في توبته ويتمتع بها "[٥].

إنّ للاستغفار والتوبة آثاراً عظيمةً على الإنسان، تؤثّر عليه من خلال مجريات حياته، نشير فيما يأتي إلى بعضها:

١. الخير والبركة: هناك ارتباطٌ قويٌ بين الاستغفار وبين صلاح المجتمع ونزول البركات والحياة الطيبة، قال تعالى حكاية عن هود عليه السلام:﴿ وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ

---

(١) ينظر: الميزان ، الطباطبائي ، ٢٤٥/٤.
(٢) التبيان ، ١٧٠/١.
(٣) الامثل: ٤٥٨/١.
(٤) ينظر: مجمع البيان، الطبرسي ، ٢٠٠/١.
(٥) الطباطبائي ، ٢٣٧/٤ .

السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾[هود:٥٢]، وقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾[الاعراف:٩٦].[١]

٢. دفع العذاب: من آثار الاستغفار الطيبة رفع العذاب عن هذه الأمة، ﴿ مَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[الانفال:٣٣][٢].

٣. استعادة الشخصية: يسعى القرآن الكريم إلى إعادة بناء شخصية الخاطىء بالتوبة والتعبير عن الندامة السرية واعادته الى حالته التي كان عليها قبل الذنب او اعلى ، لذلك يقول الله تعالى من جهة : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَعۡفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ ﴾ [الشورى: ٢٥] ، ومن جهة اخرى فانه يحذر الناس فانه إذا عاد المخالفون فانهم اخوانهم المتدينون: ﴿ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِى ٱلدِّينِۗ وَنُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٍ يَعۡلَمُونَ ﴾ [التوبة: ١١][٣].

٤. محبة الله: إن الصداقةَ مع الله هي من آثار التوبة ونتائجها ، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٢٢][٤].

٥. تكفير السيئات: فإذا تاب العبد توبة نصوحاً كفَّر الله بها جميع ذنوبه وخطاياه، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحاً عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾[التحريم:٨][٥].

٥. تبدّل السيئات حسنات: فإذا حَسُنت التوبة بدَّل الله سيئات صاحبها حسنات، قال الله تعالى: ﴿ إِلاَّ مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً ﴾[الفرقان:٧٠]. وهذا من أعظم البِشارة للتائبين، إذا اقترن بتوبتهم إيمان وعمل صالح.[٦].

---

(١) ينظر: التوبة في القران الكريم والصحيفة السجادية(بحث)، ٤٦٧

(٢) ينظر: التبيان ، الطوسي ، ١٠٨/٥.

(٣) ينظر: التوبة في القران الكريم والصحيفة السجادية ، ٤٦٨.

(٤) ينظر: الميزان ، ١٢٢/٢.

(٥) ينظر: التوبة في القران الكريم والصحيفة السجادية ، ٤٦٨.

(٦) ينظر: المصدر نفسه .

إن أركان التوبة التي أشار إليها القران الكريم يمكن تلخيصها بخمسة أمور[1]: ترك الذنب ، الندم ، التصميم على الاجتناب في المستقبل ، جبران ما مضى ، الاستغفار .

يتحصل أن التوبة هي الرجوع الاختياري عن المعصية إلى الطاعة والعبودية لله وحده لا شريك له، ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ، وتوبة العبد إلى الله ورجعوه بتركه للمعصية – وهو توفيق إلهي محض –؛ لان الإنسان في ذاته فقير، والفقر عين ذاته، بمعنى أنّه متمحِّضٌ في الحاجة، لذا فهو محتاج إلى توفيق الله ومدده تعالى.

وان موارد عدم قبول التوبة قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرٗا لَّن تُقۡبَلَ تَوۡبَتُهُمۡ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ٩٠ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٞ فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡ أَحَدِهِم مِّلۡءُ ٱلۡأَرۡضِ ذَهَبٗا وَلَوِ ٱفۡتَدَىٰ بِهِۦٓۗ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ٩١ ﴾ [آل عمران: ٩٠ – ٩١] ، أي نفي مؤيد لقبول التوبة في المستقبل وللمفسرين اقوال فيها[2]:

الاول: لأنها لم تقع منهم على وجه الاخلاص .

الثاني: لأنها عند رؤية الياس تكون توبة في حال الالتجاء مما يجعلها اذعان مؤقت .

الثالث: لأنها أظهرت الإسلاك تورية فأطلع الرسول على أسرارهم .

وقيل في معنى الآية لن تقبل توبتهم وهم مقيمون على الكفر فسماها توبة غير مقبولة لانه لم يصح منهم العزم على التوبة[3].

قال تعالى: ﴿ وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ إِنِّي تُبۡتُ ٱلۡـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمۡ كُفَّارٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا ﴾ [النساء: ١٨]. قال الطوسي(ت٤٦٠هـ):" أخبر الله تعالى في هذه الآية أنه لا يقبل التوبة من الذي يعمل المعاصي

---

(١) ينظر: الأمثل ، ناصر مكارم الشيرازي ، ٤٥٧/١٨ .

(٢) ينظر: مجمع البيان، الطبرسي ، ٤٧٨٢/٢

(٣) ينظر: محاضرات في تفسير آيات الاحكام ، د. عبد الامير كاظم زاهد ، ط٣، العارف للمطبوعات ، بيروت – لبنان ٢٠١٥م ، ١٠٧ .

حتى إذا حضره الموت قال: إني تبت الآن "[1]. فالقرآن الكريم يصرح في عدم قبول توبة من كانوا موضوعًا للنزول أو سببه قد اختل في توبتهم أكثر من شرط[2].

وسبب عدم قبول هذه التوبة ، يقول محمد حسين الطباطبائي:" فهذه توبة لا تقبل من صاحبها لأن اليأس من الحياة الدنيا و هول المطلع هما اللذان أجبراه على أن يندم على فعله و يعزم على الرجوع إلى ربه و لات حين رجوع حيث لا حياة دنيوية و لا خيرة عملية "[3] .

وتجدر الاشارة إلى أَن القرآن الكريم هو آخر الكتب السماوية وشريعة الإسلام الذي جاء به النبي محمد(صلى الله عليه وآله) هو آخر الشرائع السماوية وان بقاء الناس على أديانهم يعد كفرًا منهم يتوجب منهم توبة صحيحة على شروطها ، وقد أَيَّدَ البعض من أن الجزية المأخوذة من أهل الكتاب بدلًا من بقائهم على دينهم أي مقابل عدم التوبة[4] .

وتحقيقا لهدف البحث ولسهولة الاطلاع على آيات التوبة في القران الكريم ، توجز الباحثة الآيات المتعلقة بالتوبة ومواضيعها على شكل جدول يحتوي على آيات التوبة[5].

العنوان	الاوصاف	الآيات	عنوان الآيات
أ) أوصاف الرحمة والمغفرة	١. كثيرُ المغفرة	﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴾	طه/ ٨٢
	٢. حتميةُ الرحمة للنفس	﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾	الأنعام/ ٥٤

(1) التبيان ، الطوسي ، ١٤٦/٣.

(2) ينظر: محاضرات في تفسير آيات الاحكام ، د. عبد الامير كاظم زاهد ، ١٠٨ .

(3) ينظر: الميزان ، الطباطبائي ، ٦٢/٤ .

(4) ينظر: محاضرات في تفسير آيات الاحكام ، د. عبد الامير كاظم زاهد ، ١٠٩ .

(5) ينظر: التوبة في القران الكريم والصحيفة السجادية(بحث)/ ٤٧١-٤٧٤ .

الإلهية	٣. تَقَدُّم الرحمة على الغضب	﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴾	غافر/ ٣
	٤. الخوفُ والرجاء	﴿ نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٤٩ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ ﴾	الحجر/ ٤٩ – ٥٠
	٥. توفيقُ التوبة من الله تعالى	﴿ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾	التوبة/ ١١٨
	٦. قبول التوبة من الله	﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَعۡفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ ﴾	الشورى/ ٢٥
ب) اعطاء الامل لعباده المذنبين	١. نفي الياس من رحمة الله	﴿ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾	الزمر: ٥٣
	٢.الياسَ من رحمة الله من علائم الكفر	﴿ يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾	يوسف/ ٨٧
	٣. مغفرةُ جميع الذنوب الا الشرك بالله	﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴾	النساء/ ٤٨
	٤. تركَ الذنوب الكبيرة ؛	﴿ إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ	النساء/ ٣١

	عامل امحاء الذنوب الصغيرة	عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴾	
	٥. عاقبةَ المذنبين التائبين	﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾	التوبة/ ١٠٢
ج) فضائل التوابين	١. المحبوبية عند الله	﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾	البقرة/ ٢٢٢
	٢. المسايرة مع المؤمنين والاستمتاع بالمكافأة الالهية	﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾	النساء/ ١٤٦
د) شروط التوبة	١. عدم الالحاح على الذنب	﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾	آل عمران/ ٣٥ – ٣٦
	٢. التوبة في الوقت المناسب	﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾	النساء/ ١٧ – ١٨

		وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾	
	٣. التعويض واصلاح الماضي	﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَـٰلَةٍ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾	النحل/١١٩
	٤. افضل طريقة للتوبة	﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا ﴾	التحريم/ ٨
هـ) آثار الاستغفار	١.الاستمتاع بالمغفرة والرحمة الالهية	﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾	النساء/ ١١٠
	٢. نزول انواع النعم	﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ ﴾	نوح/ ١٠ – ١١
	٣. الامان من العذاب	﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾	الأنفال/ ٣٣

المبحث الثاني: التوبة في السنة النبوية

المطلب الاول: التوبة الحقيقية والنصوحة

المطلب الثاني: اختصاص التوبة بنشأة الدين

المطلب الثالث: موارد عدم قبول التوبة

المطلب الرابع: دوافع التوبة ومقوماتها

المطلب الخامس: وجوب التوبة

المطلب السادس: أركان التوبة

المطلب السابع: أنواع التوبة ومراحلها

المبحث الثاني: التوبة في السنة

مدخل: في هذا المبحث سنتعرض للتوبة في الروايات الواردة عن المعصوم(عليه السلام) وهو النبي وأهل البيت عند الامامية ، وعند غيرهم النبي فقط ، ويمكن أَن يلحظ القارىء والباحث في هذا المضمار أن فحوى الخطاب في الروايات أنها تدور في فضاء الرؤية القرآنية ، فتؤكدها وتعمق من مظانها ومراميها .

وإذا تأملت في الاحاديث النبوية رأيتَ أبوابَ الأَمل فساحًا ، لا تجعل اليأس يتسرب الى نفس الانسان هما كانت خطاياه ، لأن رحمة الله واسعة تتقاصر عنها الذنوب ، ولهذا لا ينبغي ان يستعظم انسان ذنبه ، فيظن ان رحمة الله ومغفرته عاجزة عن مغفرة هذا الذنب ، لان اليأس هو قنوط من رحمة وربما يفضي الى الكفر[١].

وعند استقراء الروايات التي لها علاقة بالتوبة والاستغفار نحصل على عدة مطالب متنوعة وجامعة أشير اليها في الآيات القرآنية السابقة وهنا نلخص قسماً مهماً من هذه المطالب .

المطلب الأول: التوبة الحقيقية والنصوحة

روي عن الرسول الاكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) قوله في معنى التوبة النصوح :" أن يتوب التائب ثمّ يرجع في ذنبٍ كما لا يعود اللبن الى الضرع[٢].

وقال الامام الصادق (عليه السلام):" هو الذنب الذي لا يعود فيه أبداً "[٣].

وعن أَبي عبدالله الصادق (عليه السلام):" إذا تاب العبد توبة نصوحا أحبه الله فستر عليه، فقلت: وكيف يستر عليه؟ قال: ينسي ملكيه ما كانا يكتبان عليه ويوحي [الله] إلى جوارحه وإلى بقاع الارض أن اكتمي عليه ذنوبه فيلقى الله عزوجل حين يلقاه وليس شئ يشهد عليه بشئ من الذنوب "[٤].

---

(١) ينظر: الخلاص من الخطيئة في مفهوم اليهودية والنصرانية والاسلام ، محمد عبد الرحمن عوض ، ٩١.
(٢) ينظر: مجمع البيان ، الطبرسي، ١٠ / ٣١٨ .
(٣) اصول الكافي ، الكليني ، ٢ / ٤٣٢ .
(٤) المصدر نفسه ، ٦٠٢/٢ .

وقال الامام الهادي (عليه السلام) في معنى التوبة النصوح :" أن يكون الباطن كالظاهر وافضل من ذلك "[١].

إن التوبة النصوح هي توبة بالغة في النصح وخالية من الغش، التي لا ينوي التائب بهذه الصفة معاودة المعصية أبداً، فالتوبة النصوح هي التوبة الصادقة في الاقلاع عن الذنوب والخالصة لوجه اللّه وحده[٢].

وقد أَشارتْ الروايات إِلى بركات وفوائد جمة للتوبة النصوح منها: أَنها تمحو الذنوب ، تمنح التائب بركات الارض والسماء ، تبدل السيئات حسنات ، يتعامل الله تعالى فيها مع الانسان من موقع الستر على الذنوب فينسي الملائكة الكاتبين لذنب الانسان ويأمر أَعضاء بدنه بالستر عليه يوم القيامة وكتمان ذنبه ، كما أَن التائب الحقيقي يحبه الله تعالى[٣].

المطلب الثاني: اختصاص التوبة بنشأة الدنيا

ذهب العلماءُ إِلى القول أَنَّ التوبة تختص في هذه الدنيا فقط دون الآخرة أي أنه لا توبة في الأخرة ، لأن التوبة هي الرجوع الاختياري عن السيئة الى الطاعة والعبودية ، ولا يتحقق هذا إلا في ظرف الاختيار وهي الحياة الدنيا ، وأَما في الموارد التي لا اختيار فيها للعبد بانتخاب طريق الإصلاح والصلاح فلا مسرح للتوبة فيها[٤] ، وإِشارة إِلى ذلك الاحاديث الواردة عن الرسول وال البيت في المواضع التي لا تقبل فيها توبة العبد ، منها من حضر الموت وشاهد أهواله فان توبته غير مقبولة ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله:((من تاب قبل موته بسنة تاب الله عليه، ثم قال: وإن السنة لكثيرة من تاب قبل موته بشهر تاب الله عليه، ثم قال وإن الشهر لكثير من تاب قبل موته بيوم تاب الله عليه، ثم قال ان يوما لكثير من تاب قبل أَن يعاين قبل الله توبته))[٥].

---

(١) بحار الانوار، المجلسي ، ٦ / ٢٢ .

(٢) ينظر: التوبة دراسة في شروطها واثارها، كمال الحيدري ، ٥٣ .

(٣) ينظر: الاخلاق في القران ، ناصر مكارم الشيرازي ، ط٢، مدرسة الامام علي ، قم ، ١٤٢٦هـ، ٢١٢/١-٢١٣ .

(٤) ينظر: التوبة دراسة في شروطها واثارها، كمال الحيدري، ١٥ .

(٥) وسائل الشيعة ، ٨٣/١٦ .

وعن إلامام الباقر (عليه السلام) أنه قال:((إن آدم (عليه السلام) قال: يا رب سلطت علي الشيطان وأجريته مني مجرى الدم فاجعل لي شيئا. فقال: يا آدم جعلت لك أن من هم من ذريتك بسيئة لم تكتب عليه، فإن عملها كتبت عليه سيئة ومن هم منهم بحسنة فإن لم يعملها كتبت له حسنة فإن هو عملها كتبت له عشرا قال: يا رب زدني، قال: جعلت لك إن من عمل منهم سيئة ثم استغفر غفرت له قال: يا رب زدني، قال: جعلت لهم التوبة – أو قال: بسطت لهم التوبة – حتى تبلغ النفس هذه قال: يا رب حسبي))[١].

وجاء في الدر المنثور:((إن إبليس لما رأى آدم أجوف قال : وعزتك لا أخرج من جوفه ما دام فيه الروح . فقال الله تبارك وتعالى : وعزتي لا أحول بينه وبين التوبة ما دام الروح فيه))[٢]. وجاء أيضا " إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر "[٣].

وقد وردت روايات كثيرة في هذا المجال من مصادر الشيعة والسنة أَن باب التوبة مفتوح حتى اللحظات الأخيرة من العمر بشرط ان لا يدرك الموت الانسان ، ويمكن الرجوع الى الروايات في كتب أصول الكافي[٤]، كنز العمال[٥]، وتفسير الفخر الرازي[٦] ، وتفسير القرطبي[٧] ، وتفسير الآلوسي[٨] .

يتحصل أَن التوبة لا تختص بذنب من الذنوب ولا تحدد بزمان أو مكان أو عمر محدد .

المطلب الثالث: موارد عدم قبول التوبة

وفي المانع من قبول توبة الانسان عند الموت((أن الانسان عند القرب من الموت إذا شاهد أحوالا وأهوالا صارت معرفته بالله ضرورية عند مشاهدته تلك الأهوال ، ومتى صارت معرفته بالله ضرورية سقط التكليف عنه ، ألا ترى أن أهل الآخرة لما صارت معارفهم ضرورية سقط

---

(١) أصول الكافي، الكليني ، ٤٤٠/٢ باب فيما اعطي الله عزوجل ادم عليه السلام وقت التوبة .
(٢) السيوطي ، ٥٩/٣ .
(٣) المصدر نفسه، ٦٠/٣
(٤) الكليني ، ٤٤٠/٢ .
(٥) كنز العمال ، المتقي الهندي ، ح ١٠١٧٨ ، ١٠٢٤٦ .
(٦) مفاتيح الغيب ، ٧/١٠ .
(٧) الجامع لأحكام القران ، ١٦٦/٣ .
(٨) روح المعاني ، ٢٣٣/٤ .

التكليف عنهم وإن لم يكن هناك موت ولا عقاب ، لأن توبتهم عند الحشر والحساب وقبل دخول النار ، لا تكون مقبولة))[١].

اذا أن التوبة عند الموت لا تقبل من صاحبها لأن اليأس من الحياة الدنيا وهول المطلع هما اللذان اجبراه ، على أن يندم على فعله والرجوع الى ربه[٢].

ولكن ائمة أهل البيت فرقوا في أَحاديثهم بين من يتوب في حالة الاحتضار ومعرفة علائم الموت وهو عالم بإحكام الاسلام ، ومع ذلك يرتكب السيئات بعناد واصرار ، وبين من يرتكب المعصية وكان جاهلا ، فاعتبروا توبة الاخير حال معرفة بعلائم الموت مقبولة ، بعكس توبة العالم بالاحكام فهي غير مقبولة[٣]، ورد عن زرارة ان الامام الباقر(عليه السلام) قال:" اذا بلغت النفس النفس هذه – واهوى بيده الى حلقه – لم يكن للعالم توبة وكانت للجاهل توبة "[٤].

المطلب الرابع: دوافع التوبة ومقوماتها

إن التوبة مظهر من مظاهر التكامل الروحي والمعنوي للإنسان ، فالتكامل حاجة انسانية عامة ، يقصدها حتى الانبياء وهذا دليل على تكامل الله سبحانه ووحدته ، واما البشر فهم جميعا ناقصون بالنسبة إليه ، فهم دائما محتاجون رعاية الله تعالى لهم ومن الطبيعي أَن تختلف درجات النقص عند البشر التي تؤدي بهم إلى الخطيئة وذلك حسب درجة ايمانهم ومستوى التزامهم بإحكام الله تعالى ولكنهم جميعا يستطيعون ان يسدوا هذا النقص بالتوبة[٥].

وللتوبة وقفةٌ وجدانيةٌ تبدأ عندما ينطلق الإنسان بالتفكير بإضرار الذنوب في الدنيا وعواقبها ، وتنتهي بقرارات صارمة يتخذها المذنب ضد نفسه الأَمارة بالسوء ثم يترجمها إلى سلوك ظاهر صالح ، وورد عن حقيقة التّوبة ((إعلم أنّ التّوبة عبارةٌ عن معنى ينتظم ويلتئم، من ثلاثة أُمور مرتّبة: علم وحال وفعل، فالعلم أوّل والحال ثان والفعل ثالث، أمّا العلم فهو معرفة عِظم ضرر الذنوب، وكونها حجاباً بين العبد وبين كلّ محبوب، فإذا عرفت ذلك معرفةً محقّقةً بيقين غالب

---

(١) مفاتيح الغيب ، الرازي ، ١١٤/٥ .

(٢) ينظر: التوبة دراسة في شروطها واثارها ، كمال الحيدري، ١٦.

(٣) ينظر: التوبة والتائبون ، مهدي الفتلاوي ، ١١٧ .

(٤) الكافي ، الكليني ، ٤٤٠/٢ .

(٥) ينظر: التوبة والتائبون ، مهدي الفتلاوي، ١٠٧ .

على قلبه، ثار من هذه المعرفة، تألّمٌ للقلب بسبب فوات المحبوب، فإنّ القلب مهما شعر بفوات محبوبه تألّم، فإن كان فواته بفعله تأسّف على الفعل المفوّت، فيسمّى تألّمه بسبب فعله المفوّت لمحبوبه ندماً، فإذا غلب هذا الألم على القلب وإستولى إنبعث من هذا الألم في القلب، حالةً أخرى تسمّى إرادةً وقصداً إلى فعل له تعلّق بالحال وبالماضي والإستقبال . فثمر نور هذا الإيمان مهما أشرق على القلب، نار الندم فيتألّم به القلب، حيث يبصر بإشراق نور الإيمان أن صار محجوباً عن محبوبه))[١].

وهذا الشيء هو الذي يدعى بالثورة الروحية والنفسية ، ويعتبرون التوبة نوعاً من الانقلاب الروحي في باطن الانسان على كل شيء وتحثه هذه الحالة على اتخاذ حيال اعماله وبرامجه الاتية من موقع الوضوح في الرؤيا لعناصر الخير والشر[٢].

ولا يمكن أَن تتوفر هذه الوقفة الحاسمة في نفوس المذنبين الا بعد ان تتوفر فيهم نفوسهم مقومات رئيسية ثلاثة هي : العلم بضرر الذنوب ، والندم على ارتكاب المعاصي ، والارادة القوية الصلبة[٣].

وقد أَشار صاحب (جامع السعادات) إلى مقومات التوبة الثلاثة بقوله:((العلم والندم والقصد المتعلق بالترك في الحال والاستقبال والتلافي للماضي ، ثلاثة معاني مترتبة في الحصول يطلق اسم التوبة على مجموعها))[٤].

ويتحصل أن التائب هو انسان عرف ظلمة الذنوب على النفس ، وانها تعرضه لسخط الله وعقابه ، فندم على ارتكابها في ماضية وعزم على تركها في حاله ومستقبله وهو بذلك يبدأ حياة جديدة .

المطلب الخامس: وجوب التّوبة

اتّفق علماء الإسلام على وجوب التّوبة ودعمت الروايات ذلك الأمر، وأكّدت على وجوب التّوبة الفوريّة، ومنها:

---

(١) المحجّة البيضاء، محسن الكاشاني ، محمد بن المرتضى(ت١٠٩١هـ)، تح: علي اكبر غفاري ، مكتبة الصدوق ، طهران، د. ط / د.ت، ٧/ ٥ .

(٢) ينظر: الاخلاق في القرآن ، ناصر مكارم الشيرازي، ١٩٢/١ .

(٣) ينظر: التوبة والتائبون ، مهدي الفتلاوي ، ١٠٧-١٠٩ .

(٤) جامع السعادات ، النراقي ، ٥٠/٣ .

١- وصية الإمام علي (عليه السلام) لإبنه الإمام الحسن عليه السلام:" وَإِنْ قَارَفْتَ سَيِّئَةً فَعَجِّلْ مَحوَها بِالتَّوبَةِ "[١]. طبعاً حاشا للإمام الحسن (عليه السلام) أن يقترف الذّنوب، ولكن قصد الإمام علي عليه السلام هنا، تنبيه الآخرين إلى هذا المعنى[٢].

٢- قال الرّسول الأكرم صلى الله عليه وآله، لإبن مسعود:" يابنَ مَسْعُودَ لا تُقَدِّمِ الذَّنْبَ وَلا تُؤَخِرِ التَّوبَةَ، وَلَكِنْ قَدِّمِ التَّوبَةَ وَأَخِّرِ الذَّنْب "[٣].

٣- وفي حديث آخر، قال الإمام علي عليه السلام: "مُسَوِّفُ نَفْسِهِ بِالتَّوبَةِ مِنْ هُجُومِ الأَجَلَ عَلَى أَعْظَمِ الخَطَر "[٤].

٤- قال الامام الرضا(عليه السلام) نقلاً عن الرسول (صلى الله عليه واله):" ليس شيئا احب الى الله من مؤمن تائب أو مؤمنة تائبة "[٥].

٥- وعن الإمام الصادق (عليه السلام) قال:((كان ابي يقول : ما من شيء أفسد للقلب من خطيئة، إن القلب ليواقع الخطيئة فما تزال به حتى تغلب عليه فيصير أعلاه أسفله))[٦].

ويقول الشيخ ناصر مكارم الشيرازي:((يمكن أَن يكون هذا الحديث دليلا على وجوب التوبة ، لأنها احب الأَشياء الى الله تعالى في دائرة السلوك البشري . مضافا الى ذلك هناك دليل عقلي على وجوب التوبة هو ان العقل يحكم على وجوب دفع الضرر المحكم او المتيقن وتحضير وسائل للنجاة من العذاب الالهي ، وبما أَن التوبة هي افضل وسيلة للنجاة من العذاب فلذلك يحكم العقل السليم بوجوبها))[٧].

المطلب السادس: أَركان التوبة

---

(١) مستدرك الوسائل، حسين تقي النوري ، دار الخلافة ، ١٢/ ١٣٠.
(٢) ينظر: الاخلاق في القران ، ناصر مكارم الشيرازي ، ١٩٣ .
(٣) بحار الانوار، ٢٠٨/٧٤ .
(٤) مستدرك الوسائل، حسين تقي النوري د.ط / د.ت ، ١٢/ ١٣٠.
(٥) المصدر نفسه ، ١٢٥/١٢ .
(٦) الكافي ، الكليني ، ٣٨١/٢ .
(٧) الاخلاق في القران ، ناصر مكارم الشيرازي، ١٩٣ .

إنَّ التوبة هي الرجوع الى الله تعالى والاقلاع عن العصيان فيما لو كان ناشئا من الندم على ما سبق من الاعمال السيئة ، ولازم الندم هو العلم بان الذنب يحيل بين العبد وربه ، ويترتب عليه هو العزم والتصميم على عدم العودة ، وعلى التحرك لجبران ما فات ومجو آثار الذنوب السابقة من باطن وجوده وخارجه ، ويتحرك كذلك في دائرة إعادة الحقوق الباقية في ذمته ، واكد القران الكريم والروايات على هذا المعنى وجعل التوبة مقارنة للإصلاح[١].

وسمع الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) شخصاً يقول في حضرته:(أستغفر اللّه) فقال له: أتدري ما الاستغفار؟ الاستغفار درجة العليين، وهو اسم واقع على ستة معان: أولها: الندم على ما مضى. والثاني: العزم على ترك العودة إليه أبدا.

والثالث: أن تؤدي إلى المخلوقين حقوقهم حتى تلقى اللّه أملس ليس عليك تعبة. الرابع: أن تعمد إلى كل فريض عليك ضيعتها فتؤدي حقها. الخامس: أن تعمد الى اللحم الذي نبت على السحت (المال الذي يأتي من طريق الكسب الحرام) فتذيبه بالأحزان حتى تلصق الجلد بالعظم وينشأ بينهما لحم جديد. السادس: أن تذيق الجسم ألم الطاع كما أذقته حلاوة المعصية فعند ذلك تقول (أستغفر اللّه)[٢].

ويقول ناصر مكارم الشيرازي:((إنَّ بعض الشروط الستة هي في الحقيقة من كمال التوبة كما في الشرط الخامس والسادس ، اما الشروط الأربعة الأخرى هي من الشروط اللازمة والواجبة))[٣].

المطلب السابع: انواع التوبة ومراحلها

قال إلإمامَ الصادق (عليه السلام) :" وكلّ فرقة من العباد لهم توبة .... وتوبة الخاص ، من الاشتغال بغير الله تعالى ، وتوبة العام من الذنوب "[٤] .

الأمر الآخر هو الندم والعزم على ترك الذنب ، وهذه اولى مراحل التوبة ، بعد هذه المرحلة يكون للمذنب حالة روحانية كان عليها قبل ارتكابه للذنب مثل المريض الذي ابتلي بالحمى فعند

---

(١) ينظر: الاخلاق في القران ، ناصر مكارم الشيرازي ، ١٩٨ .

(٢) ينظر: المصدر نفسه ، ٢٠٠ .

(٣) الاخلاق في القران ، ناصر مكارم الشيرازي ، ٢٠٢ .

(٤) مصباح الشريعة ، ط٢، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، بيروت، ١٩٨٣م ، ٩٨ .

تعاطيه الدواء تذهب عنه الحمى ويتعاطى المنشطات ليستعيد صحته الاولى قبل المرض[١] ، ولربما كان قول الامام الباقر (عليه السلام) على هذا الأَساس :" التائب من الذنب كمن لا ذنب له ، والمقيم على الذنب وهو مستغفر منه كالمستهزى "[٢] .

إن للتوبة مراحل هي[٣]:

المرحلة الأولى: التوبة من الكفر إلى الايمان.

المرحلة الثانية: التوبة من الإيمان الموروث التقليدي والتحرك نحو الإيمان الحقيقي المستحكم .

المرحلة الثالثة: التوبة من الذنوب الكبيرة الخطرة .

المرحلة الرابعة: التوبة من الذنوب الصغيرة .

المرحلة الخامسة: التوبة من التكفير بالذنب ، والخواطر المشوبة بالمعصية وان لم يرتكب المخالفة في دائرة الفعل والممارسة .

يقول الشيخ ناصر مكارم الشيرازي((إن كل فرقة من العباد لهم توبة فتوبة الأنبياء من اضطراب السر– في كل لحظة لم يتوجهوا فيها الى الله تعالى بالباطن والسر– . وتوبة الاصفياء من كل تنفس بغير ذكر الله . وتوبة الاولياء من تلوين الخطرات . والخواص من الاشتغال بغير الله . وتوبة العوام من الذنوب . وكل واحد منهم يشتمل على نوع من المعرفة والعلم في أصل توبته ومنتهى أمره))[٤].

نوعا التوبة : توبة العلن وتوبة السر: عن رسول الله الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم): أحدث لكلّ ذنبٍ توبة:" السرّ بالسرّ والعلانية بالعلانية "[٥].

---

(١) ينظر: التوبة في القرآن الكريم والصحيفة السجادية ، ٤٦٦ .

(٢) اصول الكافي، الكليني، ٢ / ٤٣٥.

(٣) ينظر: الاخلاق في القران ، ناصر مكارم الشيرازي ، ٢١٠ .

(٤) ينظر: الاخلاق في القران ، ناصر مكارم الشيرازي ، ٢١١ ، بحار الانوار، المجلسي ، ٣١/٦٨ .

(٥) بحار الانوار ، المجلسي ، ٧٧ / ١٣٧.

أي أَن توبة العلن: وهي الّتي تستدعي أن يعلن الإنسان توبته أمام الخلائق جميعاً، وتكون من الذنوب الّتي جاهر بها في حياته كشرب الخمر علناً والعياذ بالله تعالى. وتوبة السرّ: من الذنوب الّتي فعلها الإنسان بينه وبين ربّه، كالنظر الحرام، وظنّ السوء، وسائر المحرّمات.

وفي فلسفة التوبة في الإسلام انه ربّما يتوّهم البعض أنّ في تشريع التوبة والدعوة إليها إغراءً بالمعصية ، وتحريضاً على ترك الطاعة ، بالقول إنّ العبد إذا أيقن أنّ الله تعالى يقبل توبته رغم اقترافه المعاصي ، تزيد جرأته على هتك الحرمات ، والنغماس في الذنوب ، فيدقّ باب القبائح ، معتمداً بذلك على التوبة ، ولكنّه توهّم ساقط من أصله ، فإنّه لو كان باب التوبة موصداً في وجه العصاة ، واعتقد المجرم بأنّ العصيان مرّة واحدة يدخله في عذاب اللّه ، فلا شكّ أنّه سيتمادى في اقتراف السيّئات وارتكاب الذنوب ، معتقداً بأنّه لو غيّر حاله إلى الأحسن ، لما كان له تأثير في تغيير مصيره ، فلأيّ وجه يترك لذات المحرّمات في ما يأتي من أيّام عمره ، وهذا بخلاف ما لو اعتقد بأنّ الطريق مفتوح والنوافذ مشرعة ، وأنّه لو تاب توبة نصوحاً ينقذ من عذابه سبحانه ، فهذا يعطيه الأمل برحمة اللّه تعالى ، ويترك العصيان في مستقبل أيّامه ، وكم وكم من الشباب عادوا إلى الصلاح بعد الفساد في ظلّ الإعتقاد بالتوبة ، بحيث لو لا ذلك الإعتقاد لأسهروا لياليهم في المعاصي ، بدل الطاعات[1] .

ولأجل ذلك نرى في التشريعات الجنائية العالميّة قوانين للعفو عن السجناء المؤبّدين ، إذا شوهدت منهم الندامة والتوبة ، وتغيير السلوك ، فتشريع هذا القانون يكون موجباً لإصلاح السجناء ، لا تقوية روح الطغيان فيهم ، فالإنسان حيّ برجائه ، ولو ساد عليه اليأس والقنوط من عفوه ورحمته سبحانه ، لزاد في طغيانه في عامة أدوار عمره[2] .

الخلاصة

١- إنَّ الكثير من الروايات تحَدثت عن التوبة وهذا الحجم الكبير من الروايات يدل على مكانة التوبة وأهميتها في السنة النبوية .

٢- إنَّ التوبة هي من ضروريات أفعال المؤمن .

---

(١) ينظر: التوبة دراسة في شروطها واثارها ، كمال الحيدري ، ٢٩ -٣٠ .

(٢) ينظر: المصدر نفسه ، ٣٠ .

٣- الحكمة من تشريع التوبة والاستغفار، فتح باب الرجوع إلى الله أمام العصاة المقرّين بخطئهم، وهو من أعظم أبواب الرحمة الإلهية والتجلي العملي لاسم الرحمن.

٤- المغفرة هي التغطية على الذنوب والعفو عنها، والغفور من أسماء الله الحسنى، أمّا التوبة، فتعني الإنابة والرجوع الاختياري عن المعصية إلى الطاعة والعبودية لله.

٥- التوبة من الذنب من الواجبات الإلهية، وإذا ارتكب إنسان ما حراماً أو ترك واجباً وجب عليه التوبة فوراً، ومع عدم ظهورها منه وجب أمره بها.

٦- للتوبة والاستغفار آثار إيجابية عظيمة، فهي تجلب الخير والرحمة الإلهية، وتدفع العذاب والنقمة، وتطرد الشيطان وأعوانه، وتبدّل السيئات حسنات، وتطهّر القلوب.

٧- للتوبة أركان وشروط تجب مراعاتها والالتزام بها حتى تصبح توبة العبد مقبولة، وأفضل أنواع التوبة هي التوبة النصوح، وهي التي لا يعود العبد بعدها إلى الذنب.

المبحث الثالث

التوبة بين اليهودية والمسيحية وإلاسلام

المبحث الثالث: التوبة بين اليهودية والمسيحية والاسلام

لقد عرفت التوبة في الإسلام بهذا الاسم ولم تعرف به في اليهودية والمسيحية ، بل عرفت باسم تكفير الخطايا ، وأما في الاسلام فقد عرفت باسم التوبة كما جاء في القرآن الكريم .

إن اليهودية والنصرانية قد اخذتا قصة خطيئة آدم (عليه السلام) من مصدر واحد وهو العهد القديم وكلتاهما تؤمنان به ولكن هناك اختلافا واسعا بينهما في كثير من الافكار والنتائج التي توصل اليها كل من اتباع الديانتين فهم وإن اتفقوا على أَن ادم قد نهي عن الاكل من الشجرة ، الا ان اليهودية لا تقول ان الخطيئة التي وقع فيها آدم جعلته واقعاً تحت الموت الأبدي ، بينما النصرانية تقول ان حكم الموت لم يكن واقعا على ادم الا بعد سقوطه في عثرة العصيان[١].

بينما إلاسلام الذي أَخذ القصة من القرآن الكريم وهو كتاب منزه ومحفوظ من التحريف عكس كتب اليهودية والمسيحية ، فهو ينظر الى خطيئة آدم من باب ترك الاولى وان النهي كان نهي ارشادي لا نهي مولوي ، ولم يترتب أي غضب الهي على ذرية آدم نتيجة ذلك الفعل وان ادم قد تاب من فعله وان الله تعالى قبل توبته[٢].

وهناك اختلاف بين الأديان السماوية في التعاطي مع التوبة والخطيئة، أورد الباحثون أهم تلك الاختلافات:

اولا: ترى المسيحية أَن الموت الجسدي الواقع على الانسان كان عقاباً من الله على الانسان بسبب عصيان ابيه آدم ، بينما لا تتحدث اليهودية عن هذا الموضوع ولا تذكره[٣]. بينما في الاسلام فقد ذكر القران الكريم ان آدم (عليه السلام) قد خلق لأجل السكن في الارض ، يقول الطباطبائي:((أن آدم (عليه السلام) إنما خلق ليحيا في الأرض ويموت فيها وإنما أسكنهما الله الجنة لاختبارهما ولتبدو لهما سوآتهما حتى يهبطا إلى الأرض ... وبالجملة فهو (عليه السلام) كان مخلوقا ليسكن الأرض، وكان الطريق إلى الاستقرار في الأرض هذا الطريق، وهو تفضيله

---

(١) ينظر: التوبة في اليهودية والنصرانية والإسلام، ٦٨ .

(٢) ينظر: الاخلاق في القران ، ناصر مكارم الشيرازي ، ١٩٠/١ .

(٣) ينظر: الخطيئة والتوبة بين اليهودية والمسيحية ، ٢٧٣ .

على الملائكة لإثبات خلافته، ثم أمرهم بالسجدة ، ثم إسكان الجنة))[1]، اذا فان الموت كان حتمياً على آدم وذريته ولم يأتِ بسبب معصية ادم.

ثانيا: تعتقد اليهودية أَن عقوبات عديدة جعلها الله على آدم وذريته منها ماهو متعلق بحواء من آلام الحمل والولادة ، ومنها ما يتعلق بالعناء التعب الذي يجده الانسان في الحياة والمصاعب التي يواجهها ، بينما في المسيحية لا تعتبر هذه العقوبات سببا لتكفير الخطيئة فان الخطيئة بقيت على بني آدم ولم تغفر ، وكل الكوارث والمحن التي حلت على الإنسانية هي بسبب خطيئة آدم[2].

بينما إلاسلام ينظر إلى أصل المسألة بنظرة تختلف عما يراه اصحاب الديانتين السماويتين ، والقرآن الكريم يدفع ذلك من جهتين: الأولى: أن نهي آدم عن الشجرة هناك كان نهيا إرشاديا يقصد به صلاح المنهي ووجه الرشد في أمره لا إعمال المولوية و الأمر الذي هو من هذا القبيل لا يترتب على امتثاله ولا تركه ثواب ولا عقاب مولوي كأوامر المشير ونواهيه لمن يستشيره، و أوامر الطبيب ونواهيه للمريض بل إنما يترتب على امتثال التكليف الإرشادي الرشد المنظور لمصلحة المكلف، وعلى مخالفته الوقوع في مفسدة المخالفة وضرر الفعل بما أنه فعل، وبالجملة لم يلحق بآدم (عليه السلام) إلا أنه أخرج من الجنة وفاته راحة القرب وسرور الرضا، و أما العقاب الأخروي فلا لأنه لم يعص معصية مولوية حتى يستتبع عقابا، والثانية: أن آدم (عليه السلام) كان نبيا والقرآن ينزه ساحة الأنبياء (عليهم السلام) عن اقتراف المعاصي والفسق عن أمر الله سبحانه، والبرهان العقلي أيضا يؤيد ذلك [3].

اذا بعد تلك المخالفة للأمر الإرشادي من الباري تعالى لأدم وزوجته ، وكان أول شيء فعله آدم بعد تلك المعصية انه بادر الى التوبة في محاولة منه للتكفير والتوبة ، وهو انهما اعلنا الندم والتوبة ، قال تعالى﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [الأعراف: ٢٣] ، وفي موضع آخر قال تعالى﴿ فَتَابَ عَلَيْهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ٣٧] وبذلك قبلت توبة آدم وحواء الخالصة من جانب الله تعالى[4].

([1]) الميزان ، الطباطبائي ، ٧١/١ .

([2]) ينظر: الخطيئة والتوبة بين اليهودية والمسيحية ، ٢٧٣ .

([3]) ينظر: الميزان ، الطباطبائي ، ١٦٣/٣ .

([4]) ينظر: الامثل، ٦٠٢/٤ .

إنَّ القصة القرآنية عن آدم (عليه السلام) وأكله من الشجرة يختلف تمامًا عن ما ذكرته التوراة عن سبب نهي الله تعالى آدم وزوجته عن الشجرة لأن الشجرة كانت شجرة المعرفة ، وأن التوراة تحمل حواء مسؤولية الإغواء ، بينما القرآن الكريم يوضح وبشكل قاطع أن المسؤولية تقع على وسوسة الشيطان بسبب عداوته للإنسان[١].

وتجدر الاشارة إلى أَن المكانة التي ذكرها القرآن الكريم لآدم عليه السلام عالية ورفيعة، فهو خليفة الله في الأرض ومعلم الملائكة، وعلى درجة كبيرة من التقوى والمعرفة، وهو الذي سجدت له ملائكة الله ، ومن المؤكد أنه لا يصدر عنه ذنب ، لكونه نبيّاً معصوما ، اذا فما هو الذنب الذي ارتكبه؟

إن لهذه المسالة ثلاثة تفسيرات ، على ما ذهب إليه ناصر مكارم الشيرازي بالقول: ((الاول: ما ارتكبه آدم كان (تركاً للأولى) أو بعبارة أُخرى كان (ذنباً نسبياً)، ولم يكن (ذنباً مطلقاً). الذنب المطلق، وهو الذنب الذي يستحق مرتكبه العقاب أياً كان، مثل الشرك والكفر والظلم والعدوان. والذنب النسبي هو الذي لا يليق بمرتكبه أن يفعله لعلوّ منزلة ذلك الشخص، وإن كان إرتكابه مباحاً... وآدم كان يليق به أن لا يأكل من تلك الشجرة، وإن كان الأكل منها غير محرّم بل (مكروهاً). . والثاني: نهي الله لآدم إرشادي، مثل قول الطبيب: لا تأكل الطعام الفلاني فتمرض. والله سبحانه قال لآدم: لا تقرب هذه الشجرة فتخرج من الجنّة. وآدم في أكله من الشجرة خالف نهياً إرشادياً. والثالث: الجنّة التي مكث فيها آدم لم تكن محلا للتكليف، بل كانت دورة إختبارية وتمهيدية لآدم كي يهبط بعدها إلى الأرض. وكان النهي ذا طابع إختياري))[٢].

ثالثا: تعتقد المسيحية أَن الله تعالى بسبب رحمته أَراد تخليص البشرية من تلك الخطيئة ولهذا انزل ابنه الوحيد المسيح على شكل انسان فقتل وصلب من أجل يمسح خطيئة الانسان الاول[٣].

---

(١) ينظر: الخطيئة والتوبة بين اليهودية والنصرانية والإسلام ، ٢٧٧ .

(٢) الامثل ، ١٦٨/١-١٦٩ .

(٣) ينظر: المسيحية نشاتها وتطورها ، شارل جنيبير، ترجمة عبد الحليم محمود ، منشورات المكتبة العصرية ، صيدا- بيروت ، ٩٨، المسيحية ، احمد شلبي ، ١١٦.

ورغم اعتقاد اليهودية بوجود المسيح المخلص لكن اعتقادهم يختلف جذريا عن اعتقاد المسيحيين فهم يرون انه سياتي في اخر الزمان ليخلصهم من الاضطهاد ، ولا علاقة له بخطيئة آدم كما يصورها المسيحيين[١].

وقول المسيحية إن الخطيئة لزمت آدم وكان على الله تعالى أن ينزل ولده لكي يقدم نفسه ويمسح تلك الخطيئة عن الإنسان ، أن القرآن الكريم يدفع هذه الشبهة عن آدم بقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيۡهِ وَهَدَىٰ ١٢٢ ﴾ [طه: ١٢٢] وقوله: ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ٣٧ ﴾ [البقرة: ٣٧] ، وأن القرآن يؤكد أن الخطيئة يتحملها فاعلها والتوبة كذلك تقبل من فاعلها ولا يوجد شيء أسمه أن الآخرين يتحملون ذنبا غير فاعليه[٢].

رابعًا: تعتقد اليهودية أن الانسان محاط بالشهوات والخطايا ولهذا تكثر التشريعات اليهودية فيما يخص الخطايا وتكفير الذنوب ، ومن أجل ذلك أقرت القرابين والضحايا والنذور كل ذلك في سبيل تخليص اليهودي من ذنوبه ، أما المسيحية فهي ترى أن السيد المسيح رغم أنه كفرَ الخطيئة الأولى للإنسان إلا أن الانسان رغم ذلك يقع في الخطيئة ولهذا أبتكرت مجموعة من الطقوس التي تزيل الخطيئة عن المسيحي وهي (التعميد والمناولة والاعتراف)[٣].

يقول القرآن الكريم إن الله تعالى لم يخلق الإنسان معصومًا من الخطأ ، بعيدين عن الزلل ، بل جعلهم الله قادرين على فعل الخير والشر ، قال تعالى ﴿ أَلَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ عَيۡنَيۡنِ ٨ وَلِسَانٗا وَشَفَتَيۡنِ ٩ وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ ١٠ ﴾ [البلد: ٨ – ١٠] ، النجدان: الطريقان ، طريق الخير والشر أي سبيلا الخير والشر[٤]، يقول سيد قطب:" أودع نفسه خصائص القدرة على إدراك الخير والشر ، والهدى والضلال ، والحق والباطل ، ليختار أيهما شاء ، ففي طبيعته هذا الاستعداد المزدوج لسلوك أي النجدين . والنجد الطريق المرتفع . وقد اقتضت مشيئة الله أن تمنحه القدرة على

---

(١) ينظر: الخطيئة والتوبة بين اليهودية والمسيحية ، ص٢٧٤ .

(٢) الميزان ، ١٦٣/٣

(٣) ينظر: الخطيئة والتوبة بين اليهودية والمسيحية ، ص٢٧٤ .

(٤) ينظر: مفاتيح الغيب ، الرازي ، ٢٩/١٧ .

سلوك أيهما شاء ، وأن تخلقه بهذا الازدواج طبقاً لحكمة الله في الخلق ، وإعطاء كل شيء خلقه ، وتيسيره لوظيفته في هذا الوجود . وهذه الآية تكشف عن حقيقة الطبيعة الإنسانية "[1].

وقوله تعالى: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ ﴾ [الشمس: ٧ – ١٠]، من خلال التأمل في هذه نلحظ ما قاله المفسرين ما يأتي:

١) ونفس وما سواها: إشارة إلى النفس الإنسانية ، وبالصورة التي عليها وهي أتم خلق الله وقيل سواها بالعقل الذي فضل به سائر الحيوان[2].

٢) فألهمها فجورها وتقواها: قال الطبرسي:((أي عرفها طريق الفجور والتقوى وزهدها في الفجور ورغبها في التقوى وقيل علمها الطاعة والمعصية لتفعل الطاعة و تذر المعصية و تجتني الخير وتجتنب الشر))[3]، والمقصود بالفجور الأسباب والعوامل والطرق المؤدية إلى الذنوب ، والتقوى من الوقاية وهي الحفظ ، وتعني أنّ يصون الإنسان نفسه من القبائح والآثام والسيئات والذنوب ، وتجدر الإشارة هنا أن (فألهمها فجورها وتقواها) لا تعني أنّ اللّه تعالى قد أودع عوامل الفجور والتقوى في نفس الإنسان، كما تصوّر بعضهم، واستنتج من ذلك دلالة الآية الكريمة على وجود التضاد في المحتوى الداخلي للإنسان! بل تعني أنّ اللّه تعالى علّم الإنسان هاتين الحقيقتين وألهمه إيّاهما، وبيّن له طريق السلامة وطريق الشرّ[4].

٣) قد أفلح من زكاها ، و قد خاب من دساها: أي قد أفلح من زكى نفسه وطهرها وأصلحها بطاعة الله وصالح الأعمال ، أي لكل أمرٌ منهما مجاله ولا ينبغي أن يختلط أحدهما بالآخر[5].

يقول الطباطبائي:((والآيات في بيانها لا تتعدى طور النفس بمعنى أنها تعتبر النفس هي المخلوقة المسواة وهي التي أضيف إليها الفجور والتقوى، وهي التي تزكى وتدسى، وهي التي

([1]) في ظلال القرآن ، ٤٨/٨ .

([2]) مجمع البيان ، الطبرسي ، ٣٣٠/١٠ .

([3]) ينظر: المصدر نفسه، ٣٣٠/١٠ .

([4]) ينظر: الامثل، ناصر مكارم الشيرازي، ٢٣٤/٢٠ .

([5]) ينظر: في ظلال القرآن ، سيد قطب ، ٤٨/٨ .

يفلح فيها الإنسان ويخيب، وهذا كما عرفت جري على مقتضى التكوين))[1]. أي أن الخطأ في حد ذاته هو من طبيعة الإنسان وأن الانسان فيه الخير والشر وهو مطالب بتنمية الخير والحد من الشر، وأنَّ الانسان يخطأ ويصيب وهذا ما يراه الاسلام وان باب التوبة مفتوح له عند خطاه.

خامسًا: تعتقد اليهودية أن ما حدث من حروب وفتن ومصائب حلت عليهم هو بسبب عصيانهم وانحرافهم وذنوبهم فعاقبهم الله بذلك ، بينما في المسيحية لا يوجد هذا الاعتقاد كون المسيح قد خلصهم من كل ذلك حسب أعتقادهم[2].

سادسًا: أستبدلت المسيحية القرابين التي تقدمها اليهودية في تكفير عن الخطايا بطقوس أخرى هي المناولة فاصبحت بدلا من القرابين ، وتعتقد المسيحية ايضًا أن للبابا ومن يخوله حق غفران الذنوب ، وهذا لا يعترف به اليهودية فقد ذهب الى وجوب حظور الكاهن في عملية التطهير وتقديم القرابين[3].

بينما يقر الإسلام أن الانسان عندما يذنب لا يحتاج إلى وسطاء فأن الله قريب الى الانسان فهو اقرب اليه من حبل الوريد ، وهم يدعونه ويناجونه في كل مكان وزمان ، دون الحاجة الى وسطاء[4].

نلحظ أن هناك أختلاف كبير بين اليهودية والمسيحية فيما يتعلق بخطيئة آدم ، أو فيما يتعلق بالخطيئة والتوبة التي تقع على الانسان في حياته والسبب في ذلك أن المسيحية جعلت من صلب المسيح محور لعقيدتها في التوبة ، أما أوجه الشبة بين اليهودية والمسيحية هو أنهما أخذا من مصدر واحد وهو العهد القديم .

رؤية القرآن الكريم للتوبة في المسيحية واليهودية

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ [البقرة: ٣٥ – ٣٦].

---

(1) الميزان ، ٩٢/٦ .

(2) ينظر: الخطيئة والتوبة بين اليهودية والمسيحية ، ص٢٧٤

(3) ينظر: المصدر نفسه ، ص٢٧٥ .

(4) ينظر: التوبة بين اليهودية والنصرانية والاسلام ، ٨١ .

في هذا اليوم الذي كان فيه آدم (عليه السلام) في امتحانه الاول في حياته تنطلق الاديان في تحديد تصوراتها الدينية حول فكرة الخطيئة والتوبة ، مع انه لا يوجد اختلاف في اصل الديانات انما الاختلاف جاء من تحريف الديانتين اليهودية والمسيحية ومتاجرة ارباب هذه الدينتين بالدين الامر الذي خلق تصور خاص لكل ديانة في مسألة الخطيئة والتوبة ، وحينما جاء الاسلام نسق القران كل التصورات حول مفهوم الخطيئة والتوبة في الديانات التي سبقته ، وكانت اولى خطوات السلام هو فضح اساليب المتاجرين بلدين والافتراء على القيم الالهية من قبل القائمين على ديانة اهل الكتاب[1] ، وجاء القران الكريم بوضوح انه ليس هناك معصية باقية على البشر ، علاوة على ذلك انه ليس هناك معصية باقية على آدم نفسه فقد تاب الله عليه بدليل قوله تعالى تَعَالَىٰ: ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ٣٧]. وليس هناك خطيئة موروثة من آدم على البشرية ، والرؤية القرآنية بذلك هي كل شخص يتحمل ذنوبه بنفسه ولا يتحملها أحد غيره كما يقرر ذلك القرآن بقوله تعالى ﴿ وَمَن يَكۡسِبۡ إِثۡمٗا فَإِنَّمَا يَكۡسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴾ [النساء: ١١١][2].

وبناءً على الذي جاء فيه القران الكريم فلا داعي إذاً أَن يكون المسيح فداءً لخطيئة آدم كما تصورها المسيحية ، وما دام ان ارتكب تلك المعصية آدم وتاب منها وقبلت توبته فوفق هذا المفهوم القرآني انتهت معصية آدم بوقتها ولم تحمل البشرية آثامها[3].

وفي هذا الصدد يقول سيد قطب:" ليست هناك خطيئة موروثة في الإسلام ، كالتي تتحدث عنها تصورات الكنيسة ، كما أنه ليست هناك كفارة غير الكفارة التي تؤديها النفس عن نفسها . وعندئذ تنطلق كل نفس حذرة مما تكسب . مطمئنة إلى أنها لا تحاسب إلا على ما تكسب . توازن عجيب ، في هذا التصور الفريد . هو إحدى خصائص التصور الإسلامي وأحد مقوماته ، التي تطمئن الفطرة ، وتحقق العدل الإلهي المطلق؛ المطلوب أن يحاكيه بنو الإنسان "[4].

([1]) ينظر: التوبة والتائبون ، مهدي الفتلاوي ، ٩٢-٩٤.

([2]) التبيان ، الطوسي ، ٣١٩/٣ ، مجمع البيان ، الطبرسي ، ١٦٤/٣ ، الميزان، الطباطبائي ، ٤٢/٥ .

([3]) ينظر: التوبة والتائبون، مهدي الفتلاوي ، ٩٥ .

([4]) في ظلال القران ، ٢٣٦/٢ .

يتحصل أن الخطيئة في الإسلام فردية والتوبة فردية فليست هناك خطيئة توارثها الانسان منذ ولادته كما في المسيحية ولا يحتاج للتوبة ان يقف المسلم بين يدي رجل الدين لكي يغفر له خطاياه.

خلاصة الفصل الثالث

١) إن الإنسان في نظر الإسلام معرضًا للخطأ والصواب وأن الله تعالى قد فتح أمامة أبواب التوبة لكي يعود عن خطأه . وكل أنسان يحاسب على ما فعله ولا يحمل ذنبه غيره وباب التوبة مفتوح في كل الأوقات والأماكن والأزمان .

٢) تعتقد اليهودية أن آدم وحواء جراء معصيتهم هبطوا من الجنة إلى الأرض ، وهذا اعتقاد مخالف للإسلام فأنهما قد تابا من المعصية وقد قبل الله تعالى توبتهم وأن نزولهم كان لأجل أعمار الأرض وتناسل البشر. وأما المسيحية فهي قامت على قضية معصية آدم وأن البشرية حملت هذه المعصية حتى جاء المسيح وخلص البشرية منها عندما قدم نفسه للصلب .

٣) اعتمدت اليهودية على المكفرات الدنيوية مثل القرابين والعطايا وذلك لأجل الحصول على الغفران ، ويرى العلماء أن اليهود لا يؤمنون بالعقاب في الآخرة ولهذا اعتقدوا أن المكفرات عن الذنب الدنوية تكفي لتكفير خطايا الكثيرة .

٤) تؤكد اليهودية على ضرورة وجود واسطة في تقديم القرابين وهذه يقوم بها الكاهن ، وأما المسيحية فهي تلزم معتنقيها الأعتراف بالذنب أمام الكاهن حتى يغفر له عن خطيئه ، والإسلام لا واسطة عنده بين العبد وربه .

٥) المسيحية ابتكرت مجموعة شعائر للتوبة تختلف عن اليهودية ومن تلك الشعائر هي الاعتراف والمناولة وصكوك الغفران ، ويعتقد كثير من الدارسين أن الكنيسة أخترعت تلك الشعائر من أجل بقاء السلطان في يدها .

الخاتمة والنتائج

الخاتمة والنتائج

١) الظاهرة هي كل شيء يدرك الإنسان وجوده، ويستطيع وصفه أو الحديث عنه، والتوبة هي النّدم على فعل المعصية لكونها معصية، وجوب تدارك ما سبق من التّقصير في الأعمال إن أمكن.

٢) إن التباين في هذه التعريفات راجع إلى طبيعة الظاهرة الدينية وأبعادها وزوايا النظر فيها. فللدين سمات مختلفة أرجعها بعضهم إلى ستة أبعاد: ١-الاعتقاد. ٢- الشعائر. ٣- الأخلاق. ٤- الأسطورة. ٥- الاجتماع وقوانينه. ٦- التجربة (المعنوية).

٣) استعمل الدين في القرآن الكريم بمعان، ومنها: الدين هو الحساب والجزاء، والطاعة والإذعان، الدين هو العقيدة، أي ما يتعبد به الإنسان ويدين به، ويأتي بمعنى التشريع والقانون ويرد بمعنى الدين، والإسلام .

٤) إن الكتب السماوية التي ورد ذكرها في القرآن الكريم يطلق عليها بالكتب السماوية وهو من باب إطلاق اسم الجزء على الكل كون أن جزء منها هو سماوي والجزء الآخر هو كتابات الرهبان والقائمين على تدوينها. إنها لا تعتمد كنصوص الهية كون التحريف قد نال منها، والقرآن الكريم هو الكتاب السماوي الوحيد الذي لم ولا تناله يد التحريف .

٥) هناك عدة تسميات اطلقت على اليهود وإن كل تسمية تدل على مرحلة تاريخية معينة من التاريخ اليهودي.

٦) اختلط الدين اليهودي بالتاريخ وبهذا أصبح لا يمكن فهم الدين عندهم إلا عند فهم تاريخهم. وتأثرت الديانة بالمراحل التي مر بها الشعب إلاسرائيلي وفي كل مرحلة تضاف تشريعات جديد ولم تكتمل إلا في المرحلة التلمودية ففيها اكتملت التشريعات اليهودية.

٧) أهم مصدرين للفكر اليهودي هما التوراة والتلمود وما جاء بعدهما من كتب وأفكار ماهي إلا بتأثير منهما وذلك لان اليهود ينشأوون وهم صغاراً على العهد التوراة والتلمود.

٨) يطلق في أحيان كثيرة على التوراة باسم العهد القديم وهو من باب إطلاق الجزء على الكل ، والعهد القديم يمكن اعتباره تاريخ وتراث اليهود ففيه شعر ونثر وسير وقصص وعبادات وقوانين وكل ما يخص الفرد اليهودي، ان مصادره مختلفة من حكايات شعبية وأساطير من

الدول التي سكن اليهود فيها أو التي تاثروا بأفكارها ، فهو ليس إلهي المصدر . ولم يتم تدوينه إلا بعد مرور ست قرون على رحيل موسى .

٩) إن التوراة المتداولة اليوم هي نتاج عمل الحاخامات ولسنوات طوال وأجيال من العلماء وليست لها أي صلة بتوراة موسى لأن توراة موسى قد فقدت واندثرت ولم يعد لها وجود حين تم تدوين الأسفار الخمسة، والتوراة الأصلية هي الكتاب الوحيد من كتب العهد القديم الذي يعترف به القرآن . أما المسيحية فتعرف بالتوراة المتداولة مع إضافة بعض الأسفار لها .

١٠) إن التلمود هو نتاج تجميع المشنأ(الروايات الشفهية التي لم تدوين) مع الجمارا(شروح تلك الروايات).

١١) التوبة كفكرة دينية في اليهودية كانت في بداية الأمر وسيلة للتكفير عن الذنوب والآثام الكثيرة التي يرتكبها اليهودي وكانت عن طريق تقديم الذبائح والقرابين للرب. وقد تطورت إلى مراحل عدة في بدايتها مجرد قربان يقدم للرب بغرض الشكر ثم تطورت ليكون الكاهن هو الوسيط الذي يقدمها ثم أصبحت شعورا داخليا بالندم على الذنب المرتكب. ثم أَخذت شكلا فلسفيا في العصور المتأخرة حيث تأثرت بالفلسفة اليونانية .

١٢) يتميز التاريخ البدائي وتاريخ الإباء لليهود بعدم وجود تكفير للخطيئة والمخرج الإلهي هو الحل من الذنوب والآثام التي يرتكبونها ، ولكن تشكل مفهوم التوبة بشكل له مواصفات محددة في عهد موسى

١٣) فكرة التوبة أهم الأفكار الدينية في اليهودية حيث تعتمد عليها الأفكار الأخروية وغير الأخروية. وتتشابك بفكرة الخلاص فالخلاص لن يحدث الا اذا تاب الشعب وعاد الى الرب وطاع امره.

١٤) أن قصة خطيئة آدم جاءت في أسفار التوراة ، فيها خرافات وأساطير أخذها اليهود من الأمم الأخرى المحيطة بهم ، وإن الديانة أعتمدت بشكل كبير على المكفرات الدنيوية للتخلص من الذنوب ولتكفير الخطايا وتمثل ذلك في قرابين وهدايا وعطايا تقدم ويشرف أحد الكهنة على تقديمها أي هناك واسطة في تقديمها ، وجاء ذلك نتيجة عدم إيمانهم بالعقوبة في الأخرة ، فأستخدموا تلك المكفرات للذنب في الجزاء الدنيوي .

١٥) ان الديانة المسيحية الحالية هي ديانة من صياغة بولس ، وهي تتعارض مع وصايا المسيحية وهناك فرق بين ماجاء به المسيح وبين الديانة المسيحية . وقد بدأت مشتتة، ونشأت فرق متناحرة وعبادات متناقضة وقام الباباوات بتكوينها عبر المجامع والانقسامات. وتعرضت لتحديات انعكست على عقائدها وكان تعرضها للاضطهاد له أثر كبير في صياغة عقائدها وثوابتها حيث تغيرت ثوابتها طبقاً للوضع السياسي التي تواجهه.

١٦) يشترك المسيحيون مع اليهود في العهد القديم ، والعهد الجديد لا تعترف به اليهود واسفاره خاصة للمسيحية، واسفار العهد الجديد كتب لا يعرف كتابها بوجه الدقة ولم يصرح كتابها بأنها موحى بها من الله ولا تنسب للسيد المسيح .

١٧) إن اسفار العهد الجديد هي كتب ألفها البشر وقدسها ومنحوها صفة القداسة عبر المجامع التي قبلت من ترغب به من الأسفار ورفضت من لا تلائم مع توجهها.

١٨) الديانة المسيحية هي خليط من أفكار وثنية وفلسفة وقانون روماني وأديان شرقية اندمجت مع بعضها لتشكل ما يسمى الفكر والعقيدة المسيحية. وتتمحور أفكار المسيحية حول ثلاثة أمور هي التثليث والفداء ومحاسبة المسيح للناس.

١٩) إنَّ العهدين القديم والجديد والمجاميع الكنيسية هما أهم مصادر العقيدة المسيحية.

٢٠) مرت التوبة في المسيحية بمراحل ثلاث : الأولى: الخلاص العام من الخطيئة الأولى التي لصقت بالبشرية جراء الخطأ الذي حصل من آدم ، وجاء الخلاص العام بفداء السيد المسيح نفسه لأجل خلاص البشرية من تلك الخطيئة . والثانية: الخلاص وقبول التوبة بمغفرة الكنيسة لمن تشاء على أي وجه ترضاه ويعد صك الغفران نموذجاً لذلك الفعل. والثالثة: الخلاص من الذنب بالاعتراف تفصيلا أمام احد القساوسة .

٢١) الخطيئة والتوبة في المسيحية لها مفهوم مختلف عن غيرها من الأديان السماوية الأخرى لكون المسيحية قد تأسست على قضية محورية وهي خطيئة آدم وان البشرية بأسرها تتحمل الخطيئة الأولى التي أرتكبها أبوهم آدم وقد توارثها النسل البشري منه ، ومن أجل تخليص البشرية من هذه الخطيئة فقد ضحى الله (جل وعلا) بأبنه الوحيد كما – حسب زعمهم– وقد صلب ليحمل وزر هذا الاثم عن البشرية وبهذا الفعل رفع الله الاثم عن بقية البشر .

٢٢) استعانت المسيحية بطقوس للتكفير عن الخطايا وهي التعميد والمناولة والاعتراف ، وتلك طقوس يراها الدارسون الغاية منها إحكام الكنيسة سلطتها على أتباعها ، وجعلت من القسيس واسطة لقبول توبة العبد .

٢٣) إن الخطيئة في الإسلام فردية والتوبة فردية فليست هناك خطيئة جماعية إن الإنسان يحاسب عما فعله هو فقط ولا يحمل آخر وزره ، ولا وساطة بين العبد وربه في قبول التوبة وتكفير الخطيئة . توارثها إلانسان منذ ولادته كما في المسيحية ولا يحتاج للتوبة أن يقف المسلم بين يدي رجل الدين لكي يغفر له خطاياه.

٢٤) إن آدم تاب الله عليه وغفر له لا وكان نزوله للأرض لغرض أعمارها وتناسل البشر .

٢٥) إن الكثير من الروايات تحدثت عن التوبة وهذا الحجم الكبير من الروايات يدل على مكانة التوبة واهميتها في السنة النبوية .

٢٦) للتوبة أركان وشروط تجب مراعاتها والالتزام بها حتى تصبح توبة العبد مقبولة، وأفضل أنواع التوبة هي التوبة النصوح، وهي التي لا يعود العبد بعدها إلى الذنب.

ثَبَتُ المَصَادِرِ والمَرَاجِعِ

- خَيْرُ مَا نَبْتَدِئ بِهِ: الْقُرآنُ الْكَرِيمُ

أَوَّلًا: المَصَادِرُ الْقَدِيمَةُ

[أ]

- أساس البلاغة ، الزمخشري: أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) تح: محمد باسل عيون السود، ط١، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م.
- اشتقاق أسماء الله ، عبد الرحمن بن إسحاق البغدادي النهاوندي الزجاجي، أبو القاسم (ت: ٣٣٧هـ) تحقيق: د. عبد الحسين المبارك، ط٣ ، مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م
- أصول الكافي ، الكليني: أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الرازي (ت ٣٢٩هـ) ، تح: علي اكبر غفاري ، ط٣، دار الكتب الإسلامية، طهران ، ١٣٨٨هـ .ميزان الحكمة، محمد اليشهري ، ط١، دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٤٢٢هـ.

[ب]

- بحار الأنوار، المجلسي: محمد باقر(ت١٠٣٧هـ) ، تصحيح: محمد باقر حمودي ، ط١، منشورات مطبعة وزارة الارشاد الإسلامي ، ١٣٦٥هـ .

[ت]

- تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي ، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني (ت ١٢٠٥هـ) تح: مجموعة من المحققين ، دار الهداية، ١٤٢٢ هـ.

- التِّبيان في تفسير القُرْآن، الطوسي: أبي جعفر محمد بن الحسن بن علي (ت ٤٦٠هـ) ، تح: مُؤَسَّسة النَّشر الإسلامِيّ ، ط١، منشورات: مُؤَسسّة النَّشرِ الإسلاميّ، قم المُشَرَّفة ، ١٤١٧هـ.

- تحف العقول ، ابن شعبة الحراني ، تحقيق: علي أكبر الغفاري، ط٢، ١٤٠٤هـ .
- تفسير أسماء الله الحسنى، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (ت٣١١هـ) تح: أحمد يوسف الدقاق ، دار المأمون للتراث، د.ط ، دمشق ١٩٥١م.
- تفسير الصافي، الفيض الكاشاني، الناشر: مكتبة الصدر، ط٢، قم المقدسة، ١٤١٦هـ
- تفسير العياشي ، العياشي: أبي النصر محمد بن مسعود ابن عياش السلمي السمرقندي(ت ٣٢٠هـ) ، تصحيح: هاشم الرسولي المحلاتي/ ط١، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات / بيروت ، ١٩٩١م – ١٤١١هـ .
- تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير: إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ) ، تح: محمد حسين شمس الدين/ ط١، دار الكتب العلمية/ بيروت ، ١٤١٩ هـ.
- تهذيب اللغة ، الازهري ، محمد بن أحمد (ت٣٧٠هـ) تح: محمد عوض مرعب، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت ٢٠٠١م.

[ج]

- جَامِع البَيَان عن تأويل آي القرآن المعروف بـ (تفسير الطَّبَرِيّ)، الطَّبرِيّ: أبو جَعْفَر ، محمَّد بن جَرِير (ت ٣١٠هـ)، تح: د. عبد الله بن عبد المُحْسِن التُّركيّ، بالتَّعاون مع مركز البحوث والدِّراسات العربيّة والإسلاميَّة بدار هَجَر: د. عبد السَّند حسن يَمامَة، ط١، دار هَجَر، منشورات: مركز البحوث والدَّراسات العربيَّة والإسلاميَّة ، القاهرة، ١٤٢٢هـ.
- جامع السعادات، محمد مهدي النراقي(ت١٢٠٩هـ)، تحقيق وتعليق : السيد محمد كلانتر ، تقديم : الشيخ محمد رضا المظفر، ط٤ ، دار النعمان ، د.ت .

- الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت ٦٧١هـ) تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط٣ ، دار الكتب المصرية – القاهرة ، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م.
- جمهرة اللغة ، ابن دريد الأزدي (ت٣٢١هـ)، تحقيق رمزي منير بعلبكي ، ط١، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٧م .
- جواهر الفقه ، ابن البرّاج : عبد العزيز بن نحرير (ت ٤٨١ هـ) تح: إبراهيم بهادري ، ط١، ١٤١١هـ.

[د]

- الدر المنثور في التفسير المأثور ، السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ) ، تح: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط١، مركز هجر للبحوث وللدراسات العربية والاسلامية ، القاهرة ، ٢٠٠٣م.

[ز]

- زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) تح: عبد الرزاق المهدي ، ط١ ، دار الكتاب العربي – بيروت – ١٤٢٢ هـ .

[ش]

- شرح كلمات أمير المؤمنين ، البحراني، كمال الدين بن علي بن ميثم(ت ٦٧٩هـ) تعليق: الشيخ عبد الوهاب ، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية ، قم د. ت .

[ع]

- العين ، الفراهيدي: الخليل بن احمد(ت١٧٠هـ) تح: د. عبد الحميد هنداوي ، ط١، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠٣م.

[ف]

- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، الشوكاني: محمد بن علي بن محمد (ت ١٢٥٠هـ) ، تح: عبد الرحمن عميره ، دار الفكر، د. ط ، بيروت ، ١٩٨٣م .

[ق]

- القاموس المحيط ، الفيروزآبادي : مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ) تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة ، ط٨ ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م .

[ك]

- كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ، التهانوي : محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي (ت بعد ١١٥٨هـ) ، تح: د. علي دحروج نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناني ط١، مكتبة لبنان ناشرون – بيروت، ١٩٩٦م .
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، جار الله (ت٥٣٨هـ) ، ط٣ ، دار الكتاب العربي – بيروت – ١٤٠٧ هـ.
- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، علاء الدين علي بن حسام الدين ابن قاضي خان القادري الشهير بالمتقي الهندي (ت ٩٧٥هـ)، تح: بكري حياني – صفوة السقا، ط٥، مؤسسة الرسالة، ١٤٠١هـ-١٩٨١م .
- الكنيسة ، الكتاب المقدس نسخة فان دايك/ طبع الرسالة السريانية ،٢٠٢٠م.

[ل]

- لسان العرب ، ابن منظور، محمد بن مكرم بن على (ت ٧١١هـ) ، ط٣، دار صادر، بيروت ، ١٤١٤ هـ.

[م]

- المحجّة البيضاء، محسن الكاشاني ، محمد بن المرتضى(ت١٠٩١هـ)، تح: علي اكبر غفاري ، مكتبة الصدوق ، طهران، د. ط / د.ت
- المحيط في اللغة، الصاحب بن عباد ، إسماعيل بن عباد بن العباس (ت٣٨٥هـ) ، تح: محمد حسين ال ياسين ، ط١، عالم الكتب، بيروت ، ١٩٩٤م .
- المخصص في اللغة، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت ٤٥٨هـ) تح: خليل إبراهم جفال ، ط١ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م.
- المستصفي في علم الأصول، الغزالي، ابو حامد (ت٥٠٥هـ)، تح : حمزه بن زهير حافظ ، ط١، شركة المدينة المنورة للطباعة ، المدينة ، ١٤٠١هـ.
- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ، الفيومي: أحمد بن محمد بن علي (ت نحو ٧٧٠ هـ)، تح: عبد العظيم الشناوي ، ط٢، دار المعارف ، القاهرة ، د.ت .
- المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهانى (ت ٥٠٢هـ) تح: صفوان عدنان الداودي، ط١، دار القلم، الدار الشامية ، دمشق– بيروت ، ١٤١٢ هـ .
- مجاز القرآن، أبو عبيدة : معمر بن المثنى التيمى البصري (ت٢٠٩هـ) تح: محمد فواد سزگين ، مكتبة الخانجى ، القاهرة ١٣٨١ هـ.
- مجمع البحرين/ الطريحي: فخر الدين النجفي(ت١٠٨٥هـ) ، تح: أحمد الحسيني، ط٢، ١٤٠٨هـ .
- مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: الفضل بن الحسن (ت ٥٤٨هـ) ، تح: هاشم الرَّسوليّ المَحَلاّتي/ ط١، منشورات: مؤسَّسة الأعلميّ للمطبوعات/ بيروت، ١٤٠٦هـ.
- مصباح الشريعة ، منسوب للأمام الصادق(عليه السلام)، ط٢، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، بيروت، ١٩٨٣م.

- معالم التنزيل معالم التنزيل في تفسير القرآن ، البغوي: أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء (ت ٥١٠هـ) ، تح: عبد الرزاق المهدي/ ط١، دار إحياء التراث العربي/ بيروت ، ١٤٢٠ هـ .
- مقاييس اللغة ، ابن فارس ، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني (ت ٣٩٥هـ) تح: عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر د.ط ،١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.
- منهاج اليقين في أصول الدين، العلامة الحلي، الحسن بن يوسف، تح: محمد رضا الأنصاري القمي، ط ١ ، ١٤١٢ هـ.

[ن]

- النكت والعيون ، الماوردي: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، (ت ٤٥٠هـ) ، تح: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم / دار الكتب العلمية د . ط/ بيروت ، د. ت .
- النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الاثير: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري (ت ٦٠٦هـ) ، تح: طاهر أحمد الزاوى ومحمود محمد الطناحي ، المكتبة العلمية ، د.ط ، بيروت، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.
- نور الثقلين ، الحويزي: عبد علي بن جمعه(ت١١٢١هـ) ، تح: علي عاشور، ط١ ، مؤسسة التاريخ العربي، د.ت .

ثَانِيًا: المَرَاجِعُ الحَدِيثَةُ

[أ]

- الأَخلاق في القران ، ناصر مكارم الشيرازي ، ط٢، مدرسة الامام علي ، قم ، ١٤٢٦هـ.
- أديان العالم ، حبيب سعيد، دار الكنيسة الأسقفية، د. ط/ د.ت .

- أديان العرب قبل الإسلام، الاب جرجس داود، ط٢، المؤسسة الجامعة للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٩٨٨م .
- أديان ومعتقدات العرب، سميح دغيم، ط١، دار الفكر اللبناني ، بيروت ١٩٩٥م.
- إسرائيل والتلمود دراسة تحليلة، إبراهيم خليل احمد ، مكتبة الوعي العربي ، د/ط ، ١٩٦٧م .
- الاسفار المقدسة للأديان السابقة للإسلام، علي عبد الواحد وافي، ط١، دار النهضة ، مصر ١٩٦٤م.
- أسماء بنت عيسى/ الظاهرة الدينية في الفكر المعاصر، أطروحة دكتوراه- كلية العلوم الإسلامية- جامعة باتنه- الجزائر، ٢٠١٨م.
- أصول المسيحية كما يصورها القران، داود علي الفاضلي، دار المعارف، د. ط ، الرباط ، ١٩٧٣م .
- اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها، جيبون، ط٢، القاهرة ، ١٩٦٧م.
- أضواء على المسيحية ، رؤوف شلبي ، ط١، المكتبة العصرية ، بيروت ١٩٨٥م.
- أطلس الأديان، سامي عبد الله، مكتبة العبيكان، ظ١، الرياض ١٤٢٨هـ.
- الامبراطورية الرومانية، تشارلز وورث، ترجمة رمزي عبده الزهرة جرجس، د. ط ، القاهرة ٢٠٠٣م.
- الأمثل، ناصر مكارم الشيرازي، مدرسة الامام علي ابن ابي طالب ، ط١/ ايران – قم ١٤٢٦هـ.
- الإنجيل والصليب ، عبد الاحد داود، تح: سليم العراقي، ط١، القاهرة ١٣٥١هـ .
- الإيمان بالقرآن الكريم والكتب السماوية، علي محمد الصلابي، ط١، ٢٠١٠م.

[ب]

- بنو اسرائيل/ محمد بيومي مهران، دار المعرفة الجامعية د.ط ، الإسكندرية ، ١٩٩٩م.
- بوليس وتحريف المسيحية، هيم ماكبي ، ترجمة: سميرة عزمي الزين، منشورات المعهد الدولي للدراسات الانسانية ، د. ط/ د. ت .

- البيان الصحيح لدين المسيح ، ياسر جبر، دار الخلفاء الراشدين ، د. ط، الإسكندرية ٢٠٠٧م .
- بين الجاهلية والإسلام، محمد مهدي شمس الدين، ط٥، المؤسسة الدولية للدراسات– بيروت، ٢٠٠٠م.

[ت]

- تأثر المسيحية بالأديان الوضعية ، احمد علي عجيبه ، ط١، دار الافاق العربية، القاهرة ٢٠٠٦م.
- تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ، محمد محمد مرسي الشيخ، دار المعرفة الجامعية، د. ط ، القاهرة ، ١٩٩٤م.
- تاريخ الديانة اليهودية، محمد خليفة حسن، دار قباء للطباعة والنشر، ط١، القاهرة ١٩٩٨م .
- تاريخ الشعب العبري، اندريه موليز، تعريب أنطوان الهاشم، ط١، عويدات للنشر والطباعة، بيروت ، ١٩٩٩م .
- تاريخ اللغات السامية، اسرائيل ولنفنسون، ط١، مطبعة الاعتماد ، مصر١٩٢٩م.
- تاريخ اوروبا في العصور الوسطى، سعيد عبد الفتاح عاشور، دار النهضة العربية، د. ط، بيروت – ١٩٧٦م.
- تاريخ بني اسرائيل في اسفارهم، محمد عزه دروزه ، مطابع شركة الإعلانات الشرقية ، مصر ، د.ط/ د.ت .
- التفسير الوسيط للقرآن الكريم ، محمد سيد طنطاوي(ت١٤٣١هـ)، ط١، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع / الفجالة – القاهرة ، ١٩٩٧م.
- التلمذ للمسيح، هاينريش آرنولد J. Heinrich Arnold ، دار المحراث للنشر، د. ط، ٢٠١٨م .
- التمهيد في علوم القران ، محمد هادي معرفه ، ط١، دار التعاريف للمطبوعات ، بيروت ، ٢٠٠٧م.

- التوبة دراسة في شروطها وآثارها ، كمال الحيدري ، مؤسسة الامام الجواد للفكر والثقافة، د. ط/ د.ت .
- التوبة والتائبون/ مهدي الفتلاوي/ ط١، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات / بيروت، ١٩٥٨م.

[ج]

- الجوانب الخفية من تاريخ المسيح، ناصر المنشاوي، د. ط ، ٢٠٠٣م .
- جواهر الكلام في شرائع الاسلام، محمد حسن النجفي، ط٧، دار احياء التراث العربي، بيروت١٩٨١م .

[ح]

- حدود الدين ومدياته ، مصطفى كريمي، ط١، مركز الحضارة للتنمية الإسلامية ، بيروت ، ٢٠١٠م .
- حياة الفكر في العالم الجديد ، زكي نجيب محمود، ط٢، دار الشروق- القاهرة، ١٩٨٢م.

[خ]

- الخلاص من الخطيئة في مفهوم اليهودية والمسيحية والإسلام، محمد عبد الرحمن عوض، دار البشير، القاهرة د. ط/ د.ت .

[د]

- دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، سعود عبد العزيز، ط٤، مكتبة أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية ، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.
- دراسة في مصادر وعقائد الاديان السماوية، طارق خليل ، ط١، دار العلوم العربية ، بيروت – ٢٠٠٥م .
- دروس من التاريخ، ويل وآريل ديورانت، ترجمة يوسف ربيع، ط١، عصير الكتب ، القاهرة، ٢٠٢٠م .
- الديانة المسيحية، نهى النجار، ط١، دار الفكر اللبناني، بيروت ١٩٩٥م.
- دين الانسان/ فراس السواح، ط٢، دار علاء الدين للنشر والترجمة، دمشق ٢٠٠٢م.
- الدين في ضوء علم النفس، يونغ ، ترجمة: نهاد خياطة، دمشق ١٩٨٨م.

- الدين والاغتراب الميتافيزيقي، د. عبد الجبار الرفاعي، ط٢، مركز دراسات فلسفة الدين- بغداد، ٢٠١٩م.

[ر]

- رؤية في سقوط الامبراطورية الرومانية، محمود محمد الحويري، د. ط، القاهرة ١٩٨١م.

- الرهبانة المسيحية وموقف الإسلام منها، احمد عجيبه، ط١، دار الأفاق العربية، القاهرة ، د.ت .
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسَّبع المثاني، الآلوسِيّ: أبو الفَضل، شهاب الدِّين محمود البغداديّ (ت١٢٧٠هـ)، تح: محمَّد أحمد الأمَد، وعمر عبد السَّلام السَّلامِيّ، ط١، دار إحياء التُّراث العربيّ، بيروت، ١٤٢٠هـ.

[س]

- السنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم، تفسير سفر المزامير، وليم مارش، د.ط ، ٢٠١٦م .

[ش]

- الشريعة في مرآة المعرفة ، جوادي آملي ، مركز أسراء ، قم، ١٩٩٩م .
- الشيعة في الإسلام ، محمد حسين الطباطبائي ، ط١، بيت الكاتب للطباعة والنشر ، ١٩٩٩م .

[ص]

- الصهيونية والماسونية، عبد الرحمن سامي، ط٢، مطابع رمسيس ، الإسكندرية – مصر ، ١٩٥٠م .

[ع]

- العصور الاوربية الوسطى، عبد القادر احمد اليوسف ، ط١، المكتبة العصرية، صيدا- لبنان ، د. ت .
- العقيدة الإسلامية واسسها ، عبد الرحمن الميداني، ط٢، دار القلم، دمشق ، ١٩٧٩م .

- عيسى المسيح والتوحيد، محمد عطا الرحيم، ترجمة عادل حامد محمد، ط٣، مركز الراية للنشر والاعلام، القاهرة ٢٠١١م .

[ف]

- فاكهة البستان ، عبد الله البستاني، المطبعة الامريكانية، د.ط، بيروت – لبنان ، ١٩٣٠م.
- الفِرَق والمذاهب المسيحية ، نهاد خياطة، ط٢، دار الأوائل، دمشق ١٤٢٥هـ.
- الفكر الأصولي واستحالة التأصيل، د. محمد أركون ، ترجمة: هاشم صالح، ط١ ، دار الساقي، بيروت ، ١٩٩٩م.
- الفكر الديني الإسرائيلي اطواره ومذاهبه، حسن ظاظا، معهد البحوث والدراسات العربية، د. ط ، ١٩٧١م .
- في ظلال القران، سيد قطب إبراهيم حسين الشاذلي (ت ١٣٨٦هـ) / ط٣٢، دار الشروق ، بيروت ، ٢٠٠٣م.

[ق]

- قاموس الكتاب المقدس، مجموعة من اللاهوتيين، هيئة التحرير، بطرس عبد الملك واخرون ، دار الثقافة، د.ط ، القاهرة ، ١٩٩٥م.
- قصة الحضارة، وول ديورانت، المجلد الثاني ، ترجمة: محمد بدران ، دار الجيل، د.ط ، بيروت لبنان ، د.ت .
- الكنيسة ، الكتاب المقدس نسخة فان دايك، طبع الرسالة السريانية ،٢٠٢٠م.
- الكنيسة المسيحية في عصر الرسل، نيافة الانبا يوانس ، ط٣، مطبعة الانبأ رويس، القاهرة –١٩٨٧م .

[ل]

- ألله والأنبياء في التوراة والعهد القديم، محمّد علي البارّ، ط١، دار الشامية، بيروت ١٩٩٠م.
- ألله، عباس محمود العقاد ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، د.ط / د.ت .

[م]

- ماذا تعرف عن المسيحية، عبد الفتاح الزيات ، ط٣، مركز الراية للنشر والاعلام، القاهرة ٢٠٠١م .
- المجتمع اليهودي، زكي شنوده ، مكتبة الخانجي د.ط ، القاهرة ، د.ت .
- محاضرات في تفسير آيات الاحكام ، د. عبد الامير كاظم زاهد ، ط٣، العارف للمطبوعات ، بيروت – لبنان ٢٠١٥م.
- محاضرات في النصرانية ، محمد أبو زهرة ، ط٣، دار الفكر العربي ، القاهرة ١٩٦٦م .
- محنة التوراة، عصام الدين حنفي ناصف ، ط١، مطبعة الرسالة ، ١٩٦٥م.
- محيط المحيط، بطرس البستاني، مكتبة لبنان د.ط ، بيروت، ١٩٨٧م .
- المدخل إلى الكتاب المقدس، حبيب سعيد ، دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية بالقاهرة ، د.ط/ د.ت .
- المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم ، محمد علي الباز، ط١، دار القلم ، دمشق ، ١٩٩٠م.
- مستدرك الوسائل، حسين تقي النوري(ت١٣٢٠هـ) ، تح: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ، ط١، دار الخلافة ، ١٤٠٨ – ١٩٨٧ م.
- المسيح حياته وأعماله، الاب متي المسكين، ط١، مطبعة دير القديس انبا مقار، القاهرة ١٩٩٨م.
- المسيحية ، احمد شلبي ، ط١٠، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، د.ت .
- المسيحية ، ساجد منير، دار السلام ، الرياض، د. ط/ د.ت .
- المسيحية نشاتها وتطورها، شارل جنيبر، ترجمة عبد الحليم محمود، المكتبة العصرية، د. ط ، بيروت ٢٠٠٧م .
- المسيحيون الأوائل، ابرهارد ارنولد، تقديم مرقس ارنيوس، تحقيق حبيب هناء عزيز، مكتبة المنار، د. ط ، القاهرة ٢٠٠٠م .
- مصر في العصر البيزنطي، رافت عبد الحميد محمد وطارق منصور محمد، دار مصر العربية، د. ط/ د.ت .
- معجم الفاظ القران الكريم / مجمع اللغة العربية / ط٢، ١٤٠٩هـ – ١٩٨٨م.

- المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى واخرون ، ط٤، مكتبة الشروق الدولية ، ٢٠٠٨م .
- مقارنات الديانات، محمد أبو زهرة ، دار الفكر العربي، د. ط ، القاهرة، ١٩٧٤م .
- مقارنة الأديان دراسة في عقائد ومصادر الأديان السماوية، طارق خليل السعدي ، الدار العلوم العربية للطباعة والنشر، ط١، بيروت ٢٠٠٥م.
- الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة، د. ناصر العقل ود. ناصر القفاري، ط١، دار الاصمعي، الرياض .١٩٩٢م .
- مسالة صلب المسيح بين الحقيقة والافتراء، احمد ديدات ، ترجمة: علي الجوهري، دار الفضيلة، القاهرة ، د. ط/ د.ت .
- موسوعة اليهود واليهودية ، عبد الوهّاب المسيري، ط٥، دار الشروق، عمان ، ٢٠٠٩م.
- موسوعة تاريخ الأديان ، الكتاب الخامس، تحرير فراس السواح، ترجمة عبد الرزاق العلي ومحمود منقذ الهاشمي ، الناشر التكوين ، د.ط /د.ت .
- الميزان في مقارنة الأديان، محمد عزة الطهطاوي، ط١، دار القلم ، دمشق – ١٩٩٣م .
- الميزان، الطباطبائي ، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، ط١ بيروت ١٩٩٧م.

[ن]

- النصرانية من التوحيد الى التثليث، محمد احمد الحاج، ط١، دار القلم دمشق – ١٩٩٢م.

[ي]

- اليهود تاريخ وعقيدة ، د. كامل سعفان، دار الاعتصام، د. ط/ د.ت ، ص.
- اليهودية والمسيحية، محمد ضياء الرحمن الاعظمي، ط١، مكتبة الدار المدينة المنورة ، ١٩٨٨م .
- اليهودية واليهودية المسيحية، فؤاد حسنين علي، معهد البحوث والدراسات العربية د.ط ، ١٩٦٨م.
- اليهودية، احمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية، ط٢، القاهرة ١٩٨٨م.
- اليهودية، محمد بحر عبد، مركز الدراسات الشرقيه– جامعة القاهرة، د. ط/ د.ت .

ثالثا: الرَّسائل والأطاريح الجامعيّةُ:

١- الرَّسائل

- التوبة واثرها في الفرد والمجتمع ، وسام عباس حسان (رسالة ماجستير) ، مقدمة إلى جامعة محمد بن سعود الإسلامية- المملكة العربية السعودية، ١٩٨٣م.
- مصادر العقيدة في اليهودية والنصرانية، حياة مسعودي، (رسالة ماجستير) جامعة الشهيد حمه لخضر ، ٢٠١٨م.

٢- الأطاريح

- الظاهرة الدينية في الفكر المعاصر، أسماء بنت عيسى ، مقدمة الى كلية العلوم الإسلامية جامعة باتنه، الجزائر، ٢٠١٨م.

رابعا: البحوث والمجلات

- الابعاد العقدية لمفهوم الخطيئة في النص التوراتي والانجيلي، محمد الشافي، بحث منشور (النت) ، جامعة محمد الخامس ، الرباط – المغرب .
- التطور الفلسفي لمفهوم التوبة في سفري أيوب والجامعة، منة الله مصطفى عامر لطفي، منشور في مجلة المنصة للعلوم واللغات والآداب، مج٣، العدد الأول، حزيران ٢٠٢٢م
- التوبة في القرآن الكريم والصحيفة السجادية(بحث)، مينا شمخي، سيد يوسف محفوظي موسي، مجتبى رسايي ، منشور في مجلة ابحاث ميسان ، المجلد الثامن عشر ، العدد الخامس والثلاثون ، ٢٠٢٢
- التوبة في اليهودية والنصرانية والإسلام، عادل محمد احمد الحسيني، منشور في مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بدمنهور، العدد الخامس ٢٠٢م ، ٨/ ٢٨ .
- الخطيئة الأولى للإنسان(مقال)، مجيد ملاّ يوسفي، ترجمة وسيم حيدر، بحث منشور (النت) ، بيروت .
- الخطيئة والتوبة بين اليهودية والمسيحية، محمد احمد الخطيب، بحث منشور (النت) كلية الشريعة والقانون، جامعة قطر.

- ظهور المسيحية وتطورها حتى سقوط الشطر الغربي من الامبراطوريه الرومانية، طالب محيبس الوائلي، بحث منشور في مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية، العدد ٣٣، في تاريخ ١/٤/ ٢٠١٩م.

خامسا: مواقع الانترنت:

- https://nosos.net/%D٨٪A٧٪D٩٪٨٤٪D٨٪AE%D٨٪B٧٪D٩
- https://www.aldiwan.net/cat-poet-dhul-rumma
- http://st-takla.org/Saints/Coptic-Orthodox-Saints-Biography/Coptic-Saints-Story_١٥٣٢.html

الملخص

إنَّ قضايا الخطيئة والتوبة من أهم وأخطر القضايا في الفكر الديني البشري ، وذلك بما يترتب عليها من عقاب وثواب ، ولهذا تحدثت الديانات السماوية عنها بإسهاب ووضوح ، وهذا يجده الباحثون واضحًا في الإسلام ، ولكن هذا الوضوح الموجود في الإسلام للتوبة لا يوجد في اليهودية ولا النصرانية ، فقد امتدت إلى قصة آدم الكثير من التحريفات التي أخذت من الأساطير والخرافات ، وهذا الأمر أدى لوقوع أتباع تلك الديانتين بكثير من الاعتقادات المنحرفة المتعلقة بمسألة التوبة خاصة في المسيحية حيث زعموا أن البشر ورثوا الخطيئة من أبيهم آدم حتى جاء السيد المسيح ليخلص البشرية من آثام تلك الخطيئة الأولى .

وإنَّ التوبة ترسمت في بعض الديانات- كالمسيحية- في المؤسسة الدينية واحتكرت برجالها وقساوستها والبعض الآخر(كالإسلام) جعلها مطوقة في البعد الفردي في علاقة بين العبد وخالقه، فهي حالة لا يعلم بحقيقتها الا الله وأَما التوبة في اليهودية فهي أَقرب ما تكون للبعد الاجتماعي وممارستها في فضاءاته.

Abstract

The issues of sin and repentance are among the most important and dangerous issues in human religious thought, with the consequent punishment and reward, and that is why the heavenly religions have spoken about them in great detail and clarity, and this is what researchers find clear in Islam, but this clarity that exists in Islam for repentance is not found in Judaism or Christianity. It extended to the story of Adam a lot of distortions that were taken from myths and legends, and this matter led to the occurrence of the followers of those two religions with many perverted beliefs related to the issue of repentance, especially in Christianity, where they claimed that humans inherited sin from their father Adam until Christ came to save humanity from the sins of that sin The first.

And that repentance was established in some religions - such as Christianity - in the religious institution and was monopolized by its men and priests, while others (such as Islam) made it surrounded in the individual dimension in a relationship between the servant and his Creator. its spaces.